صور من

حياة التابعيات

دروس وعبر

عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

مقدمـــة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وبعـــد

فإن التابعيات هن الجيل التالى لصحابيات النبى ﷺ ، وقد شهد النبى ﷺ لجيل التابعين بالخيرية ، وذلك فى قوله : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وإنما كانت هذه الشهادة من النبى ﷺ لجيل التابعين لأنهم امتداد لجيل الصحابة حيث أخذوا العلم عنهم وحفظوه ونشروه بين الناس ، وساعدوا على انتشار الإسلام فى ربوع الأرض ، حيث كانوا يجاهدون فى سبيل الله بالسيف والسنان، فكانوا خير خلف لخير سلف .

وقد كان للتابعيات دور مهم أيضًا فى سبيل نصرة هذا الدين ورفعته .

وقد سجل لنا التاريخ السيرة العطرة لهؤلاء التابعيات ، وها نحن ننقل من سجل التاريخ صورًا من حياتهن لتكون لنا نبراسًا فى حياتنا وذخرًا لآخرتنا، فيتحقق لنا بذلك الفوز فى الدارين .

والله أسأل أن يجعلنا من العاملين بما علمنا.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

أسماء الرملية

كانت أسماء وأختها آمنة الرملية من العابدات الزاهدات المصطفيات من عابدات الشام .

الرملة : مدينة مشهورة فى فلسطين

* علمت أنها امرأة

يقول ذو النون المصرى :

خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ، فبينما أنا فى الطواف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة يقول فى بكائه :

كتمت بلائى من غيرك ، وبحت بسرى إليك ، واستغنيت بك عمن سواك

عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ؟ ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ؟

ثم أقبل على نفسه فقال :

أمْهِلَكِ فما ارعَوِيتِ ، وسُتِرَ عليك فما استحييت ، وسَلْبك حلاوة المناجاة فما باليت

ثم قال :

عزيزى : مالى إذا قمت بين يديك ألقيت على النعاس ومنعتنى حلاوة الخدمة ؟ لم قرة عينى لِمَهْ ؟

ثم أنشأ يقول :

روعت قلبى بالفراق فلم أجد ... شيئًا أمر من الفراق وأوجعا

حسب الفراق بأن يفرق بيننا ... ولطالما قـــد كنت منه مفزعًا

فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا ، فلما أحس بى تجلل تغطى - بخمار كان عليه

ثم قال :

- يا ذا النون غض بصرك فإنى حرام - الحرام مصدر ضد الحلال ، يستوى فيه المفرد مذكرا ومؤنثا ، فيقال : رجل محرم -

فعلمت أنها امرأة فقلت :

- والله لقد شغلنى قولك عن كثير مما كنت فيه

فقالت أسماء الرملية :

- ولم عافاك الله ؟ أما علمت أن لله عبادا لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره؟

قال أبو الفيض :

- من أحمق الناس ؟

قالت أسماء الرملية :

- من ظن أنه أعقل الناس

فقال ذو النون :

- صدقت، فمن أعقل الناس ؟

قالت أسماء الرملية :

- من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال

ثم قالت أسماء الرملية :

- يا ذا النون : متى يكون المرء صالحًا ؟

قال أبو الفيض :

إذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه ، والعمل الصالح فى جوارحه يقول تعالى فى حديثه القدسى : مامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بى إلا أعطيته قبل أن يسألنى ، واستجبت له قبل أن يدعونى ، وما من عبد نزلت به بلية

فاعتصم بمخلوق دونى إلا أغلقت أبواب السماء عليه.

* اتقى الله لا تذهب الأخرى

وكانت أسماء الرملية إذا قامت من الليل قالت :

اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يرانى من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك .

اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شىء

اللهم إن أرادنى بشر فأرده ، وإن كادنى فكده ، أدرأ بك فى نحره ، وأعوذ بك من شره .

ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها

فقيل لها :

ـ اتقى الله لا تذهب الأخرى

فقالت أسماء الرملية :

ـ إن كانت عينى من عيون أهل الجنة فسيبدلنى بها ما هو أحسن منها ، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله تعالى

* هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟

سألت أسماء الرملية البيضاء بنت المفضل :

ـ يا أختى : هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟

قالت البيضاء بنت المفضل :

ـ يا أختى : والمحب للسيد يخفى ؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفى

قالت أسماء الرملية :

ـ صفيه لى

قالت البيضاء بنت المفضل :

- لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجبا عجيبا من واله ما يقر على الأرض ، طائر مستوحش أنسه فى الوحدة ، قد منع الراحة ، طعامه الحب عند الجوع ، وشربه الحب عند الظمأ ، لا يمل من طول الخدمة لله تعالى

* سبق العبد سيده إلى الجنة

تقول أسماء الرملية :

كان رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ذات يوم عن سبق الفقراء إلى الجنة فقال أبو ذر الغفارى :

- يا نبى الله : أخبرنى بجلساء الله يوم القيامة

فقال حبيب الرحمن ﷺ :

- هم الخائفون الخاضعون المتواضعوان الذاكرون الله كثيرا

فقال أبو هريرة :

- يا رسول الله : أهم أول الناس يدخلون الجنة ؟

قال السراج المنير ﷺ :

- لا

فقال أبو الدرداء :

- فمن أول الناس يدخل الجنة ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون:

- ارجعوا إلى الحساب

فيقولون :

ـ على ما نحاسب والله ما أفيض علينا من الأموال فى الدنيا شىء فنقبض فيها ونبسط وما كنا أمراء نعدل ونجور ، ولكـنا جاءنا أمـر الله فعبدنـاه حتى أتانا اليقين ـ الموت ـ

فقيل :

ـ ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين

وتبسم النبى الخاتم ﷺ وقال :

إن رجلا دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته

فقال :

ـ يا رب : هذا عبدى فوق درجتى ؟

فقال الله عز وجل :

ـ نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك (رواه العقيلى ، والخطيب عن أبى هريرة) .

* لو رأيت فى الجزع مدركا ما اخترت عليه

ذات ضحى كانت أسماء الرملية تتوضأ فرآها رجل ، فلما فرغت من وضوئها قال :

ـ ما رأيت مثل هذا الحسن وهذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن .

فقالت أسماء الرملية :

ـ يا عبد الله : والله إنى ليذبحنى الحزن ما يشركنى فيه أحد

فتساءل الرجل :

ـ وكيف ؟

قالت :

ذبح زوجى شاة مُضحيًا ولى صبيان يلعبان فقال أكبرهما للأصغر :

ـ أريك كيف صنع أبى بالشاة ؟

فعلقه وذبحه ، فما شعرنا به إلا متشحطا ـ مضرجا بدمه ـ

فلما استعلت الضجة هرب الغلام ناحية الجبل فرهقه ـ لحقه ـ ذئب فأكله ونحن لا نعلم ، وأتبعه أبوه يطلبه فمات عطشا ، فأفردنى الدهر

قال الرجل :

ـ **فكيف صبرك ؟**

فقالت أسماء الرملية :

ـ لو رأيت فى الجزع مدركا ـ دركا ـ ما اخترت عليه

* قد فعلنا ولدينا مزيد

يقول جعفر بن محمد وهو صاحب الفقيه العابد الزاهد بشر بن الحارث :

اعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية ، وبينا هى عنده إذا دخل أحمد بن حنبل يعوده .

فقال :

ـ من هذه ؟

فقال بشر بن الحارث :

ـ هذه آمنة الرملية بلغها علتى فجاءت من الرملة تعودنى

فقال أحمد بن حنبل :

ـ فسلها تدعو لنا

فقالت آمنة الرملية :

اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما

يقول أحمد بن حنبل :

فانصرفت

فلما كان من الليل طرحت إلى ورقة مكتوب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد فعلنا ولدينا مزيد)

* * *

مريم الغنوية

كانت مريم الغنوية من قبيلة غنى

وكانت إحدى جوارى كسرى أنوشروان

* المسلمون يدخلون المدائن

كان كسرى وملوك الفرس يتخذون المدائن مقرا لملكهم وتسمى عندهم : **اكتيزيغون**

وسماها العرب المدائن لأنها كانت سبع مدائن يقع بعضها فى غربى دجلة وبعضها الآخر شرقه

ولما علم كسرى بهزيمة جيشه فى القادسية وأن سعد بن أبى وقاص يتقدم بجيش المسلمين نحو بابل أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والخواص وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع والآنية والألطاف والأدهان ما لا يدرى قيمته ، وكان فى خزائن كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه

وكانت مريم وزوجها وبعض الجوارى والعبيد من الذين تركهم كسرى

ولما جاء سعد بن أبى وقاص بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسى ، فلما كان اليوم الثالث نزلت مريم وزوجها ومن معها من القصر الأبيض فاتخذ سعد إيوان كسرى مصلى وجمع سعد بن أبى وقاص صلاة الجمعة بالإيوان فى صفر من سنة ست عشرة من الهجرة فكانت أول يوم جمعة بالعراق

وأسلم بعض الأعاجم وظل البعض يعبد النار على أن يؤدوا الجزية فقامت مريم وزوجها بدفعها

* موكب النور

فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول خرج المسلمون إلى الميادين فرحين وراحوا يصلون و . .

فتساءلت مريم الغنوية :

ـ ما هذا ؟ هل هذا يوم عيد عند المسلمين ؟

قال رجل من الأعاجم :

ـ إنه عيد وليس عيد

فقال زوج مريم :

ـ ماذا تعنى ؟

قال الأعجمى :

ـ إنهم يزعمون ويدعون أن فى مثل هذا اليوم منذ تسع وستين سنة ولد نبيهم - ولد فى عام الفيل ـ قالت مريم الغنوية :

ـ كل ذلك من أجل مولد إنسان . . لقد كان الأعاجم لا يحتفلون بميلاد كسرى هكذا

وعادت مريم تفكر . . ما معنى نبى ؟

ووجدت مريم الغنوية نفسها أمام سلمان الفارسى فهتفت :

ـ يا سلمان : لقد رأيت اليوم عجبا

قال سلمان الفارسى :

ـ وماذا رأيت يا أمة الله ؟

قالت مريم :

ـ رأيت المسلمين يخرجون وكأنهم يحتفلون بيوم عيد

تبسم سلمان الفارسى وقال :

- نعم إننا نحتفل بمولد النبى الخاتم ﷺ

فتساءلت مريم الغنوية :

- ما معنى النبى الخاتم ؟

قال سلمان الفارسى :

- النبى هو الذى يأتيه الخبر من السماء ، والخاتم أى خاتم الأنبياء الذى لا نبى بعده

قالت مريم :

- وهل تكلم السماء انسانا ؟

قال سلمان الفارسى :

- نعم لقد كلم الله موسى بن عمران عليه السلام تكليما ، ولقد حاربنا كسرى ليس بعدد ولا عدة ولكن حاربناه بالإيمان والعقيدة

فقالت مريم :

- ما الإسلام ؟

قال سلمان :

- أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك

قالت مريم :

- ما الإيمان ؟

قال سلمان الفارسى :

- أن يؤمن المرؤ بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره و . .

قالت مريم الغنوية :

- الله . . ؟ اليوم الآخر . . ؟

قال سلمان :

ـ نعم الله الواحد الأحد الذى خلق السموات والأرض

قالت مريم :

ـ أين هو ؟ إننا لا نراه

قال سلمان الفارسى :

ـ ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٠٣] .

فقالت مريم :

ـ واليوم الآخر ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ يوم البعث والحساب فإما إلى جنة ونعيم دائم أو إلى نار وعذاب أليم

قالت مريم :

ـ وهل إذا متنا وكنا عظاما أإننا نبعث . من جديد ؟

قال سلمان :

ـ إى والله

وجاءهما صوت زوجها :

ـ من زعم هذا ؟

نظر سلمان الفارسى نحو زوج مريم وقال :

ـ أخبرنا هذا الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ الذى احتفلنا بمولده اليوم

قالت مريم :

- هل كلمه ربه وأخبره أن . . ؟

قال سلمان الفارسى :

- أنزل السميع البصير كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

قال زوج مريم :

- هل معك شيء مما جاء فى هذا الكتاب ؟

قال سلمان :

- نعم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٥ ، ١٦] .

قالت مريم الغنوية :

- ما معنى ﴿ نُورٌ ﴾ ، وما معنى ﴿ كِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ؟

قال سلمان الفارسى :

- نور أى ضياء

وقيل :

الإسلام

وقيل :

محمد ﷺ

﴿ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ أى القرآن فإنه بين الأحكام الحلال والحرام و . .

قال زوج مريم :

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

قال سلمان الفارسى :

أى يخرج الناس من ظلمات الكفر والجهالات إلى نور الإسلام والهدايات

تبادلت مريم وزوجها النظرات .. ثم تركا سلمان الفارسى الذى ارتسمت على شفتيه بسمة ذات معنى

ونامت مريم الغنوية فى تلك الليلة فرأت رؤيا .. رأت موكبا نورانيا ، فاقتربت من هذا الموكب وتساءلت :

ـ هل عاد كسرى ؟

قال رجل يرتدى ثوبا أبيض :

ـ لا هذا موكب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ

فهتفت مريم :

ـ النبى الخاتم ؟

قال الرجل :

ـ نعم

فقالت مريم الغنوية :

ـ ومن أنت ؟

قال الرجل :

ـ أنا معاذ بن جبل صاحب رسول الله ﷺ

قالت مريم الغنوية :

ـ يا صاحب حبيب الرحمن : هل إذا جئت محمدا يقبلنى ؟

قل معاذ بن جبل :

ـ نعم ، وإذا قلت : يا رسول الله : جاءك هو

ووجدت مريم الغنوية نفسها تهتف وكأنها تستغيث بأبى القاسم ﷺ :

ـ يا رسول الله : يا حبيب الله

وجاءها صوت كأنه قطرة ماء عذب بارد في يوم قائظ على شفتى ظامئ :

ـ لبيك . . لبيك

ووجدت نفسها أمام رجل وجهه كالقمر ليلة الرابع عشر يفوح المسك من حوله

قالت مريم الغنوية :

ـ ماذا أقول حتى أكون من أصحابك ؟

قال السراج المنير ﷺ :

ـ قولى : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

ووجدت مريم الغنوية نفسها تقول :

ـ أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

ثم مضى الموكب النورانى العطرى

وأحست مريم الغنوية أنها كانت تائهة فى ظلمات ليلة شاتية مطيرة باردة موحلة فبرز القمر فجأة بعد أن رددت كلمات خاتم الأنبياء ﷺ

انتبهت مريم الغنوية من نومها فوجدت الدموع تغمر وجهها وقلبها وبقايا نور الظلمة ﷺ يملأ حجرتها والمسك يفوح منها . .

لعقت مريم شفتيها بطرف لسانها . . ما زالت حلاوة كلمات حبيب الرحمن ﷺ على لسانها ؟

تلفتت حولها فلم تجد زوجها ، أين ذهب ؟ لابد أن تروى له هذه الرؤيا ، هل ابتدأها سلمان الفارس بحديثه معهما وختمها النبى الخاتم ﷺ معها ؟

قامت مريم الغنوية وراحت تبحث عن زوجها فى أنحاء الدار ، لابد أن تجده ، وتحدثه عن تلك الرؤيا أسرعت مريم نحو باب الدار ، وقبل أن تمتد يدها نحو الباب

فتح الباب ووجدت زوجها أمامها وعلى شفتيه بسمة كبسمة سلمان الفارسى عندما انتهى من حديثه معهما ، ما سر هذه البسمة ؟

قالت مريم :

ـ لقد رأيت رؤيا

زادت بسمة زوجها اتساعا حتى غطت وجهه وقال فى هدوء :

ـ لقد رأيتها أنا أيضا . . لم أصدق أذنى عندما قلت لصاحب الموكب النورانى : يا رسول الله : أقبل نحوى وهو يقول : لبيك لبيك ، ما زالت كلماته تتسلل إلى صدرى كضوء القمر قال لى قل : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله

قالت مريم الغنوية :

ـ هل قابلت صاحبه معاذ بن جبل ؟

قال الزوج :

ـ لا . . قابلت خادمه أنس بن مالك

هتفت مريم وزوجها من أعمق أعماقهما :

ـ الحمد لله الذى هدانا إلى الإسلام

* مع خادم رسول الله ﷺ

سأل زوج مريم عن أنس بن مالك فقيل له :

ـ إن خادم رسول الله ﷺ يعيش فى البصرة

فانطلق زوج مريم وأولاده إلى البصرة ، فلما أتوا خادم رسول الله ﷺ روى زوج مريم الرؤيا التى رآها وزوجه فقال خادم رسول الله ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : من رآنى فى المنام فكأنما رآنى فى اليقظة ، فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بى (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير) .

وقدم خادم رسول الله ﷺ مصحفا إلى زوج مريم الغنوية فخطفته من زوجها وضمته إلى صدرها وقالت :

ـ نذرت لله إذا حفظت القرآن ألا تكلم إلا به وأن أحج كل عام وأزور قبر حبيبي ﷺ قال أنس بن مالك :

قال ﷺ :

ـ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين [أخرجه الترمذى كتاب العلم باب إذا أراد الله بعبد خيرا ، والإمام أحمد وابن ماجه] .

فقال زوج مريم الغنوية :

ـ لذلك أسرعت إليك أنا وزوجتى وأولادى لتعلمنا شرائع الدين

وعلمهم خادم رسول الله ﷺ الوضوء وقال :

قال أبو القاسم ﷺ : الطهور ثلاثا ومسح الرأس واحدة (رواه الديلمى فى مسند الفردوس) .

وطلب أنس بن مالك ماء وقال :

سأتوضأ لكم وضوء رسول الله ﷺ

ثم قال أنس : قال : رسول الله ﷺ :

الطهور شطر ـ نصف ـ الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها (أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ، والإمام أحمد وابن ماجه) .

* فـى مـكـة

يقول عبد الله الواسطى :

دخلت المسجد الحرام ذات ضحى فوجدت فيه امرأة تقرأ كتاب الله عن ظهر قلب فقلت :

ـ السلام عليك يا أمة الله

قالت :

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [سورة يس الآية : ٥٨] .

فتساءلت :

ـ ما اسمك ؟

قالت :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَم ﴾ [سورة مريم الآية : ١٦] .

فقلت :

ـ ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ؟

قالت:

ـ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [سورة آل عمران الآية :٩٧].

فعدت أتساءل :

ـ أمتزوجة أنت ؟

قالت :

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم ﴾ [سورة المائدة الآية:١٠١] .

فقلت :

ـ ألك أولاد ؟

قالت :

- ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [سورة الشورى الآية : ٤٩] .

فقلت :

- ما أسماؤهم ؟

قالت :

- ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ﴾ [سورة مريم الآية : ٥١] ، ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة ص الآية : ٢٦] ، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة مريم الآية : ٤١] .

قلت :

- أتريدين أن تركبى ناقتى ؟

قالت :

- ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٧٣] .

ولما أرادت أن تركب الناقة قالت :

- ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم ﴾ [سورة النور الآية : ٣٠] .

ولما ركبت الناقة قالت :

- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [سورة الزخرف الآية : ١٣] .

فلما أرادت النزول قالت :

- ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون الآية : ٢٩] .

فلما استقر بها المقام قلت لها :

- أتريدين طعاما ؟

قالت مريم الغنوية :

- ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [سورة مريم الآية : ٢٦] .

فلما غابت الشمس جاءها أبناؤها فقالت لهم :

ـ ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [سورة الكهف الآية : ١٩] .

فلما أذن المؤذن لصلاة المغرب تناولت تمرة وقالت :

ـ الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت

وبعد أن تناولت طعامها واصلت قراءتها

فقال عبد الله الواسطى :

قال رسول الله ﷺ : أهل القرآن أهل الله وخاصته [رواه أبو القاسم بن بدر] .

❊ فى عرفات

قال أحد العارفين :

رأيت امرأة عند جبل الرحمة بعرفات وهى تقول :

ـ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٣٦ ـ ٣٧] .

فعلمت أنها ضالة فقلت :

ـ أيتها المرأة : من أين أقبلت ؟

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ١] .

فعلمت أنها من بيت المقدس فقلت :

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قالت :

ـ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾ [سورة آل عمران الآية :٩٧].

فقلت :

ـ إنك فى مكان منقطع بلا معين ولا رفيق

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ .

فقلت :

ـ أما تستوحشى فى هذا المكان ؟

قالت مريم :

ـ ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب ﴾ ؟ [سورة الرعد الآية : ٢٨] .

فقلت :

ـ من أين تأكلين ؟

قالت :

ـ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [سورة الذاريات الآية : ٢٢] . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [سورة هود الآية : ٦] .

قلت :

ـ أسألك الدعاء

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم ﴾ [سورة غافر الآية : ٦٠] .

ثم قالت :

ـ حجب الله طرفك عن معصيته ، وملأ قلبك بخشيته ، وجعلك من الذاكرين

له، المقربين إليه .

* هذا مقامي بين يديك

بعد أن صلت مريم الغنوية العشاء قامت على جبل الرحمة بعرفات وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت :

إلهى :

قد غارت النجوم ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك

ثم تقبل على صلاتها تقرأ سورة البقرة فى الركعة الأولى وسورة آل عمران فى الركعة الثانية

فإذا طلع الفجر قالت :

إلهى :

هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر ، أقبلت ليلتى منى فأهنأ ؟ أم رددتها فأعزى ؟

وعزتك وجلالك لو انتهرتنى عن بابك ما برحته ، لما وقع فى نفسى من جودك وكرمك

* وفاة مريم الغنوية

ذات يوم رجعت مريم الغنوية إلى البصرة بعد أن صلت فى المسجد الأقصى والمسجد الحرام

وذات ليلة سألها زوجها :

ـ مالى أراك قد أصابك شىء من الحزن ؟

قالت مريم الغنوية :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق الآية : ١٩] .

ولما ماتت صلى عليها زوجها

ثم رآها فى المنام فقال لها :

- يا مريم : كيف حال عرضك على الله عز وجل ؟

قالت مريم الغنوية :

- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر الآية: ٥٤ ـ ٥٥] .

فاطمة بنت الحسين

* نسبها

هى فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم

* الحسين بن على يرفض بيعة يزيد بن معاوية

تقول فاطمة بنت الحسين :

رفض حفيد رسول الله ﷺ البيعة ليزيد بن معاوية فى حياة أبيه ، كما امتنع عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير

ولما مات معاوية بن أبى سفيان سنة ستين من الهجرة وبويع ليزيد ، وصمم على المخالفة الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وخرجا من مدينة رسول الله ﷺ فارين إلى أم القرى فأقاما بها .

وعكف الناس على ريحانة رسول الله ﷺ يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه ويستمعون كلامه حين سمعوا بموت معاوية بن أبى سفيان وخلافة ابنه يزيد

* الدولة اليزيدية تناوش الحسين بن على

التف الناس حول ريحانة رسول الله ﷺ فقد كان معظما عندهم لأنه السيد الكبير وابن بنت رسول الله ﷺ ، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه .

* الحسين والأعرابى

ذات ضحى كان ريحانة رسول الله ﷺ وابنته فاطمة فى طريقهما إلى المسجد الحرام فلقيهما أعرابى فقال له :

ـ يا ابن بنت رسول الله : إنى ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها ، فقلت فى نفسى : أسأل أكرم الناس وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله ﷺ .

فقال الحسين :

- يا أخا العرب : أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال - الدية التى ضمنت وعجزت عن أدائها - ، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثى المال ، وإن أجبت عن الثلاث أعطيتك ما تريد قال الأعرابى :

- يا ابن بنت رسول الله : أمثلك يسأل مثلى وأنت من أهل بيت النبوة والشرف والعلم ؟

قال الحسين بن على :

- بلى ، سمعت جدى ﷺ يقول : المعروف بقدر المعرفة

فقال الأعرابى :

- سل ما بدا لك ، فإن أجبت نلت المال ، وإلا تعلمت والعلم خير من المال على كل حال ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الحسين :

- أى الأعمال أفضل ؟

أجاب الأعرابى :

- الإيمان بالله

فقال سبط رسول الله ﷺ :

- فما يزين الرجل ؟

قال الأعرابى :

- علم معه حلم

فتساءل الحسين :

- فإن لم يكن ؟

قال الأعرابى :

ـ فقر معه صبر

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ فإن أخطأه هذا كله ؟

قال الأعرابى :

ـ فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه ، فإنه أهل لذلك

فضحك حفيد رسول الله ﷺ ، وقضى للأعرابى حاجته

* الكتب ترد على الحسين من بلاد العراق يدعونه إليهم

تقول فاطمة بنت الحسين :

كثر ورود الكتب على أبى من بلاد العراق يدعونه إليهم وذلك حين بلغهم موت معاوية بن أبى سفيان وولاية ابنه يزيد .

وكان أول من قدم عليه : عبد الله بن سبع الهمدانى ، وعبد الله بن وال ، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية .

وكان قدوم رسولى وكتاب أهل العراق على الحسين بن على لعشر مضين من رمضان سنة ستين من الهجرة ثم بعثوا بعدها نفرا منهم : قيس بن مسهر الصيداوى ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدنى الأرحبى ، وعمارة بن عبيد الله السلولى ، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتابا إلى الحسين .

ثم بعثوا هانئ السبيعى ، وسعيد بن عبد الله الحنفى ومعهما كتاب فيه الاستعجال فى السير إليهم .

وكتب إلى ريحانة رسول الله ﷺ شبث بن ربعى ، وحجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن رويم ، وعمرو بن الحاج الزبيدى ، ومحمد بن عمير بن يحيى التميمى :

أما بعد :

فقد أخضرت الجنان وأينعت الثمار وطمت الجمام ، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند والسلام عليك .

فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين بن على ، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضا عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون فى كتبهم : أنهم فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ويتكلمون فى دولته ، وأنهم لم يبايعون أحدا إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم .

* الحسين بن على يبعث ابن عمه إلى العراق :

لم يستطع ريحانة رسول الله ﷺ مقاومة رغبة أهل العراق الحارة فى القدوم إليهم ومبايعته فبعث مسلم بن عقيل بن أبى طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة هذا الاتفاق ، فإن كان متحتما وأمرا حازما محكما بعث ابن عمه إليه ليركب فى أهله وذويه ويأتى الكوفة ليظفر بمن يعاديه .

وكتب حفيد رسول الله ﷺ مع مسلم بن عقيل كتابا إلى أهل العراق بذلك ولما خرج مسلم بن عقيل من مكة واجتاز المدينة أخذ منها دليلين ، فسارا به على برارى مهجورة المسالك فكان أحد الدليلين منهما أول هالك من شدة العطش . وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الآخر بمكان يقال له : المضيق من بطن - البطن : الموضع الغامض من الوادى - الحرنب - نبت من أطيب المراعى - فتطير به مسلم بن عقيل ، وكتب إلى الحسين بن على يستشيره فى أمره .

فكتب ريحانة رسول الله ﷺ يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخبر أمرهم .

فلما دخل مسلم بن عقيل نزل على رجل يقال له : مسلم بن عوسجة الأسدى .

وقيل :

نزل فى دار المختار بن أبى عبيد الثقفى .

فتسامع أهل الكوفة بقدوم رسول حفيد رسول الله ﷺ فتهافتوا عليه تهافت الفراشات على النور، وجاءوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين بن على ، وحلفوا لينصرونه بأنفسهم وأموالهم .

واجتمع على بيعة حفيد رسول الله ﷺ من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفا .

* مسلم بن عقيل يكتب إلى حفيد رسول الله ﷺ :

كتب مسلم إلى الحسين ليقدم على الكوفة ، فقد تمهدت له البيعة والأمور .

* الخبر يطير إلى أمير الكوفة :

طار خبر مبايعة أهل الكوفة حفيد رسول الله ﷺ إلى أمير الكوفة النعمان بن بشير، فلم يعبأ بالخبر فى بادئ الأمر ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة وأمرهم بالائتلاف والسنة واتباع الجماعة ـ على مبايعة يزيد بن معاوية فقد كان أميرا على الكوفة من قبله .

وقال النعمان بن بشير :

إنى لا أقاتل من لا يقاتلنى ، ولا أثب على من لا يثب على ، ولا آخذ بالظنه ، ولكن والله الذى لا إله إلا هو لئن فارقتم إمامكم ـ يزيد بن معاوية ـ ونكثتم بيعته ، لأقتلنكم ما دام فى يدى من سيفى قائمته .

فقام إليه رجل يقال له : عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمى فقال له :

ـ إن هذا الأمر لا يصلح إلا الفشم ـ الظلم ، والفشمش : من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء ـ وإن الأمر الذى سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين .

فقال النعمان بن بشير :

ـ لأن أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب إلى من أن أكون من الأقوياء

الأعزين فى معصية الله .

وكتب ذلك الرجل إلى يزيد بن معاوية يعلمه بذلك .

* يزيد بن معاوية يأمر بقتل رسول حفيد رسول الله ﷺ :

عزل يزيد بن معاوية النعمان بن بشير أمير الكوفة وضمها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة وذلك بإشارة سرجون مولى معاوية .

وكتب يزيد يستشير سرجون فقال :

ـ أكنت قابلا معاوية ما أشار به لو كان حيا ؟

قال يزيد بن معاوية :

ـ نعم .

فقال سرجون :

ـ فاقبل منى فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد .

فولى يزيد بن معاوية عبيد الله بن زياد الكوفة .

وكان يزيد بن معاوية يكره ويبغض عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، **فولاه البصرة والكوفة معا لحكمة يعلمها الله وحده .**

ثم كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد أمير البصرة والكوفة :

إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل بن أبى طالب فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه .

وبعث يزيد بن معاوية الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلى ، فسار عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الكوفة فدخلها متلثما بعمامة سوداء فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قال :

ـ سلام عليكم .

فيقولون :

ـ وعليكم السلام ، مرحبا باابن رسول الله .

يظنون أنه الحسين بن على ، فقد كانوا ينتظرون قدومه وتكاثر الناس على عبيد الله بن زياد أمير البصرة والكوفة وهم لا يعرفونه ، فقال لهم مسلم بن عمرو الباهلى :

ـ تأخروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد .

فلما علم أهل الكوفة ذلك علتهم كآبة وحزن شديد .

فتحقق عبيد الله بن زياد الخبر ، ونزل قصر الإمارة من الكوفة .

ولما استقر أمره أرسل مولى أبى رهم .

وقيل .

كان مولى له يقال له : معقل ومعه ثلاثة آلاف درهم فى صرة قاصدا بلاد حمص يريد البيعة ، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويتودد حتى استدل على الدار التى نزل بها مسلم بن عقيل والتى يبايعون بها حفيد رسول الله ﷺ ، فدخل مولى عبيد الله بن زياد دار هانئ بن عروة فبايع ، وادخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياما حتى اطلع على جلية أمرهم ، فدفع صرة المال إلى أبى ثمامة العامرى الذى كان يقبض ما يؤتى من الأموال ويشترى السلاح بأمر مسلم بن عقيل بن أبى طالب .

رجع مولى عبيد الله بن زياد إلى أمير البصرة والكوفة فأعلمه بالدار وصاحبها .

ولكن مسلم بن عقيل تحول من الدار إلى دار حتى استقر بدار شريك بن الأعور وكان من الأمراء والأكابر .

* الحسين بن على يستعد للخروج إلى الكوفة :

تقول فاطمة بنت الحسين :

لما بلغ حفيد رسول الله ﷺ كتاب ابن عمه مسلم بن عقيل وقرأه فرح فرحا شديدا وراح يعد العدة للرحيل من أم القرى ويسير إلى الكوفة مع أهله وأتباعه .

* مسلم بن عقيل بن أبى طالب يبقى وحده :

لما علم مسلم بن عقيل أمر عبيد الله بن زياد ركب ونادى بشعاره :

- يا منصور أمت .

فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبى عبيد ومعه راية خضراء ، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتبهم ميمنة وميسرة ، وسار هو فى القلب إلى عبيد الله بن زياد وهو يخطب الناس ويحذرهم من الاختلاف ، فلما سمع أمير البصرة والكوفة بمقدم مسلم بن عقيل بادر عبيد الله بن زياد فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب .

لما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب قصر الأمير عبيد الله بن زياد وقف بجيشه هناك فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله بن زياد فى القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع رسول حفيد رسول الله ﷺ بالانصراف ، وتهددوهم وتوعدوهم .

وأخرج عبيد الله بن زياد بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا وينطلقوا فيخذلوا أهل الكوفة عن مسلم بن عقيل . . ففعلوا ذلك .

فجعلت المرأة تجىء إلى ابنها وأخيها فى جيش رسول حفيد رسول الله ﷺ وتقول له :

- ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك .

ويقول الرجل لابنه :

- كأنك غدا بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم ؟

فتخاذل الناس . . وانصرفوا عن مسلم بن عقيل .

ولم يبق مع رسول الحسين بن على إلا خمسمائة رجل

ثم تقالوا حتى بقى عقيل فى ثلاثمائة ، ثم تقالوا حتى بقى معه ثلاثون رجلا ، فصلى بهم المغرب، وقصد أبواب كندة فخرج منها فى عشرة رجال، ثم انصرفوا عنه . . فبقى وحده ليس معه من يدله على الطريق ، ولا من يأويه إلى منزله فذهب على وجهه .

* مسلم بن عقيل بن أبى طالب يبعث إلى الحسين بن على يطلب منه عدم المجىء إلى الكوفة :

بعث عبيد الله بن زياد عيونه ـ جواسيسه ـ يطلبون مسلم بن عقيل وقال لهم :

ـ من وجد عنده ولم يعلم به فدمه هدر ، ومن جاء به فله ديته .

وطلب الشرط ـ جمع شرطى ـ وحثهم على ذلك وتهددهم .

وأقبل رجل إلى عبيد الله بن زياد وأخبره خبر رسول الحسين بن على ، فنخس أمير البصرة والكوفة عمرو بن حريث وكان صاحب شرطته بقضيب فى جنبه وقال له :

ـ اذهب إليه .

فخرج عمرو بن حريث ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى سبعين أو ثمانين فارسا ، فلم يشعر مسلم بن عقيل إلا وقد أحيط بالدار التى هو فيها ، فدخلوا عليه ، فقام إليهم بالسيف ، فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وقد أصيبت شفته العليا والسفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار فى الدار التى هو فيها ، فضاق مسلم بن عقيل بهم ذرعا ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث الأمان فأمكنه من يده فشد وثاقه .

وجاءوا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئا ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ، فيئس من نفسه وقال :

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقال بعض من حوله :

- إن من يطلب مثل الذى طلبت لا يبكى إذا نزل به هذا .

فقال مسلم بن عقيل :

- أما والله لست أبكى على نفسى ، ولكن أبكى على الحسين وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة .

ثم التفت رسول حفيد رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال :

- إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لسانى تأمره بالرجوع فافعل .

فبعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى ريحانة رسول الله ﷺ يأمره بالرجوع .

ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب قصر أمير البصرة والكوفة إذ عليه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم مسلم بن عقيل ويعرفونه ، وينتظرون أن يؤذن لهم على عبيد الله بن زياد ، وكان رسول حفيد رسول الله ﷺ مخضبا بالدماء فى وجهه وثيابه ، وكان مثخنا بالجراح شديد الظمأ ، وإذا بقلة من ماء بارد هناك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك :

- والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم .

فقال مسلم بن عقيل :

- ويلك يا ابن باهلة أنت أولى بالحميم والخلود فى نار الجحيم منى .

ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش ، فبعث عمارة بن عقبة ابن أبى معيط مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل ومعه قدح فجعل يفرغ له فى القدح فيشرب ، فلا يستطيع أن يسقيه من كثرة الدماء التى تعلو على الماء مرتين أو

ثلاثا .

ولما شرب مسلم بن عقيل سقطت ثنيتاه مع الماء فقال :

ـ الحمد لله لقد كان بقى لى من الرزق المقسوم شربة ماء .

ثم أدخل مسلم بن عقيل على أمير البصرة والكوفة، فلما وقف بين يديه ـ أمامه ـ لم يسلم رسول الحسين بن على على عبيد الله بن زياد فقال له أحد الحرس:

ـ ألا تسلم على الأمير ؟

فقال مسلم بن عقيل :

ـ لا إن كان يريد قتلى فلا حاجة لى بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلى فأسلم عليه كثيرا .

فاقبل عبيد الله بن زياد على رسول حفيد رسول الله ﷺ وقال :

ـ إيه يا ابن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع ، وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض .

قال مسلم بن عقيل :

ـ كلا لست لذلك أتيت ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب .

قال عبيد الله بن زياد :

ـ وما أنت وذاك يا فاسق ؟ أو لم نعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟

قال مسلم بن عقيل :

ـ أنا أشرب الخمر ، والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنك قلت بغير علم ، وأنت أحق بذلك منى ـ فإنى لست كما ذكرت ـ وإن أولى بها منى من يلغ فى دماء

المسلمين ولغا ، ويقتل النفس التى حرم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظن، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئًا .

فقال عبيد الله بن زياد :

- يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يرك أهلاً له .

فتساءل مسلم بن عقيل :

- فمن أهله يا ابن زياد ؟

قال أمير البصرة والكوفة :

- أمير المؤمنين يزيد .

قال مسلم بن عقيل :

- الحمد لله على كل حال ، رضينا بالله حكما بيننا وبينكم .

قال عبيد الله بن زياد :

- أوص .

فنظر فى جلساء أمراء البصرة والكوفة وفيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص فقال مسلم بن عقيل له :

- يا عمر إن بينى وبينك قرابة ، ولى إليك حاجة ، هو سر فقم معى إلى ناحية القصر حتى أقولها لك .

فأبى عمر بن سعد بن أبى وقاص أن يقوم حتى أذن له عبيد الله بن زياد ، فقام عمر بن سعد فتنحى قريبا من عبيد الله ، فقال مسلم بن عقيل :

- إن على دينا فى الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عنى ، واستوهب جثتى من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى الحسين فإنى كنت قد كتبت إليه أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلا.

فقام عمر بن سعد بن أبى وقاص وأخبر عبيد الله بن زياد ما قال له مسلم بن عقيل فأجاز ذلك له كله وقال :

ـ أما الحسين فإنه إن لم يردنا لا نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه .

ثم أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلى القصر وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلىَ على ملائكة الله ويقول :

ـ **اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا .**

ثم ضرب بكير بن حمران عنق رسول حفيد رسول الله ﷺ ، وألقى رأسه إلى أسفل القصر ، واتبع رأسه بجسده وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى يزيد بن معاوية وكتب له كتابًا بما وقع من أمره .

* خروج الحسين من مكة إلى الكوفة :

تقول فاطمة بنت الحسين :

خرج حفيد رسول الله ﷺ من مكة لثمان مضين من ذى الحجة يوم الثلاثاء ـ يوم التروية ـ فأتاه عبد الله بن عباس وقال له :

ـ يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لى ما أنت صانع ؟

فقال الحسين بن على :

ـ إنى قد أجمعت المسير فى أحد يومى هذين إن شاء الله تعالى .

فقال ابن عباس :

ـ أخبرنى إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حى وهو مقيم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فإنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمن عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذى دعوك أشد الناس عليك.

قال الحسين بن على :

- إنى أستخر الله وأنظر ما يكون .

فخرج عبد الله بن عباس من عنده ، ودخل عبد الله بن الزبير فقال للحسين بن على :

- ما أدرى ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ، أخبرنى ما تريد أن تصنع ؟

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

- والله قد حدثت نفسى بإتيان الكوفة ، وقد كتبت لشيعتى - أتباعى - بها وأشرافها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله .

فقال عبد الله بن الزبير :

- أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت - لخرجت إلى الكوفة -

فلما خرج عبد الله بن الزبير من عند ريحانة رسول الله ﷺ قال :

- قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر - الخلافة - معى شىء ، وإن الناس لم يعدلوا بى غيرى ، فود أنى خرجت لتخلوا له .

فلما كان من العشى أو من الغد جاء عبد الله بن عباس إلى الحسين بن على وقال له :

- يا ابن عم إنى أتصبر ولا أصبر إنى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك وإن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، وأقم فى هذا البلد - مكة - حتى ينفى أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم ، وإلا فسر إلى اليمين فإن به حصونا وشيعا لأبيك ، وكن عن الناس فى معزل ، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم ، فإنى أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب .

فقال حفيد رسول الله ﷺ :

ـ يا ابن عم والله إنى لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكنى أزمعت المسير .

فلما رأى عبد الله بن عباس إصرار ريحانة رسول الله ﷺ المسير إلى الكوفة قال ناصحا :

ـ فإن كنت ولابد سائرا فلا تسر بأولادك ونسائك ، فو الله إنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه .

ثم أردف ابن عباس :

ـ أقررت عين ابن الزبير بتخليك إياه الحجاز ـ كان عبد الله بن الزبير يريد أن تخلو له مكة وسائر بلاد الحجاز ليكون صاحب الأمر بها ـ فو الله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعتنى وأقمت لفعلت ذلك .

ولما خرج عبد الله بن عباس من عند الحسين بن على لقى عبد الله بن الزبير فقال له :

ـ قرت عينك يا ابن الزبير

ثم قال ـ هذا الرجز لطرفة بن العبد ـ:

يا لك مـن قبرة بمعمـر   خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ما شئت تنقرى   صيـادك اليـــوم قتيل فأبشـرى

ثم قال عبد الله بن عباس :

ـ هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز .

ولما سار حفيد رسول الله ﷺ وتوجه إلى العراق وعلم عبد الله بن عمر بذلك انطلق وراءه فلحقه على مسيرة ثلاث ليال فسأله :

- أين تريد ؟

قال الحسين بن على :

- العراق .

ورأى معه طوامير - جمع طومار وهو الصحيفة - وكتبا فقال ابن عمر :

- هذه كتبهم وبيعتهم لا تأتهم .

فأبى ريحانة رسول الله ﷺ ، فقال عبد الله بن عمر :

- إنى محدثك حديثا ، إن جبريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ ، والله ما يليها - ينال الخلافة - أحدكم منكم - أهل البيت - أبدا ، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم .

فأبى أن يرجع .

فاعتنقه عبد الله بن عمر وبكى وقال لحفيد رسول الله ﷺ :

- أستودعك الله من قتيل .

وكتب عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كتابا إلى الحسين يحذره أهل العراق ، ويناشده الله ألا يخرج إليهم فكتب الحسين إليه :

إنى رأيت رؤيا ورأيت رسول الله ﷺ أمرنى بأمر وأنا ماض له .

وكتبت عمرة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر كتابا تعظم عليه ما يريد أن يصنع وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة وتخبره أنه لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه وتقول :

أشهد أنى سمعت عائشة تقول : إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقتل الحسين بأرض بابل .

فلما قرأ حفيد رسول الله ﷺ كتابها قال :

- فلابد لى إذا من مصرعى .

ومضى .

وخرج الحسين متوجها إلى العراق فى أهل بيته وستين شخصا من أهل الكوفة صحبته .

* الحسين بن على يبعث كتابا إلى أهل الكوفة :

لما بلغ حفيد رسول الله ﷺ الحاجز من بطن الرمة - الرمة : قاع عظيم بنجد نصب فيه أودية كثيرة - بعث قيس بن مسهر إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم .

فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد :

فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت - خرجت - إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسولى فاكتموا أمركم وجدوا ، فإنى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكان كتاب مسلم بن عقيل قد وصل إلى الحسين بن على قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ومضمونه :

أما بعد :

فإن الرائد لا يكذب أهله ، وإن جميع أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابى هذا والسلام عليكم .

وأقبل قيس بن مسهر الصيداوى بكتاب الحسين إلى الكوفة حتى انتهى إلى

القادسية فأخذه الحسين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد أمير البصرة والكوفة ، فلما وقف بين يديه قال له :

- اصعد إلى أعلى القصر فسب الكذاب بن الكذاب على بن أبى طالب وابنه الحسين .

فصعد قيس بن مسهر الصيداوى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس إن هذا الحسين بن على خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقته بالحاجز من بطن الرمة فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا .

ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلى والحسين .

فأمر عبيد الله بن زياد **بقيس بن مسهر الصيداوى فألقى من رأس القصر** فتكسرت عظامه وبقى فيه بقية من رمق فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمى فذبحه وقال :

- إنما أردت إراحته من الألم .

* الحسين بن على والفرزدق :

لقى حفيد رسول الله ﷺ الشاعر الفرزدق فى الطريق فسلم عليه وقال له :

- أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب .

فسأله ريحانة رسول الله ﷺ عن أمر الناس وما وراءه .

فقال الفرزدق :

- قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء .

فقال سبط رسول الله ﷺ :

- صدقت ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا فى شأن ، إن

نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته .

ثم حرك الحسين راحلته وقال للفرزدق :

ـ السلام عليكم .

ثم افترقا .

* ريحانة رسول الله ﷺ يكذب الخبر :

بعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحسين بن على يأمره بالرجوع إلى مكة فلم يصدق رسول ابن الأشعث فى ذلك وقال :

ـ كل ما حم ـ ما قدره وقضى به ـ الإلـه واقع .

وكان حفيد رسول الله ﷺ لا يمر بماء من مياه العرب إلا تبعوه .

ولما اقترب موكب الحسين بن على من الكوفة لقى رجلا فسأله عن أخبار الناس فقال :

ـ والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما فى السوق .

فقال الحسين بن على فى حزن :

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقال الرجل :

ـ الله الله فى نفسك .

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ لا خير فى العيش بعدهما .

فقيل له :

- خار الله لك .

وقال له بعض أصحابه :

- والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع .

ولما سمع بنو عقيل بن أبى طالب مقتل أخيهم مسلم بن عقيل قالوا :

- لا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا .

* أهل العراق يخذلون الحسين :

تقول فاطمة بنت الحسين :

فسار الحسين بن على حتى إذا كان بزرود بلغه مقتل قيس بن مسهر الصيداوى الذى حمل كتاب حفيد رسول الله ﷺ إلى أهل الكوفة فقال الحسين بن على لمن معه .

- خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه وليس عليه منا ذمام .

فتفرق الناس عنه وكأنهم كانوا ينتظرون هذا القول ، ولم يبق مع ريحانة رسول الله ﷺ إلا أصحابه الذين جاءوا معه من مكة .

* الحسين بن على يبكى :

يقول يزيد الرشك :

رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض فقلت :

- لمن هذه ؟

قالوا :

- هذه للحسين .

فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه ولحيته .

قلت :

ـ بأبى أنت وأمى يا ابن بنت رسول الله ، ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التى ليس بها أحد ؟

قال سبط رسول الله ﷺ :

ـ هذه كتب أهل الكوفة إلى ، ولا أراهم إلا قاتلى ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا به حرمة إلا انتهكوها فيسلط عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قرام ـ القرام : ستر فيه رقم ونقوش تغطى به المرأة وجهها ـ الأمة ـ يعنى مقنعتها .

* تحققت نبوءة الصادق المصدوق ﷺ :

سأل حفيد رسول الله ﷺ :

ـ ما اسم هذه الأرض ؟

قالوا :

ـ كربلاء .

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ كرب وبلاء .

بعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف فنزل بحفيد رسول الله ﷺ ، ثم بعث إليه رسولا يسأله :

ـ ما الذى جاء بك ؟

قال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ كتب إلى أهل مضركم ـ الكوفة ـ هذا ـ كتب أهل الكوفة إليه ـ أن أقدم علينا ، فأما إذ كرهونى فإنى أنصرف عنهم .

* عمر بن سعد بن أبى وقاص يكتب لأمير البصرة والكوفة :

كتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد وأخبره بقول الحسين بن على .

فلما قرأ أمير البصرة والكوفة ذلك قال :

ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد يأمره أن يعرض على الحسين بيعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فإن فعل ذلك رأينا رأينا ، وأن يمنعه ومن معه الماء .

* يا حسين لن تذوق من الماء قطرة حتى تموت عطشا :

لما قرأ عمر بن سعد كتاب أمير البصرة والكوفة أرسل عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس ، فنزلوا على الشريعة - شاطئ الفرات - وحالوا بين الحسين وبين الماء.

ونادى عبد الله بن أبى الحصين الأزدى :

- يا حسين أما تنظر إلى الماء ؟ لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا .

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

- **اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا .**

قيل :

مرض عبد الله بن أبى الحصين الأزدى فيما بعد فكان يشرب قلة الماء فلا يبقى منها شيئًا ثم يعود فيقيء ثم يعود فيشرب ثم يقيء ثم يشرب فما يروى وما زال كذلك حتى مات .

ولما اشتد العطش على الحسين وأصحابه أمر أخاه العباس بن على فى عشرين رجلا يحملون القرب وثلاثين فارسا فدنوا من الماء فقاتلوا عليه حتى ملؤوا القرب وعادوا .

ثم بعث ريحانة رسول الله ﷺ إلى عمر بن سعد بن أبى وقاص عمرو بن قرظة ابن كعب الأنصارى أن إلقنى الليلة بين عسكرى وعسكرك .

فخرج إليه عمر بن سعد فاجتمعا وتحدثا طويلا ، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره .

وتحدث الناس أن الحسين قال لعمر بن سعد :

ـ اخرج معى إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين .

فقال عمر بن سعد :

ـ أخشى أن تهدم دارى .

فقال سبط رسول الله ﷺ :

ـ أبنى لك خيرا منها .

فقال عمر بن سعد :

ـ تؤخذ ضياعى .

قال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز .

فكره ذلك عمر بن سعد بن أبى وقاص .

وقيل :

بل قال حفيد رسول الله ﷺ لعمر بن سعد :

ـ اختاروا منى واحدة من ثلاث : إما أن أرجع إلى المكان الذى أقبلت منه ، وإما أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بينى وبينه رأيه ، وإما أن تسيروا بى إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلا من أهله لى ما لهم وعلى ما عليهم .

ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعا .

فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد :

أما بعد :

فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة ، وقد أعطانى الحسين أن يرجع إلى المكان الذى أقبل منه أو نسيره إلى أى ثغر من الثغور شئنا ، أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده ، وفى هذا لكم رضى وللأمة صلاح .

فلما قرأ أمير البصرة والكوفة الكتاب قال :

- هذا كتاب رجل ناصح لأميره ، مشفق على قومه ، نعم قد قبلت .

فقام إليه شمر بن ذى الجوشن فتساءل :

- أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ؟ والله لئن رجل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن ، ولكن ينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولى العقوبة - أولى بالعقوبة - وإن عفوت كان ذلك لك ، والله لقد بلغنى أن الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين .

فقال عبيد الله بن زياد :

- نعم ما رأيت ، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلما ، وإن أبوا فليقاتلهم ، وإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث إلى برأسه .

وكتب أمير البصرة والكوفة إلى عمر بن سعد :

أما بعد :

فإنى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا ، انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت

لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام .

* أمان الله خير من أمان ابن سمية :

لما أخذ شمر بن ذى الجوشن كتاب عبيد الله بن زياد كان معه عبد الله بن أبى المحل بن حزام ، وكانت عمته أم البنين بنت حرام عند على ، فولدت له العباس وعبد الله وجعفرا وعثمان ، فقال لأمير البصرة والكوفة :

ـ إن رأيت أن تكتب لبنى أختنا أمانا فافعل .

فكتب أمير البصرة والكوفة لهم أمانا وبعث به فى كتاب مع مولى له إليهم ، فلما رأوا الكتاب قالوا :

ـ لا حاجة لنا فى أمانكم ، أمان الله خير من أمان ابن سمية .

ولما أتى شمر بن ذى الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد سأله :

ـ مالك ؟ ويلك قبح الله ما جئت به ، والله إنى لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت إليه به ، أفسدت علينا أمرا كنا رجونا أن يصلح ، والله لا يستسلم الحسين أبدا ، **والله إن نفس أبيه لبين جنبيه .**

قال شمر بن ذى الجوشن :

ـ ما أنت صانع ؟

قال عمر بن سعد بن أبى وقاص :

ـ أتولى ذلك .

ونهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة .

وجاء شمر بن ذى الجوشن فدعا العباس بن على وإخوته فخرجوا إليه فقال :

ـ أنتم بنى أختى آمنون .

فقالوا له :

- لعنك الله ولعن أمانك ، لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟

ثم ركب عمر بن سعد والناس معه بعد العصر وحفيد رسول الله ﷺ جالس أمام بيته محتبيا بسيفه إذ خفق برأسه على ركبته ، وسمعت أخته زينب بنت على الضجة فدنت من أخيها الحسين فأيقظته فرفع رأسه وقال :

- إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال : إنك تروح إلينا .

فلطمت زينب بنت على وجهها وقالت :

- يا ويلتاه .

قال ريحانة رسول الله ﷺ :

- ليس لك الويل يا أخية ، اسكتى رحمك الله .

قال العباس بن على لسبط رسول الله ﷺ :

- يا أخى أتاك القوم .

فنهض الحسين بن على وقال :

- يا أخى أركب بنفسى .

فقال العباس بن على :

- بل أروح أنا .

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

- اركب أنت حتى تلقاهم فتقول : ما لكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم. فأتاهم العباس بن على فى نحو عشرين فارسا فيهم زهير بن القين فسألهم فقالوا:

- جاء أمر الأمير بكذا وكذا .

قال العباس بن على :

- فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله - الحسين بن على - فأعرض عليه ما ذكرتم .

فوقفوا :

ورجع العباس بن على إلى أخيه الحسين بالخبر ، وَوقف أصحابه يخاطبون القوم ويذكرونهم الله .

ولما أخبر العباس بن على حفيد رسول الله ﷺ قال الحسين :

- ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلى لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أنى كنت أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار .

وأراد الحسين بن على أيضا أن يوصى أهله .

فرجع العباس بن على إلى القوم فقال :

- انصرفوا عنا العشية حتى ننظر فى هذا الأمر ، فإن أصبحنا التقينا إن شاء الله . فإما رضيناه وإما رددناه .

فسأل عمر بن سعد شمر بن ذى الجوشن :

- ما ترى يا شمر ؟

قال شمر بن ذى الجوشن :

- أنت الأمير .

فأقبل عمر بن سعد على الناس وسألهم :

- ما ترون ؟

فقال عمرو بن الحجاج الزبيدى :

ـ سبحان الله ، والله لو كانوا من الديلم ثم سألوكم هذه المسألة لكان ينبغى أن تجيبوهم ـ يعنى أنه مطلب عادل حتى ولو كان من أعدائكم الديلم .

وقال قيس بن الأشعث بن قيس :

ـ أجبهم لعمرى ليصبحنك بالقتال غدوة .

فقال عمر بن سعد :

ـ لو أعلم أن يفعلوا ـ أن يقاتلونا ـ ما أخرتهم العشية

ثم رجع عنهم .

* ليلة عاشوراء :

تقول فاطمة بنت الحسين :

جمع حفيد رسول الله ﷺ أصحابه بعد رجوع عمر بن سعد بن أبى وقاص فقال لهم :

أثنى على الله أحسن الثناء ، وأحمده على السراء والضراء .

اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة ، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين ، فاجعلنا لك من الشاكرين .

أما بعد :

فإنى لا أعلم أصحابا أوفى ولا خير من أصحابى ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى ، فجزاكم الله جميعًا خيرا ، وإنى لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا ، وإنى قد أذنت لكم جميعًا فانطلقوا فى حل ليس عليكم منى ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى فجزاكم الله جميعا ، ثم تفرقوا فى البلاد فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله ، فإن القوم يطلبوننى ولو أصابونى لهوا عن طلب غيرى .

فقال له إخوته وأبناء إخوته وأبناء عبد الله بن جعفر .

ـ لم نفعل ؟ لنبقى بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبدا .

فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ يا بنى عقيل حسبكم من القتيل بمسلم ، اذهبوا فقد أذنت لكم .

قالوا :

ـ وما نقول للناس ؟ نقول : تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندرى ما صنعوا ؟ لا والله لا نفعل ولكنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك .

وقام إلى حفيد رسول الله ﷺ ابن عوشجة الأسدى فقال :

ـ أنحن نتخلى عنك ولم تعذر إلى الله فى أداء حقك ؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى ، والله لو لم يكن معى سلاحى لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك .

وتكلم أصحاب الحسين بن على بنحـو هـذا ، فشكرهم ودعا لهم فجزاهم الله خيرا .

وبينما كان ريحانة رسول الله ﷺ فى خباء له وعنده حوى مولى أبى ذر الغفارى يعالج سيفه سمعت زينب بنت على أخاها الحسين يقول:

يا دهر أف لك مـــن خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهـــــر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلـــــى الجليل ... وكل حـــــى سالك السبيل

فلما أعادها حفيد رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثًا لم تملك زينب على نفسها أن

وثبت تجر ثوبها حتى انتهت إليه ونادته :

- واثكلاه ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم ، ماتت فاطمة أمى وعلى أبى والحسن أخى يا خليفة الماضى وثمال الباقى .

ففزع ريحانة رسول الله ﷺ وذهب إلى أخته وقال لها :

- يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان .

قالت زينب بنت على :

- بأبى أنت وأمى ؟ نفسى لنفسك الفدى .

فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قالت .

- لو ترك القطا ليلا لنام .

فلطمت حفيدة رسول الله ﷺ وجهها وقالت :

- وا ويلتاه ، أفتغضبك نفسك فذلك أقرح - أفزع - لقلبى وأشد على نفسى ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشيا عليها ، فقام إليها سبط رسول الله ﷺ فصب الماء على وجهها وقال :

- اتقى الله وتعزى بعزاء الله واعلمى أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأن كل شىء هالك إلا وجه الله ، وأبى خير منى ، وأمى خير منى وأخى - يعنى الحسن خير منى ، ولى منهم ولكل مسلم برسول الله أسوة .

فعزا ريحانة رسول الله ﷺ أخته حفيدة رسول الله ﷺ بهذا . . وقال :

- يا أخية إنى أقسم عليك لا تشقى على جيبا ، ولا تخمشى على وجها ، ولا تدعى على بالويل والثبور إن أنا هلكت .

ثم خرج حفيد رسول الله ﷺ إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض ، وأن يدخلوا الأطناب بعضها فى بعض ويكونوا بين يدى - أمام - البيوت

فيستقبلون القوم من وجه أحد البيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم .

وقام حفيد رسول الله ﷺ ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون .

* حفيد رسول الله ﷺ يقول : من أنا ؟

تقول فاطمة بنت الحسين :

صلى الحسين بن على وأصحابه صلاة الفجر يوم الجمعة يوم عاشوراء .

وكان معه اثنان وثلاثون فارسا ، وأربعون رجلا ، فجعل زهير بن القين فى ميمنة أصحابه ، وحبيب بن مظهر فى مسيرتهم وأعطى رايته العباس بن على أخاه ، وجعلوا البيوت فى ظهورهم .

وأمر ريحانة رسول الله ﷺ بحطب فالقى فى مكان منخفض كأنه ساقية لئلا يؤتوا من ورائهم وأضرم نارا فى الحطب .

وأقبل عمر بن سعد بن أبى وقاص على رأس جيشه ، فلما دنوا من الحسين بن على أمر فضرب له فسطاط ، ثم أمر بمسك فميث - وضع - فى جفنة ، ثم دخل حفيد رسول الله ﷺ فاستعمل النورة ، ووقف عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير بن خضير الهمذانى على باب الفسطاط وازدحما أيهما يطلى - بالمسك - بعد ريحانة رسول الله ﷺ ، فجعل برير بن خضير يهاذل عبد الرحمن بن عبد ربه فقال له :

- والله ما هذه بساعة باطل .

فقال برير :

- والله إن قومى قد علموا أنى ما أحببت الباطل شابا ولا كهلاً ، ولكنى مستبشر مما نحن لاقون ، والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم .

فلما فرغ ريحانة رسول الله ﷺ دخل عبد الرحمن بن عبد ربه وبرير بن خضير .

ثم ركب سبط رسول الله ﷺ دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه .

واقتتل أصحاب الحسين بن على بين يديه ـ أمامه ـ فرفع يديه إلى السماء وقال :

ـ اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ورجائى فى كل شدة ، وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدو وأنزلته بك وشكوته إليك رغبة إليك عمن سواك فرجته وكشفته وكفيتنيه ، فأنت ولى كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة .

نظر أصحاب عمر بن سعد بن أبى وقاص نحو النار التى تلتهب فى الحطب فنادى شمر بن ذى الجوشن حفيد رسول الله ﷺ وقال له :

ـ تعجلت النار فى الدنيا قبل القيامة .

فعرفه ريحانة رسول الله ﷺ فقال له :

ـ أنت أولى بها صليا .

ثم ركب سبط رسول الله ﷺ راحلته وتقدم إلى الناس فنادى بصوت عال يسمعه كل الناس :

أيها الناس اسمعوا قولى ولا تعجلونى حتى أعظكم بما يجب لكم على وحتى أعتذر إليكم من مقدمى عليكم ، فإن قبلتم عذرى وصدقتم قولى وأنصفتمونى كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا منى العذر : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾ . [سورة يونس الآية : ٧١] . ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٩٦] .

فلما سمعت زينب بنت على وأخوته قوله بكين وصحن وارتفعت أصواتهن ، فأرسل إليهن العباس بن على وابنه عليا ليسكتاهن وقال الحسين :

ـ لعمرى ليكثرن بكاءهن .

فلما ذهب أخوه العباس وابنه على قال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ لا يبعد ابن عباس ـ يعنى ابن عمه عبد الله بن عباس فقد نصحه ألا يخرج بأهله ونسائه معه .

فلما سكتن حمد حفيد رسول الله ﷺ الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء وقال :

أما بعد :

فانسبونى فانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلى وانتهاك حرمتى ، ألست ابن نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبى ؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار فى الجنة عمى ؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم : أن رسول الله ﷺقال لى ولأخى ـ الحسن ـ : أنتما سيدا شباب أهل الجنة ، وقرة عين أهل السنة ؟ فإن صدقتمونى بما أقول وهو الحق ، والله ما تعمدت كذا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، وإن كذبتمونى فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله أو أبا سعيد ـ الخدرى ـ أو سهل بن سعد أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوه من رسول الله ﷺ، أما فى هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمى ؟

لو سمعت الحجارة هذا القول لرقت فهل رقت قلوب أصحاب أمير البصرة والكوفة؟

قال شمر بن ذى الجوشن لحفيد رسول الله ﷺ :

ـ هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما يقول .

فرد عليه حبيب بن مطهر :

ـ والله إنى أراك تعبد الله على سبعين حرفا ، وإن الله قد طبع على قلبك فلا

تدرى ما تقول .

فقال سبط رسول الله ﷺ :

- فإن كنتم فى شك مما أقول أو تشكون فى أنى ابن بنت نبيكم ، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبى غيرى .

فلم يجبه منهم مجيب .

فعاد حفيد رسول الله ﷺ يتساءل :

- أتطلبونى بقتيل منكم قتلته ، أو بمال استهلكته ، أو بقصاص من جراحة ؟

فسكتوا لا يحيرون جوابا .

فراح ريحانة رسول الله ﷺ يتفرس رءوس جيش أمير البصرة والكوفة ونادى :

يا شبث بن ربعى ، ويا حجار بن أبجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحارث : ألم تكتبوا إلى فى القدوم عليكم ؟ ألم تكتبوا إلى : أن قد أينعت الثمار واخضرت الجنان وطمت الجمام ، وإنما تقدم على جند لك مجند فأقبل ؟

هل كانت لديهم الشجاعة واعترفوا بذلك ؟ هل تمزقت كلماته بددا ؟ قالوا :

- لم نفعل .

قال الحسين بن على :

- بل فعلتم .

ثم قال حفيد رسول الله ﷺ :

- أيها الناس إذ كرهتمونى - كرهتم - فدعونى أنصرف إلى مأمنى من الأرض .

فقال له قيس بن الأشعث :

- أولا تنزل على حكم ابن عمك - يعنى عبيد الله بن زياد ؟ فإنك لن ترى إلا ما تحب .

فقال حفيد رسول الله ﷺ :

ـ أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله ولا أعطيهم بيدى عطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبد .

عباد الله إنى عذت بربى وربكم أن ترجمون ، أعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .

ثم أناخ راحلته ونزل عنها .

وخرج زهير بن القين على فرس له فى السلاح فقال :

يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار ، إن حقا على المسلم نصيحة المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدرون منهما إلا سوءا ، يسملان ـ سمل العين: فقؤها بحديدة محماة ـ أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ـ يعنى الشنق والصلب ـ يقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه .

فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد وقالوا :

ـ والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سالما .

فقال زهير بن القين :

ـ يا عبد الله إن ولد فاطمة ـ يعنى بنت رسول الله ﷺ ـ أحق بالود من ابن سمية، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ، خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد ابن معاوية فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين .

فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال :

ـ اسكت أسكت الله نأمتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك .

فقال زهير بن القين :

ـ يا ابن البوال على عقبيه ، ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم .

فقال شمر بن ذى الجوشن :

ـ إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة .

قال زهير بن القين :

ـ أفبالموت تخوفنى ؟ والله للموت معه أحب إلى من الخلد معكم .

ثم رفع صوته وقال :

ـ عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى ، فوالله لا تنال شفاعة محمد ﷺ قومًا أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب ـ دفع ـ عن حريمهم .

فأمره الحسين بن على فرجع .

تقدم الحر بن يزيد نحو أميره عمر بن سعد فسأله :

ـ أصلحك الله ، أمقاتل هذا الرجل ؟

قال عمر بن سعد :

ـ إى والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس ولا تطيح الأيدى .

فقال الحر بن يزيد :

ـ أفما لكم فى واحدة من الخصال الثلاث التى عرض عليكم ؟

قال عمر بن سعد :

ـ والله لو كان الأمر إلى لفعلت ، ولكن أميرك قد أبى ذلك .

فسكت الحر بن يزيد . . ثم أقبل يدنو نحو الحسين بن على قليلا قليلا ، وأخذته رعدة فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس :

ـ والله إن أمرك لمريب ، والله ما رأيت منك فى موقف قط ما أراه الآن ، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك .

فقال الحر بن يزيد :

ـ إنى والله أخير نفسى بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئًا ولو قطعت وحرقت .

وضرب الحر بن يزيد فرسه ولحق بحفيد رسول الله ﷺ فقال له :

ـ جعلنى الله فداك يا ابن رسول الله ، لقد جئتك تائبا مما كان منى إلى ربى مواسيا لك بنفسى حتى أموت بين يديك ، أفترى ذلك توبة ؟

قال سبط رسول الله ﷺ :

ـ نعم يتوب الله عليك ويغفر لك .

وتقدم الحر بن يزيد أمام أصحابه ثم التفت إلى معسكر عمر بن سعد بن أبى وقاص وقال :

ـ أيها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله ؟

قال عمر بن سعد :

ـ لقد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلا .

فقال الحر بن يزيد :

- يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر ، أدعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، وأحطتم به ومنعتموه من التوجه فى بلاد الله العريضة فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ؟ ومنعتموه ومن معه من ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش ؟ بئسما خلفتم محمدا فى ذريته ، لا سقاكم الله يوم الظمأ - الفزع الأكبر - إن لم تتوبوا وتنزعوا - ترجعوا - عما أنتم عليه .

فرموه بالنبل ، فرجع حتى وقف أمام الحسين .

* لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئًا :

أخذ عمر بن سعد بن أبى وقاص سهما فرمى به وقال لأصحابه :

- اشهدوا لى أنى أول رام .

وبرز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد وطلبا البراز فخرج إليهما عبد الله بن عمير الكلبى - كان قد أتى الحسين بن على من الكوفة ومعـه امرأتـه أم وهب - فقالا له :

- من أنت ؟

فانتسب لهما فقالا :

- لا نعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مطهر أو برير بن حضير .

وكان يسار أمام سالم فقال له عبد الله بن عمير الكلبى :

- يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس وما يخرج إليك أحد إلا وهو خير منك ؟

ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه ، فحمل عليه سالم فلم

يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبى بيده فأطار أصابع يده اليسرى ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله ، وأخذت امرأته عمودا وأقبلت نحو زوجها وهى تقول :

ـ فداك أبى وأمى ، قاتل دون الطيبين ذرية محمد ﷺ .

فردها نحو النساء .

فامتنعت وقالت :

ـ لن أدعك دون أن أموت معك .

فناداها الحسين وقال :

ـ جزيتم عن أهل بيت خيرا ارجعى رحمك الله ، ليس الجهاد إلى النساء فرجعت أم وهب .

زحف عمرو بن الحجاج فى ميمنة جيش عمر بن سعد ، فلما دنا ـ اقترب ـ من حفيد رسول الله ﷺ جثوا على الركب وأشرعوا الرماح نحوهم ، فلم تتقدم خيل الكوفيين فذهبت ثم رجعت فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وجرحوا آخرين .

وتقدم رجل منهم يقال له : ابن حوزة فقال :

ـ أفيكم الحسين ؟

فلم يجبه أحد ، فقالها ثلاثا ، فقال أصحاب ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ نعم ، فما حاجتك ؟

قال ابن حوزة :

ـ يا حسين أبشر بالنار .

فقال سبط رسول الله ﷺ :

ـ كذبت ، بل أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع ، فمن أنت ؟

قال الرجل :

- ابن حوزة .

فرفع حفيد رسول الله ﷺ يديه إلى السماء وقال :

- اللهم حزه إلى النار .

فغضب ابن حوزة وأقحم فرسه فى نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقى جنبه الآخر متعلقا بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات وهو على فرسه .

وكان مسروق بن وائل الحضرمى قد خرج مع الكوفيين وقال :

- لعلى أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد .

فلما رأى مسروق بن وائل ما صنع بابن حوزة بدعاء سبط رسول الله ﷺ ركبه الخوف ورجع وقال :

- لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئًا ، لا أقاتلهم أبدا .

* إن الله لم يضل أخاك بل هداه :

خرج عمرو بن قرظة الأنصارى وقال لحفيد رسول الله ﷺ :

- والذى نفسى بيده لاقاتلن دونك حتى أقتل أو يقضى الله أمرا كان مفعولا .

فخرج عمرو بن قرظة وقاتل الكوفيين حتى قتل ، فأقبل أخوه من بين جيش الكوفيين ونادى :

- يا حسين يا كذاب ابن الكذاب ، أضللت أخى وغررته حتى قتلته .

فقال الحسين بن على :

- إن الله لم يضل أخاك بل هداه وأضلك .

فقال ابن قرظة الأنصارى :

- قتلنى الله أن أقتلك أو أموت دونك .

فانطلق بفرسه نحو الحسين بن على فاعترضه نافع بن هلال المرادى فطعنه فسقط على الأرض فحمله أصحابه فاستنقذوه .

صاح عمرو بن الحجاج :

ـ أتدرون من تقاتلون ؟ فرسان المصر ، قوما مستميتين ، لا يبرز إليهم منكم أحد فإنهم قليل وقل ما يبقون والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم ، يا أهل الكوفة ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، لا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين وخالف الإمام .

فقال عمر بن سعد بن أبى وقاص :

ـ الرأى ما رأيت .

ومنع الكوفيين من المبارزة :

فلما سمع حفيد رسول الله ﷺ ذلك قال :

ـ يا عمرو بن الحجاج أعلى تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين أم أنتم والله لتعلمن لو قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم أينا المارق .

* على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله :

حمل شمر بن ذى الجوشن على أصحاب الحسين بن على حتى بلغ فسطاط حفيد رسول الله ﷺ فنادى :

ـ على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله .

فصاح النساء وخرجن .

وصاح سبط رسول الله ﷺ :

ـ أنت تحرق بيتى على أهلى ؟ حرقك الله بالنار .

فقال حميد بن مسلم لشمر بن ذى الجوشن :

- إن هذا لا يصلح لك ، تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء ؟ والله إن فى قتل الرجال لما يرضى به أميرك .

فلم يقبل شمر بن ذى الجوشن منه ، فجاءه شبث بن ربعى فنهى شمر بن ذى الجوشن فانتهى وانصرف عن حرق فسطاط ريحانة رسول الله ﷺ .

* سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى :

لما حضر وقت الصلاة قال أبو ثمامة الصائدى لحفيد رسول الله ﷺ:

- نفسى لنفسك الفداء ، أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، والله لا تقتل حتى أقتل دونك ، وأحب أن ألقى ربى وقد صليت هذه الصلاة .

فرفع سبط رسول الله ﷺ رأسه وقال :

- ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين ، نعم هذا أول وقتها .

ثم قال الحسين بن على لأصحابه :

- سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى .

فبرز إليهم حبيب بن مطهر وقال :

- كفوا عنا حتى نصلى .

فقال عمر بن سعد بن أبى وقاص :

- نفعل .

فقال الحصين :

- إنها لا تقبل .

فقال له حبيب بن مطهر :

- زعمت ألا تقبل الصلاة من آل رسول الله ﷺ وتقبل منك يا حمار ؟

فحمل الحصين على حبيب بن مطهر فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه

الحصين فاستنقذه الكوفيون .

وقاتل حبيب بن مطهر قتالا شديدا فقتل رجلا من بنى تميم يقال له : بديل بن صريم ، فحمل عليه آخر من بنى تميم فطعن حبيب بن مطهر فسقط على الأرض ولما حاول النهوض ضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع حبيب ونزل إليه التميمى فاحتز رأسه فقال له الحصين :

ـ أنا شريكك فى قتله .

فقال التميمى :

ـ لا والله .

فقال الحصين :

ـ أعطنيه أعلقه فى عنق فرسى كما يرى الناس أنى شركت فى قتله ثم خذه وامض به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجة لى فيما تُعطاه .

فوافق التميمى على ذلك .

* يا أخية لا تجزعى :

تقول فاطمة بنت الحسين :

ودارت المعركة بين الآلاف والعشرات .

وجعل أصحاب حفيد رسول الله ﷺ يتقدمون رجلا رجلا وقاتلوا حتى انتصف النهار أشد قتال وقام ريحانة رسول الله ﷺ فصلى بمن بقى معه صلاة الخوف ظهرا . . وعادوا إلى القتال ولما رأى أصحاب ريحانة رسول الله ﷺ أنهم ليس فى وسعهم أن يمنعوا إمامهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه حتى ماتوا جميعًا .

ولم يبق غير أهل بيت حفيد رسول الله ﷺ .. فتقدموا وكأنهم يبحثون عن الشهادة تقدم على الأكبر بن الحسين فشد على الناس وهو يرتجز :

أنا على بن الحسين بن على

نحن ورب بيت الله أولى بالنبى

....

أضربكـــم بالسيف حتى يلتوى

ضـــرب غلام هاشمى علـــوى

ولا أزال اليوم أحـــمى عن أبى

تالله لا يحكـــم فينا ابن الدعى

وكان على الأكبر يكر على الكوفيين ، ثم يرجع إلى أبيه يقول :

ـ يا أباه : العطش .

فيقول له الحسين بن على :

ـ اصبر بنى ، فإنك لا تمسى حتى يسقيك رسول الله ﷺ بكأسه .

وعاد على الأكبر يصول ويجول حتى رمى بسهم فى نحره فأقبل يتقلب فى دمه فاحتواه حفيد رسول الله ﷺ بين ذراعيه وقال :

ـ قتل الله قوما قتلوك يا بنى ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله ﷺ وأقبلت حفيدة رسول الله ﷺ تنادى فى جزع :

ـ يا حبيباه يا ابن أخاه .

فقال الحسين لأخته زينب :

ـ يا أخية لا تجزعى .

وأخذ بيدها وأدخلها الفسطاط .

*** اللهم إنى أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك**

تقول فاطمة بنت الحسين :

ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، رماه بسهم عمرو بن صبيح الصدائى

ثم حمل الناس على آل البيت من كل جانب فقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن نفيل بن أبى طالب ، وجعفر بن نفيل

وحمل عمرو بن سعد بن نفيل الأزدى على القاسم بن الحسن بن على فضرب رأسه بالسيف فسقط وصاح :

ـ يا عماه

فانتفض حفيد رسول الله ﷺ فحمل حملة ليث أغضب فضرب عمرا بالسيف فقطع يده من المرفق فصاح عمرو بن سعد بن نفيل فأقبلت خيل الكوفة تستنقذه فوطئته حتى مات

ووقف الحسين بن على على رأس القاسم وهو يفحص برجليه فقال ريحانة رسول الله ﷺ :

ـ بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة غير جدك ﷺ .

ثم قال حفيد رسول الله ﷺ :

ـ عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته ، هذا والله يوم كثر وتره وقل ناصره .

ثم حمله وألقاه مع ابنه على ومن قتل من أهل بيته .

ودعا سبط رسول الله ﷺ بابنه عبد الله وهو صغير فجاءت به فاطمة بنت الحسين وأجلسته فى حجر أبيها فرماه رجل من بنى أسد بسهم فى رقبته فذبحه .

أخذ حفيد رسول الله ﷺ دم ابنه عبد الله وصبه على الأرض وقال :

ـ رب إن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير ، وانتقم من الظالمين .

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوى أبا بكر بن الحسين فقتله

واشتد العطش بريحانة رسول الله ﷺ فدنا من نهر الفرات ليشرب فرماه رجل من أهل الكوفة بسهم فوقع فيه ، فجعل يتلقى الدم بيده ورمى إلى السماء وهو يقول :

اللهم إنى أشكوا إليك ما يصنع بابن بنت نبيك .

اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا .

* مقتل حفيد رسول الله ﷺ :

تقول فاطمة بنت الحسين :

حمل الكوفيون على الحسين بن على من كل جانب ، فحمل عبد الله بن قطبة - قطية - الطائى على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقتله ، وحمل عثمان ابن خالد بن أسير الجهنى وبشر بن سوط الهمدانى على عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب فقتلاه ، ورمى عبد الله - عبد الرحمن - بن عروة الخثعمى جعفر بن عقيل بن أبى طالب فقتله .

ثم قال سبط رسول الله ﷺ :

- عــز والله على عمـك أن تدعـوه فـلا يجيبك أو يجيبك ثـم لا ينفعـك صـوتـه - صوت - والله هذا يوم كثر وتره وقل ناصره .

ثم احتمل ريحانة رسول الله ﷺ ابن أخيه على صدره ووسده مع ابنه على ومن قتل من أهل بيته .

وبقى الحسين بن على وحده ولكنه راح يقاتل فكان الكوفيون ينكشفون عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب .

وبينما حفيد رسول الله ﷺ يقاتل وحده خرجت حفيدة رسول الله ﷺ وهى تقول :

- ليت السماء انطبقت على الأرض .

ثم دنت زينب بنت على بن أبى طالب وقالت لعمر بن سعد بن أبى وقاص ـ كان سعد بن أبى وقاص خال النبى ﷺ فهو ابن عم آمنة بنت وهب أم خاتم النبيين ﷺ ـ فقالت :

ـ يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ؟

فدمعت عينا عمر بن سعد حتى سالت دموعه على خديه ولحيته ، وصرف وجهه عن حفيدة رسول الله ﷺ .

وأقبل الحسين بن على يقاتل ويشد على خيل الكوفيين وهو يقول :

ـ أعلى تجتمعون ؟ أما والله لا تقتلون بعدى عبدا من عباد الله أسخط عليكم لقتله منى ، وأيم الله لو قتلتمونى لألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم .

ومكث ريحانة رسول الله ﷺ يقاتل رابط الجأش ويقاتل قتال الفارس الشجاع ومكث طويلا من النهار ، ولو شاء الكوفيون أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء ، فنادى شمر بن ذى الجوشن :

ـ ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم .

فحملوا على حفيد رسول الله ﷺ من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمى على كفه اليسرى ، وضرب أيضًا على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو .

وحمل عليه فى تلك الحال سنان بن أنس النخعى فطعنه بالرمح فوقع ريحانة رسول الله ﷺ ، فقال سنان لخولى بن يزيد الأصبحى :

ـ احتز رأسه .

وأراد خولى بن يزيد أن يحز رأس سبط رسول الله ﷺ فضعف وأرعد ، فقال له

سنان بن أنس النخعي :

ـ فت ـ كسر ـ الله عضدك .

ونزل إليه فذبح حفيد رسول الله ﷺ واحتز رأسه ودفعه إلى خولى بن يزيد الأصبحى .

* سلب ريحانة رسول الله ﷺ :

تقول فاطمة بنت الحسين :

سلب الكوفيون ما كان على الحسين بن على فأخذ سراويله بحر بن كعب .

وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وهى من خز ـ الخز : الثوب من الصوف ـ فكان يسمى بعد ذلك قيس قطيفة .

وأخذ نعليه الأسود الأودى .

وأخذ سيفه رجل من درام .

ومال الكوفيون على الورس ـ نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه ، وورس الثوب : إذا صبغه بالورس ـ والحلل والإبل فانتهبوها ، ونهبوا ثقله ومتاعه وما كان على النساء حتى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها .

* رأس حفيد رسول الله ﷺ فى الكوفة :

راحت خيل الكوفيين تطأ جثث الشهداء ، وانتهوا إلى على بن الحسين زين العابدين ـ ابن حفيدة كسرى ـ فأراد شمر بن ذى الجوشن قتله ، فقال له حميد بن مسلم :

ـ سبحان الله أتقتل الصبيان ؟

وكان على بن الحسين زين العابدين مريضا فجاء عمر بن سعد بن أبى وقاص وقال :

ـ لا يدخلن بيت هذه النسوة أحد ولا يعرض لهذا الغلام المريض ، ومن أخذ من متاعهم شيئًا فليرده .

فلم يرد أحد شيئًا .

قال الناس لسنان بن أنس النخعى :

ـ قتلت الحسين بن على وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قتلت أعظم العرب خطرا ، أراد أن يزيل ملك هؤلاء فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم فإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم فى قتله كان قليلا .

فاقبل سنان بن أنس النخعى على فرسه ووقف بباب فسطاط عمر بن سعد بن أبى وقاص وقال بأعلى صوته :

أوقر كـــابى فضة وذهبا　　إنى قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا　　وخيرهــم إذ ينسبون نسبا

وكان عدد من قتل من أصحاب ريحانة رسول الله ﷺ اثنين وسبعين رجلا وكان بجثة حفيد رسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون طعنة ، وثلاثون ضربة ، غير الرمية .

وغربت شمس العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة وأرض كربلاء غارقة فى الدماء .

وأرسل رأس حفيد رسول الله ﷺ ورؤوس أصحابه إلى عبيد الله بن زياد أمير البصرة والكوفة مع خولى بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدى ، فوجد خولى القصر مغلقا ، فأتى منزله فوضع رأس الحسين بن على تحت إجانة فى منزله ودخل فراشه وقال لامرأته النوار :

ـ جئتك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معى فى الدار .

فانتفضت النوار وكأن عقربا لدغتها وقالت :

- ويلك ، جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ ؟ والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا .

وقامت النوار من الفراش فخرجت إلى الدار .

تقول امرأة خولى بن يزيد الأصبحى :

- ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ، ورأيت طيرا أبيض يرفرف حولها .

ولما أصبح غدا خولى بن يزيد برأس حفيد رسول الله ﷺ إلى أمير البصرة والكوفة .

وقيل : بل الذى حمل الرؤوس كان شمر بن ذى الجوشن ، وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج ، وعروة بن قيس ، فجلس عبيد الله بن زياد وأذن للناس فأحضرت الرؤوس أمامه وهو ينكث بقضيب بين ثنتيى - شفتى - حفيد رسول الله ﷺ ساعة ، فلما رآه الصحابى الجليل زيد بن الأرقم لا يرفع قضيبه قال :

- أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوا الذى لا إلـه غيره لقد رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما .

ثم بكى زيد بن الأرقم .

فقال له عبيد الله بن زياد :

- أبكى الله عينيـك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفـت وذهب عقلك لضربت عنقك.

فخرج زيد بن الأرقم من قصر أمير البصرة والكوفة وهو يقول :

- أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة - يعنى ابن زياد - فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم ، فرضيتم بالذل ، فبعدا لمن

يرضى بالذل .

وأقام عمر بن سعد بن أبى وقاص بعد مقتل الحسين بن على يومين ثم ارتحل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان ، وعلى بن الحسين زين العابدين مريض ، فاجتازوا بهم على حفيد رسول الله ﷺ وأصحابه صرعى ، فصاح النساء ولطمن خدودهن ، وصاحت زينب حفيدة رسول الله ﷺ وقالت :

ـ يا محمداه صلت عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا ـ ريح الصفا وهى شديدة تحمل الرمل ـ .

فأبكت كل عدو وصديق .

ولما أدخلوا بنات الحسين وأخواته على أمير البصرة والكوفة لبست حفيدة رسول الله ﷺ أرذل ثيابها ، وتنكرت وحفت بها إماؤها فتساءل عبيد الله بن زياد :

ـ من هذه الجالسة ؟

فلم تكلمه .

فقال ذلك ثلاثا وهى لا ترد عليه ، فقال بعض إمائها :

ـ هذه زينب بنت فاطمة .

فقال لها عبيد الله بن زياد :

ـ الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم .

فقالت حفيدة رسول الله ﷺ :

ـ الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر .

فعاد أمير البصرة والكوفة يتساءل :

ـ فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟

قالت حفيدة المصطفى ﷺ :

ـ كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده .

فغضب ابن زياد وقال :

ـ شفى الله غيظى من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك .

فبكت حفيدة النبى الخاتم ﷺ وقالت :

ـ لعمرى قتلت كهلى ، وأبرزت أهلى ، وقطعت فرعى ، واجتثثت ـ اقتلعت ـ أصلى ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت .

فقال عبيد الله بن زياد :

ـ هذه شجاعة ، لعمرى لقد كان أبوك ـ على بن أبى طالب ـ شجاعا .

فقالت حفيدة سيد الأولين والآخرين ﷺ :

ـ ما للمرأة والشجاعة .

ونظر عبيد الله بن زياد إلى على بن الحسين زين العابدين فسأله :

ـ ما اسمك ؟ .

قال زين العابدين :

ـ على بن الحسين .

قال أمير البصرة والكوفة :

ـ أو لم يقتل الله على بن الحسين ـ على بن الحسين الأكبر ـ؟

فسكت زين العابدين ، فقال عبيد بن زياد :

ـ مالك لا تتكلم ؟

فقال زين العابدين :

ـ كان لى أخ يقال له أيضا : على فقتله الناس .

فقال عبيد الله بن زياد :

ـ إن الله قتله .

فسكت زين العابدين :

فقال أمير البصرة والكوفة :

ـ ما لك لا تتكلم ؟

قال على بن الحسين :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة الزمر الآية : ٤٢] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٤٥] .

فقال عبيد الله بن زياد :

ـ أنت والله منهم .

ثم قال لرجل :

ـ ويحك انظر هذا هل أدرك ؟ إنى لأحسبه رجلا .

فكشف عن زين العابدين مرى بن عاذ الأحمرى وقال :

ـ نعم قد أدرك .

قال أمير البصرة والكوفة :

ـ اقتله .

فتساءل على بن الحسين :

ـ من توكل بهذه النسوة ؟

وتعلقت به حفيدة حبيب الرحمن ﷺ وقالت :

- يا ابن زياد حسبك منا - كفى ما قتلت من أهل البيت - أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟

واعتنقت زينب بنت فاطمة الزهراء على بن الحسين زين العابدين وقالت لأمير البصرة والكوفة :

- أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلتنى معه .

فقال على بن الحسين :

- يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الإسلام فنظر عبيد الله بن زياد إلى زينب بنت على بن أبى طالب ساعة ثم قال :

- عجبا للرحم ، والله لأظنها ودت لو أنى قتلته أنى قتلتها معه .

ثم أشار عبيد الله بن زياد بيده وقال :

- دعوا الغلام ينطلق مع نسائه .

ثم نادى أمير البصرة والكوفة :

- الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس ، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر فخطبهم وقال :

- الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته .

فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدى ثم الوالبى وكان ضريرا قد ذهبت إحدى عينيه يوم وقعة الجمل مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب والأخرى بصفين معه أيضا، وكان لا يفارق المسجد يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف ، فلما سمع مقالة أمير البصرة والكوفة قال :

ـ يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذى ولاك وأبوه ـ يعنى يزيد وأباه معاوية ـ يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين ؟

فقال عبيد الله بن زياد :

ـ على به .

فأخذوا عبد الله بن عفيف الأزدى ، فنادى بشعار الأزد .

ـ يا مبرور .

فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه ، فأرسل أمير البصرة والكوفة إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه فى المسجد . . . فصلب .

* رأس حفيد رسول الله ﷺ فى الشام :

أمر عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن على فطيف به فى الكوفة وقد حمل على خشبة ثم أرسل أمير البصرة والكوفة رأس ريحانة رسول الله ﷺ ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية .

وقيل :

مع شمر بن ذى الجوشن وجماعة معه ، وأرسل مع النساء والصبيان ومعهم على ابن الحسين زين العابدين وقد جعل ابن زياد القياد فى يديه ورقبته وحملهم على الأقتاب ـ القتب : إكاف البعير ـ.

ولم يكلمهم على بن الحسين فى الطريق حتى بلغوا الشام .

ولما دخل زحر بن قيس على يزيد بن معاوية سأله :

ـ ما وراءك ؟

قال زحر بن قيس :

ـ أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية من

أهله وستين من شيعته فسرنا إليهم فسألناهم أن ينزلوا على حكم عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون ـ يلجؤون ويحتمون ـ بالإكام والحفر ، كما لاذ الحمائم من صقر فوالله ما كان إلا جزر جزور ، أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة ، وخدودهم معفرة ، تصهرهم الشمس ، وتسفى عليهم الريح ، زوارهم العقبان والرخم وبقى ـ بقى : قفر الأرض والخلاء ـ سبيهم ـ

ودخلوا على يزيد برأس الحسين فألقوا بها بين يديه ـ أمامه ـ وكان معه قضيب فراح ينكث به ثغره ـ فم الحسين ـ ثم قال : كما قال الحصين بن الحمام :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت   قواضب فى أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رجال أعزة   علينا وكانوا أعق وأظلما

فقال له الصحابى الجليل أبو برزة الأسلمى :

ـ أتنكث بقضيبك فى ثغر الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك فى ثغره مأخذا ، بما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه ، أما أنك يا يزيد تجىء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجىء هذا ـ يعنى حفيد رسول الله ﷺ ـ ومحمد ﷺ شفيعه ـ خصيمك يا يزيد .

ثم قام الصحابى الجليل أبو برزة الأسلمى وغادر قصر يزيد بن معاوية .

ثم أدخل نساء الحسين على يزيد ورأس حفيد رسول الله ﷺ أمامه ، فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا حفيد رسول الله ﷺ تتطاولان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس ، فلما رأين الرأس صحن ، فصاح نساء يزيد بن معاوية وولول ـ وولولن ـ بنات معاوية فقالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبر من سكينة :

ـ أبنات رسول الله ﷺ سبايا يا يزيد ؟

قال يزيد بن معاوية :

ـ يا ابنة أخى أنا لهذا كنت أكره .

قالت فاطمة بنت الحسين :

ـ والله ما ترك بنا خوص ـ الخوص : الحلقة من الذهب والفضة .

فقال يزيد بن معاوية :

ـ ما أتى إليكن أعظم مما أخذ منكن .

فقام رجل من أهل الشام فقال ليزيد بن معاوية :

ـ هب لى هذه ـ يعنى فاطمة بنت الحسين .

فأخذت فاطمة بثياب أختها زينب وكانت أكبر منها فقالت زينب :

ـ كذبت ولؤمت ، ما ذاك لك ولا له .

فغضب يزيد بن معاوية وقال :

ـ كذبت والله ، إن ذلك لى ولو شئت أفعله لفعلته .

قالت زينب بنت على :

ـ كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا .

فغضب يزيد بن معاوية واستطار ثم قال :

ـ إياى تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك .

فقالت حفيدة رسول الله ﷺ :

ـ بدين الله ودين أبى وأخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك .

قال يزيد بن معاوية :

ـ كذبت يا عدوة الله .

قالت زينب بنت على :

ـ أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك ؟

فاستحى وسكت .

ثم أخرجهن وأدخلهن دور نسائه ، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأقمن المأتم وسألهن عما أخذ منهن فأضعفنه لهن .

ثم أمر يزيد بعلى بن الحسين فأدخل مغلولا فقال :

ـ لو رآنا رسول الله ﷺ مغلولين لفك عنا .

فقال يزيد بن معاوية :

ـ صدقت .

وأمر بفك غله عنه ، فقال على بن الحسين :

ـ لو رآنا رسول الله ﷺ بعداء لأحب أن يقربنا .

فأمر يزيد بن معاوية به فقرب منه وقال له :

ـ إيه يا على بن الحسين ، أبوك الذى قطع رحمى ، وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما رأيت .

فقال على بن الحسين :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة الحديد الآية : ٢٢ ـ ٢٣] .

فقال يزيد بن معاوية :

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم ﴾ [سورة الشورى الآية : ٣٠] .

لقد تحققت نبوءة الصادق المصدوق ﷺ سنة إحدى وستين من الهجرة فغرقت أرض كربلاء بدم حفيد رسول الله ﷺ .. وذبح الفراخ فراخ آل محمد ﷺ خليفة

مستخلف مترف على يد كلب أبقع .

وقيل :

لما قتل ريحانة رسول الله ﷺ حمل أهل الشام بنات آل البيت سبايا على أحقاب الإبل ، فلما دخلن على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قالت فاطمة بنت الحسين :

- يا يزيد : أبنات رسول الله ﷺ سبايا ؟

قال يزيد :

- بل حرائر كرام أدخلى على بنات عمك تجدين قد فعلن

فدخلت فاطمة بنت الحسين إليهن فما وجدت فيهن سفيانية - نسبة إلى أبى سفيان ابن حرب - إلا متلدمة تبكى

* من مسانيدها

روت فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة مرسلا

وعن أبيها وعمتها زينب بنت على ، وبلال المؤذن ، وعبد الله بن عباس ، وأسماء بنت عميس ، وعائشة بنت أبى بكر ، وعن على بن الحسين ، وزين العابدين ابن على .

وروى عنها أولادها : عبد الله ، وإبراهيم ، وحسين ، وأم جعفر بنو الحسن بن الحسن بن على ، ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان ، وعائشة بنت طلحة ، وعمارة بن عزمة ، وهشام بن زياد ، ويحيى بن أبى يعلى ، وشيب بن نعامة .

وروى لها أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وذكرها ابن حبان فى الثقات .

* وفاتها

توفيت فاطمة بنت الحسين سنة مائة وعشر من الهجرة .

وكانت ابنة سبعين سنة .

غفيرة العابدة

* نسبها

هى غُفيرة بنت الوليد

من عابدات البصرة

* أرانى فى شىء وأراك فى شىء

دخل روح بن سلمة الوراق على غفيرة العابدة فقال لها :

ـ بلغنى أنك لا تنامين بالليل

فبكت غفيرة ثم قالت :

ـ ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه ، وكيف ينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظه ليلا ونهاراً

قال روح بن سلمة الوراق :

فأبكتنى والله

وقلت لنفسى :

ـ أرانى فى شىء وأراك فى شىء

* عمى العين عن الدنيا

قال يحيى بن بسطام :

دخلت مع نفر من أصحابنا على غفيرة وكانت قد تعبدت وبكيت وعميت

فقال بعض أصحابنا لرجل إلى جنبه :

ـ ما أشد العمى على من كان بصيرا

فسمعته غفيرة فقالت :

ـ يا عبد الله : عمي القلب والله عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله وددت أن الله وهب لى كنه محبته وأنه لم تبقى منى جارحة إلا أخذها

* يا غفيرة ادعى الله لنا

يقول محمد بن عبيد :

دخلنا على امرأة بالبصرة يقال لها غفيرة

فقيل لها :

ـ يا غفيرة : ادعى الله لنا

فقالت :

لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم ، ولكن المحسن أمر المسىء بالدعاء جعل الله قراركم الجنة ، وجعل الموت منى ومنكم على بال

* اليوم يوم فرح وسرور

يقول يحيى بن راشد :

كنا عند غفيرة العابدة فقدم ابن أخ لها كانت طالت غيبته فبشرت به فبكت فقيل لها:

ـ ما هذا البكاء ؟ اليوم يوم فرح وسرور .

فازدادت بكاء

فقيل لها :

ـ أما تسأمين من طول البكاء ؟

فبكت ثم قالت :

ـ يا بنى : كيف يسأم ذو داء من شىء يرجو أن له فيه من دائه شفاء ؟

ثم بكت

ثم قالت :

ـ والله ما أجد للسرور فى قلبى مسكنا مع ذكر الآخرة ، ولقد أذكرنى قدوم ابن أخى يوم القدوم على الله ، فمن بين مسرور ومثبور ـ هالك خاسر ـ .

ثم بكت

ثم قالت :

عصيتك بكل جارحة منى على حدتها ، والله لئن أعنت لأطيعنك ما استطعت بكل جارحة عصيتك بها ثم بكت حتى غشى عليها .

فقمنا وخرجنا وتركناها

* إلهى

كانت غفيرة تقول :

إلهى وسيدى ومولاى

لو أنك عذبتنى بعذابك كله لكان ما فاتنى من قربك أعظم عندى من العذاب

ولو نعمتنى بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حبك فى قلبى أكثر

إنى أحب ربى حبا شديدا

فلو أمر بى إلى النار ما وجدت للنار حرارة مع حبه

ولو أمر بى إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه

لأن حبه هو الغالب على

* الموت

يقول يحيى بن بسطام :

قلت لغفيرة :

ـ ما تشتهين ؟

قالت :

ـ الموت

قلت :

ـ لم ؟

قالت :

ـ لأنى والله فى كل يوم أصبح أخشى على نفسى جناية يكون فيها عطبى أيام الآخرة .

فقلت :

ـ يا غفيرة : متى يبلغ المتقى الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة ؟

قالت غفيرة :

ـ إذا بلغ المتقى تلك الدرجة العليا التى ليس فوقها درجة لم يكن شىء أحب إليه من القدوم على الله عز وجل

ثم بكت فقمت وخرجت وتركتها

* وجع قلبى

لما اشتكت غفيرة عينيها قيل لها :

ـ يا غفيرة : كيف تجدينك ؟

قالت :

وجع قلبى أشد من وجع عينى

* تركت دين الحق لشهوة

تقول غفيرة :

إن رجلا دخل بلاد الروم فرأى جارية ـ فتاة ـ فافتتن بها فخطبها ، فأبوا أن

يزوجوه بها حتى يتنصر

فأجابهم إلى ذلك

فأحضروا له القسيسين وتنصر

فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت :

- ويحك تركت دين الحق لشهوة ، فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الأبد ؟ أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

أم البنين

* نسبها

هى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان

أخت الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز

زوج أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان

من ربات البلاغة والفصاحة.

* المرأة ريحانة وليست كهرمانة

ذات يوم وفد الحجاج بن يوسف الثقفى على أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك فوجده ، فى نزهة ، فاستقبله ، فلما رآه الحجاج ترجل له وقبل يده وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية

فقال له الوليد :

ـ اركب يا أبا محمد

فقال منافق ثقيف :

ـ دعنى يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد فإن ابن الزبير ـ يعنى عبد الله بن الزبير ففى سنة ثلاث وستين للهجرة بويع لمعاوية بن يزيد بن أبى سفيان بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بالحجاز فكانت الفتنة الثانية حيث قاتل أهل الشام أهل الحجاز وقام الحجاج بن يوسف برمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير ـ وابن الأشعث ـ يعنى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذى هب فى وجه سفاح ثقيف وطالب بخلع الحجاج فقام أهل الكوفة وأهل البصرة ومعهم العلماء : سعيد بن جبير ، وعامر الشعبى ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى وطالبوا بخلع شيطان ثقيف وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فكانت موقعة دير الجماجم وهزيمة ابن الأشعث ـ شغلانى عنك.

فعزم أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على سفاح ثقيف حتى ركب ، ودخل الوليد بن عبد الملك داره وتفضل فى غلالة ثم أذن للحجاج فدخل عليه فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده .

وبينما كان أمير المؤمنين يحادث الحجاج بن يوسف الثقفى إذ جاءت جارية فساررت الوليد ومضت ، ثم عادت فساررته ثم انصرفت

فقال أمير المؤمنين لشيطان ثقيف :

ـ أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد ؟

قال سفاح ثقيف :

ـ لا والله

قال الوليد بن عبد الملك :

ـ بعثتها إلى ابنة عمى أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما مجالستك لهذا الأعرابى المتسلح وأنت فى غلالة ؟ فأرسلت إليها أنه الحجاج فراعها ذلك وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ـ قتل الحجاج عشرات الآلاف وسجن الآلاف من أهل العراق ـ

فقال الحجاج بن يوسف :

ـ يا أمير المؤمنين : دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بكهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ، ولا تطعهن فى غير أنفسهن ، ولا تشغلن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن فى الأمور فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ـ ضعف ـ واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأموال ما يجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرك ، ولا تطل الجلوس معهن والخلوة بهن فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك .

ثم نهض الحجاج فخرج .

* أسد على وفى الحروب نعامة :

دخل الوليد بن عبد الملك على زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان - أخت عمر بن عبد العزيز - فأخبرها بمقولة الحجاج ، فقالت :

- يا أمير المؤمنين : أحب أن تأمره غدا بالتسليم على .

فقال الوليد .

- أفعل .

فلما غدا الحجاج على الوليد قال له :

- يا أبا محمد : سر إلى أم البنين فسلم عليها .

فقال شيطان ثقيف :

- أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين .

فقال الوليد بن عبد الملك :

- لا بد من ذلك .

فمضى منافق ثقيف إلى أم البنين ، فحجبته طويلا ، ثم أذنت له فأقرته قائمًا ، ولم تأذن له بالجلوس ، ثم قالت :

- يا حجاج : أنت المُمْتَنّ على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه ما ابتلاك بهدم الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين ، وأول مولود - للمهاجرين فى المدينة - فى الإسلام ، وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم ، حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت فى أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم وأنجاك كفاحهم ، وطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك من غدائرهن وبعنه فى الأسواق فى أرزاق البعوث إليك ، ولولا ذلك لكنت أذل الناس من النقد .

وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك ، قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أسد على وفى الحروب نعامـــة فزعاء تفزع من صغير الصافـــر

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

ثم قالت أم البنين لجواريها :

ـ أخرجنه عنى .

فدخل الوليد بن عبد الملك من فوره فسأل منافق ثقيف :

ـ يا أبا محمد : ما كنت فيه ؟

قال الحجاج بن يوسف :

ـ والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلى من ظهرها فضحك أمير المؤمنين حتى فحص الأرض برجليه ـ ضرب الأرض برجليه ـ ثم قال :

ـ يا أبا محمد : إنها بنت عبد العزيز .

* أم البنين فى مكة

استأذنت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان فى الحج

فأذن لها

وبينما أم البنين فى الطواف إذ بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهى تقول :

يا وحشتى بعد الأنس

ويا ذلى بعد العز

ويا فقرى بعد الغنى

فقالت لها أم البنين :

ـ ما لك ؟ أذهب لك مال أو أصبت بمصيبة ؟

قالت الجويرية :

ـ لا ولكن كان لى قلب ففقدته

قالت زوجة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك :

ـ هذه مصيبتك ؟

قالت الجويرية :

ـ وأى مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب ؟

فقالت أم البنين :

ـ إن حسن صوتك قد عطل على من سمع كلام الطواف

فقالت الجويرية :

ـ يا أمة الله : البيت بيتك أو بيته ؟

فقالت أم البنين :

ـ بل بيته

قالت الجويرية :

ـ فالحرم حرمك أم حرمه ؟

قالت زوج أمير المؤمنين :

ـ بل حرمه

فقالت الجويرية :

فدعينا نتدلل عليه .

ثم أردفت :

- بحبك لى إلا رددت على قلبى

فقالت أم البنين :

- من أين تعلمين أنه يحبك ؟

قالت الجويرية :

- جيش من أجلى الجيوش وأنفق الأموال وأخرجنى من دار الشرك وأدخلنى فى التوحيد ، وعرفنى نفسه بعد جهلى إياه ، فهل هذا إلا لعناية ؟

قالت زوج الوليد بن عبد الملك :

- كيف حبك له ؟

قالت الجويرية :

- أعظم شىء وأجله

فتساءلت أم البنين

- وتعرفين الحب ؟

قالت الجويرية :

- فإذا جهلت فأى شىء أعرف ؟ إنه الحلو المجتنى ما اقتصر ، فإذا أفرط عاد خبلا قاتلا أو فسادا معطلا ، وهو شجرة غرسها كريه ومجناها لذيذ .

ثم ولت

وأنشأت تقول :

وذى قلق لا يعرف الصبر والعزا ... له مقلة عبرى أضر بها البكا

وجسم نحيل من شجى لاعج الهوى فمن ذا يداوى المستهام من الضنا؟
ولا سيما والحب صعب مرامـــــه إذا عطفت منه العواطف بالفنـــا

* الندم

دخلت عزة كثير ـ عنترة وعبلة وقيس وليلى وعزة وكثير قصص من الحب الذى ضرب به الأمثال ـ على زوج أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ذات يوم فقالت أم البنين :

ـ ما سبب قول كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

قالت عزة :

ـ كنت وعدته قبلة فتخرجت منها

فقالت أم البنين :

ـ أنجزيها وعلى إثمها

تقول أم البنين : فندمت على قولى هذا فأعتقت لكلمتى هذه سبعين رقبة

* أم البنين وعمر بن عبد العزيز

* الذبيح إسماعيل عليه السلام

من الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين عند تفسير قول الحق جل وعلا : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ **[سورة الصافات الآية :**

١٠٢-١١٢].

فقد روى كثير من المفسرين منهم ابن جرير والبغوى والسيوطى على روايات كثير من الصحابة والتابعين وكعب الأحبار - كان حبرًا أى عالما من علماء بنى اسرائيل وأسلم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - أن الذبيح هو إسحاق .

ولم يقف الأمر عند الوقوف على الصحابة والتابعين بل رفعوا ذلك إلى النبى ﷺ فروى ابن جرير عن كريب عن زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبى ﷺ أنه قال :

- الذبيح إسحاق

هو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به ، فالحسن بن دينار متروك وشيخه على بن زيد بن جدعان منكر الحديث (تفسير ابن كثير والبغوى ج ٧ ص ١٥٤).

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله ﷺ :

إن داود سأل ربه مسألة فقال :

- اجعلنى مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب

فأوحى الله إليه :

- إنى ابتليت إبراهيم بالنار فصبر ، وابتليت إسحاق بالذبح فصبر ، وابتليت يعقوب فصبر .

وبما أخرجه الدارقطنى والديلمى - فى مسند الفردوس - بسندهما عن ابن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ : الذبيح إسحاق

وهى أحاديث لا تصح ولا تثبت ، وأحاديث الديلمى فى مسند الفردوس شأنها

معروف ، والدارقطنى ربما يخرج فى سننه ما هو موضوع (أعلام المحدثين للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة)

والحق أن هذه المرويات فى أن الذبيح إسحاق هى من الإسرائيليات وقد نقلها من أسلم منهم ككعب الأحبار وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين تحسينا بالظن بهم ، فذهبوا إليه ، وجاء بعدهم العلماء فاغترفوا منها واغتروا بها وذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق وحقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب السفهاء لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبى الأمى العربى القرشى الهاشمى المكى ﷺ فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبى الخاتم ﷺ والعرب فضل أنه الذبيح حتى لا ينجر ـ يسند ـ ذلك إلى أبى القاسم ﷺ وإلى الجنس العربى.

* تحريفهم التوراة

ولأجل أن يكون هذا الفضل لبنى إسرائيل ولجدهم إسحاق عليه السلام لا لأخيه الأكبر البكر إسماعيل حرفوا التوراة فى هذا .

ولكن أبى العليم الخبير إلا أن يغفلوا عما يدل على هذه الجريمة النكراء ، والجانى دائما يترك من الآثار ما يدل على جريمته ، والحق يبقى له شعاع ولو خافت يدل عليه ، مهما حاول المبطلون اخفاء نوره وطمس معالمه فقد

حذفوا من التوراة لفظ إسماعيل ووضعوا بدلا منها إسحاق

ولكنهم غفلوا عن كلمة كشفت هذا التزوير وذلك الدس المشين

* نص التوراة

ففى التوراة الإصحاح الثانى والعشرون فقرة (٢) : قال الرب :

خذ ابنك وحيدك الذى تحبه واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك

وليس أدل على كذب هذا من كلمة : وحيدك

وإسحاق عليه السلام لم يكن وحيدا قط ، لأنه ولد بعد إسماعيل عليه السلام بنحو أربع عشرة سنة كما هو صريح فى توراتهم وأن كتابهم نص على أن الله أمر أبرام - إبراهيم - أن يذبح ابنه بكره

وفى لفظ وحيده

وهل هناك شك أن إسماعيل عليه السلام هو بكر إبراهيم عليهما السلام وقد كشف وفضح القرآن العظيم كذب بنى إسرائيل فقال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة إبراهيم الآية : ٣٩]

أى رزق الله إبراهيم إسماعيل ثم إسحاق عليهم السلام

قال عبد الله بن عباس

- ولد إسماعيل وهو - إبراهيم - ابن تسع وتسعين سنة ، وإسحاق بعد عشر ومائة

* الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

تدل الآيات القرآنية والآثار عن الصحابة والتابعين ومنها ما له حكم الرفع عن الصادق المصدوق ﷺ بتقرير النبى الخاتم ﷺ له .

يقول عبد الله بن سعيد الصنابحى :

حضرنا مجلس معاوية بن أبى سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أيهما الذبيح ؟

فقال بعضهم :

- إسماعيل

وقال البعض

- إسحاق

فقال معاوية :

على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى فقال :

ـ يا رسول الله : خلت الكلأ يابسا ، والمال عابسا ـ المراد به الحياة أى عابسا من شدة الجوع والعطش ـ ، هلك العيال ، وضاع المال ، فعد على مما أفاء الله تعالى عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله ﷺ ، ولم ينكر عليه .

فقال القوم :

ـ من الذبيحين يا أمير المؤمنين ؟

قال معاوية بن أبى سفيان :

إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه ، فلما فرغ أسهم بينهم ، فكانوا عشرة ، فخرج السهم على بن عبد الله ، فأراد نحره فمنعه أخواله : بنو مخزوم وقالوا :

ـ أرض ربك وافد ابنك

ففداه بمائة ناقة

قال معاوية :

ـ هذا واحد ، والآخر إسماعيل (هذا الحديث فى حكم المرفوع لتقرير النبى ﷺ للأعرابى على مقالته ، وقد اختلف فيه فمن مصحح له ، ومن مضعف)

* وشهد شاهد من أهلها

تقول أم البنين بنت عبد العزيز:

روى ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى :

أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال له عمر :

ـ إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه ، وإنى لأراه كما قلت

ثم أرسل إلى رجل كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان حبرا من أحبار اليهود

فسأله :

- أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه ؟

فقال :

- إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم ذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ، وهذا هو الحق الذى يجبُ أن يصار إليه

قال ابن كثير فى تفسيره :

- والذى استدل به محمد بن كعب القرظى على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى (تفسير ابن كثير ، والبغوى ج ٧ ص ١٠٦) .

* أطفأت نار المسلمين

تقول أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

ذات ليلة جاء أخى عمر بن عبد العزيز رسول بعض الجهات ليخبره عن حالها ، فدعا عمر بن العزيز بشمعة فأوقدت وجلس الرسول وجلس أمير المؤمنين فسأله عمر عن حال أهل البلد ومن فيها من المسلمين وأهل العهد - أهل الذمة من اليهود والنصارى - وكيف سيرة الوالى وكيف الأسعار وكيف أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء السبيل والفقراء ؟ وهل أعطى كل ذى حق حقه ؟

فأنبأه الرسول بجميع ما علم

ولما فرغ الخليفة العادل من أسئلته أخذ الرسول يسأل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز :

- كيف حالك فى نفسك وبدنك ؟

فأشار أبو حفص بيده :

أن انتظر

ثم نفخ أبو حفص الشمعة . . ونادى :

ـ يا غلام : على بسراج

فأحضر الغلام سراجا من بيت عمر بن العزيز فتيلته لاتكاد تضىء

فأشار عمر بن عبد العزيز بيده للرسول وقال :

ـ الآن سل عما أحببت

فسأله الرسول عن عياله وأهل خزنته ومن يعنى بشأنه

فأخبره أبو حفص عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته

وعجب الرسول من حادثة الشمعة وأراد أن يعرف سرها فقال لأبى حفص :

ـ يا أمير المؤمنين : رأيتك فعلت أمرا ما رأيتك فعلت مثله

فتساءل عمر بن عبد العزيز :

ـ وما هو ؟

قال الرسول :

ـ اطفاؤك الشمعة عند سؤالى لك عن حالك وشأنك

قال أبو حفص :

ـ يا عبد الله : إن الشمعة التى رأيتنى أطفأتها من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم ، فكانت تلك الشمعة تضىء بين يدى ـ أمامى ـ فيما يصلحهم ، فلما صرت تسألنى عن شأنى وأمر عيالى ونفسى أطفأت نار المسلمين.

* كرهنا أن تشم أفواهنا

تقول أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان : .

عاد عمر بن عبد العزيز يوما إلى بيته بعد صلاة العشاء ولمح بناته الصغار فسلم عليهن كعادته ، وبدلا من يسارعن إليه بالتحية كعادتهن رحن يغطين أفواههن بأكفهن

ويتبادرن إلى الباب.

فتساءل أبو حفص :

- ما شأنكن ؟

قالت بناته ؟:

- لم يكن لدينا ما نتعشى به سوى عدس وبصل .. فكرهن أن تشم أفواهنا

فبكى أمير المؤمنين عمر ثم قال :

- يا بناتي : ما ينفعكن أن تعشين الألوان والأطايب ثم يذهب بأبيكن إلى النار؟

* جمرتان من نار

تقول أم البنين :

رأت إحدى بنات عمر بن عبد العزيز صديقة لها تزين أذنيها بلؤلؤتين جميلتين فأرسلتني ومعي واحدة

فقلت لأخي عمر ضارعة :

- اشتر لها مثلها

فدعى أمير المؤمنين عمر خادمه مزاحم وأمره أن يأتي بجمرتين من نار ثم دعا ابنته وقال لها :

- إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك جئتك بلؤلؤتين كهذه

* من أقوال أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان :

كانت أم البنين تقول :

* أف للبخل لو كان قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته

* وهل ينال الخير إلا باصطناعه ؟

* ما حسدت أحدا قط على شيء إلا أن يكون ذا معروف فإني كنت أحب أن

أشركه فى ذلك

* جعل لكل قوم نهمة ـ النهمة بفتح النون وسكون الهاء : الشهوة والرغبة ـ فى شىء ، وجعلت نهمتى فى البذل والعطاء ، والله للصلة أحب إلى من الطعام الطيب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ

* ما تحلى المتحلون بشىء أحسن عليهم من عظم مهابة الله فى صدورهم

* قالوا عن أم البنين :

* قال سعيد بن مسلمة بن هشام الأموى :

كانت أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تبعث إلى نسائها فيجتمعن ويتحدثن عندها وهى قائمة تصلى ثم تنصرف إليهن فتقول :

ـ أحب حديثكن إذا قمت فى صلاتى لهوت عنكن ونسيتكن .

وكانت تكسوهن الثياب الحسنة وتعطيهن الدنانير

قال ابن عساكر :

إن أم البنين كانت فيمن حدث من النساء ، وروى عنها إبراهيم بن أبى عقيلة

قال أحمد بن سهل :

كانت أم البنين تعتق كل جمعة رقبة ، وتحمل على فرس فى سبيل الله عز وجل

* قال ابن عساكر :

أما دار أم البنين فقد كانت بدمشق بقرب طاحونة الثقفيين المعروفة بطاحونة القلعة ولها دار أخرى خارج باب الفراديس على يسار المار إلى المقبرة .

حميدة بنت ثابت البنانى

عابدة زاهدة ، وراوية من راويات الحديث روت عن أبيها

تقول حميدة بنت ثابت البنانى :

قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ لأبى :

- ما أشبه عينيك بعينى رسول الله ﷺ

فما زال أبى يبكى حتى عمشت عيناه

* كيف تعلم ذلك ؟

تقول حميدة بنت ثابت البنانى :

قال أبى :

قال رجل من العباد لإخوانه يوما :

- إنى لأعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ؟

ففزعوا من ذلك وقالوا :

- تعلم حين يذكرك ربك ؟

قال العابد :

- نعم

قالوا :

- متى ؟

قال العابد :

- إذا ذكرته ذكرنى

ثم قال العابد :

ـ وإنى لأعلم حين يستجيب لى ربى عز وجل

فعجبوا من قوله وقالوا :

ـ تعلم حين يستجيب لك ربك ؟

قال العابد :

ـ نعم

قالوا :

ـ وكيف تعلم ذلك ؟

قال العابد :

ـ إذا وجد قلبى واقشعر جلدى وفاضت عينى وفتح لى فى الدعاء ، فثم أعلم أن قد استجيب لى .

* وما خير فى عين لا تبكى

تقول حميدة بنت ثابت البنانى :

اشتكى أبى عينه فقلت له :

ـ يا أبا محمد : اضمن لى خصلة تبرأ عينك

قال أبو محمد :

ـ ما هى ؟

قالت حميدة :

ـ أن تسمع قول الطبيب

فتساءل ثابت البنانى :

ـ وما قال الطبيب ؟

قالت حميدة :

- قال : لا تبك

قال ثابت البنانى :

- وما خير فى عين لا تبكى ؟

* ليس بفاعل

بينما كان ثابت البنانى واقفا بجبل عرفة إذا شابان عليهما العباء القطوانى - نسبة إلى قطوان بفتح القاف وسكون الطاء أو فتحها وهو موضع بالكوفة ، واسم قرية من قرى سمرقد - نادى أحدهما صاحبه :

- يا حبيب

فأجابه الآخر :

- لبيك أيها المحب .

قال ثابت البنانى :

- ترى الذى تحابنا فيه وتوادنا فيه معذبنا غدًا فى القيامة ؟

فسمعوا مناديا :

سمعته الآذان ولم تره الأعين يقول :

- لا ، ليس بفاعل

* يا كريم الصحبة

خرجت حميدة مع أبيها ثابت البنانى ذات ليلة إلى البيت الحرام فتعلقت بأستار والكعبة وبكت وقالت :

يا كريم الصحبة

يا حسن المعونة

أتيتك من شقة - الشقة : المسافة - بعيدة متعرضة لمعروفك الذى وسع خلقك

فأنلنى من معروفك معروفا تغنينى به عن معروف من سواك

يا أهل التقوى

ويا أهل المغفرة

فجاءها صوت رجل :

ـ ما تقولين يا أمة الله ؟

قالت حميدة بنت ثابت البنانى :

يا هذا :

اترك الكلام إلا فيما لابد منه

واترك الدنيا إلا فيما لابد منه

واترك مخالطة الناس إلا فيما لابد منه

* من أقوال ثابت البنانى

تقول حميدة بنت ثابت :

كان أبى يقول :

* لأن أصيب ذنبا وإن كان كبيرا فأستغفر الله منه حتى أقلع عنه أحب إلى من أن أصيب ذنبا صغيرا لا أستغفر الله منه حتى لا أقلع عنه .

* لا يكون العابد عابدا وإن كان فيه خصلة كل خير حتى يكون فيه هاتان الخصلتان : الصلاة والصوم .

* كان ثابت البنانى يدعو الله ويقول : إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة فى قبره فأعطنى الصلاة فى قبرى

* ما أكثر أحد ذكر الموت إلا رئى ذلك فى عمله

* كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة

* ما شيء أجده فى قلبى ألذ عندى من قيام الليل .

* ما تركت فى المسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت عندها.

* ثابت البنانى وأحاديث الصادق المصدوق ﷺ :

أسند ثابت البنانى عن بن عنرو وابن الزبير وشداد وأنس وآخرين

وروى عنه الحجاج بن يوسف الثقفى

وكان ثابت ثقة فى الحديث مأمونا

* عن ثابت البنانى عن أنس قال :

إن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء ، فإذا أنا بآدم ، فرحب بى ودعا لى بخير ، وفى السماء الثالثة فإذا أنا بيوسف إذا هو أعطى شطر الحسن ـ نصفه ـ فرحب بى ودعا لى بخير ، وفى السماء السابعة فاذا أنا بإبراهم مسند ظهره إلى البيت المعمور ، واذا هو يدخل كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمارها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها ـ يصفها ـ من حسنها ، وأوحى إلى ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ـ حوار موسى عليه السلام وخاتم النبيين ﷺ من الإسرائيليات والرغبة فى الهيمنة اليهودية ـ ؟ قلت : خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فانى بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت إلى ربى فقلت : يا رب خفف على أمتى ، فحط عنى خمسة فرجعت إلى موسى فقلت : حط عنى خمسا ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك

فارجع إلى ربك فسله التخفيف ، فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى حتى قال : يامحمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر ، فلذلك خمسون صلاة، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا ، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال :

ـ ارجع إلى ربك فسله التخفيف

فقال رسول الله ﷺ :

ـ قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه (رواه مسلم والترمذى فى مشكاة المصابيح) .

* وقال ثابت البنانى عن أنس قال :

لما صور الله تعالى آدم عليه السلام في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ـ يدور حوله ـ ينظر ما هو ـ ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك (رواه مسلم فى صحيحه) .

* وقال عفان عن همام عن ثابت البنانى عن أنس عن أبى بكر قال :

قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار ـ ليلة الهجرة ـ لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ (رواه الترمذى والحارث بن أبى أسامة)

* وقال أحمد بن حنبل عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أبى أيوب الأزدى عن نوف البكالى عن عبد الله بن عمران أن النبى ﷺ قبل أن يثوب ثاب : رجع ، وثاب الناس : اجتمعوا وجاءوا ـ الناس لصلاة العشاء ، فجاء

وقد حضره الناس رافعا أصبعيه وقد عقد تسعا وعشرين يشير بالسبابة إلى السماء فحسر ثوبه عن ركبته وهو يقول : أبشروا معشر المسلمين هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهى بكم الملائكة يقول : يا ملائكتى : انظروا إلى عبادى هؤلاء قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى

* وقال حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس أن النبى ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر رجل فدعاه فجاء فقال عليه الصلاة والسلام :

- يا فلان : هذه زوجتى فلانة

فقال الرجل :

يا رسول الله : من كنت أظن به فلم أكن أظن بك

فقال ﷺ :

- إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم (رواه مسلم)

وإذا كانت حميدة قد روت عن أبيها ثابت البنانى

فإن غفيرة بنت واقد قد روت عنها

* قالوا عن ثابت البنانى :

تقول حميدة بنت ثابت :

* قال أنس بن مالك خادم ﷺ :

إن لكل شىء مفتاحا وإن ثابتا من مفاتيح الخير

وكان خادم رسول الله ﷺ إذا افتقد أبا محمد سأل عنه وقال :

أين ثابت ؟! إن ثابتا دويبة أحبها

* وقال سلمان بن المغيرة :

رأيت ثابتا البنانى يلبس الثياب اليمنية والطيالسة والعمائم

* وقال بكر بن عبد الله :

من سره أن ينظر إلى أعبد رجل أدركناه فى زمانه فلينظر إلى ثابت البنانى

* وقال شعبة :

كان ثابت البنانى يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ويصوم الدهر

* وقال سهل بن أسلم :

كان ثابت البنانى يصلى كل ليلة ثلاث مائة ركعة ، فإذا أصبح ضمرت قدماه فيأخذهما بيده فيعصرهما ثم يقول :

ـ مضى العابدون وقطع بى وا لهفاه .

ميمــونـــة

* نسبها

هى ميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخواص لأمه

كانت تسلك مسلك أخيها إبراهيم فى الزهد والورع والتوكل

* متى يرجع ؟

ذات ضحى دق داق باب إبراهيم الخواص

فقالت ميمونة :

- من تطلب ؟

فقال :

- إبراهيم الخواص

فقالت ميمونة :

- قد خرج

فقال :

- متى يرجع أبو إسحاق ؟

قالت ميمونة :

- من روحه بيد غيره من يعلم متى يرجع ؟

* كانت لهم الأرض متسعا

دخل إبراهيم الخواص على أخته ميمونة وهى تصلى فجلس حتى فرغت من صلاة الضحى فقال لها :

- إنى اليوم ضيق الصدر

فقالت ميمونة :

ـ من ضاق قلبه ضاقت عليه الدنيا بما فيها ألا ترى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُم﴾ [سورة التوبة الآية : ١١٨]

لقد كانت لهم الأرض متسعا ولكن لما ضاقت عليهم أنفسهم ضاقت عليهم بما فيها الأرض

* أتفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل ؟

تقول ميمونة :

اعتكف عابد فى مسجد ولم يكن له معلوم

فقال له إمام المسجد :

ـ لو اكتسبت كان خيرا لك وأفضل

فلم يجبه العابد

فأعاد إمام المسجد عليه قوله ثلاثا

فقال العبد :

ـ دع الملك للمالك

فقال فى الرابعة :

ـ بجوار المسجد يهودى قد ضمن لى فى كل يوم رغيفين ، فإن كان صادقا فى ضمانه فقعودك فى المسجد خير لك

فقال العابد :

ـ يا هذا : لو لم تكن إماما لكان خيرا لك ، أتفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل ؟

* الذى جاء بك عرف بينى وبينك

تقول ميمونة :

قال أبو إسحاق :

سلكت البادية ستة عشر طريقا على غير الجادة ، فأعجب ما رأيت فيها رجل ليس له يدان ولا رجلان ، وعليه من البلاء عظيم ، وهو يزحف زحفا ، فتحيرت منه ، وسلمت عليه فقال لى :

- وعليك السلام يا إبراهيم

فقلت له :

- بم عرفتنى ولم ترنى قبلها ؟

قال الرجل :

- الذى جاء بك عرف بينى وبينك

فقلت :

- صدقت

ثم سألته :

- إلى أين تريد ؟

قال الرجل :

- إلى مكة

قلت :

- ومن أين أنت ؟

قال الرجل :

- من بخارى

فبقيت متعجبا وأنا أنظر إليه

فنظر إلى شزرا وقال :

ـ يا إبراهيم : تعجب من قوى يحمل ضعيفا ويرفق به ؟

ثم دمعت عيناه ، وأرسل الدموع

فقلت :

ـ لا يا حبيبى

وتركته على حاله ومضيت إلى مكة

فلما دخلت البيت الحرام رأيته يطوف حول الكعبة وهو يزحف زحفا

* أعجب ما رأيت فى البادية

تقول ميمونة :

كان ابن زياد المقيم بكلواذى حريصا على مجلس إبراهيم الخواص ، وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه ، سأل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص يوما :

ـ ما أعجب ما رأيت فى البادية يا أبا اسحاق ؟

قال إبراهيم الخواص :

كنت ليلة من الليالى فى البادية فنمت على حجر فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال :

ـ قم من ها هنا

فقلت :

ـ اذهب

فقال الشيطان :

ـ أرفسك رفسة فتهلك

فقلت فى غير مبالاة :

ـ افعل ما شئت

فرفسنى فوقعت رجله على كأنها خرقة

فقال الشيطان :

ـ أنت ولى الله ، من أنت ؟

قلت :

ـ أنا إبراهيم الخواص

قال الشيطان :

ـ صدقت

ثم قال

يا إبراهيم : معى حلال وحرام

فقلت :

ـ أين الحلال ؟

قال الشيطان :

ـ ها هو رمان من الجبل المباح

ثم سكت ونظر إلى وقال :

ـ لم تسألنى عن الحرام ، ها هو حوت مررت على صيادين وهما يصطادان فتخاونا، فأخذت الخيانة

ثم قدم إلى الرمان وقال :

ـ فكل أنت الحلال ودع لى الحرام

* يا عبد هواه

كانت ميمونة تجتهد بالليل وكانت من أصحاب السهر بالقرآن

وكانت تقول :

يا أسير دنياه

يا عبد هواه

يا موطن الخطايا

يا مستودع الرزايا

أذكر ما قدمت يداك

وكن خائفا من سيدك ومولاك أن يطلع على باطن زللك وجفاك ، فيصدك عن بابه ، ويبعدك عن جنابه ، ويمنعك من مراقبة أحبابه ، فتقع فى حضرة الخذلان ، وتتقيد بشرك الخسران

* لا تحزنى فإنى الذى كنت أعمل ذلك

كان لإبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص وقت فترة ـ استراحة ـ كل يوم ، فكان يخرج إلى شط نهر كبير كان حواليه الخوص ، وكان أثناء تلك الفترة يقطع شيئا من الخوص وينسجه قِفافًا ـ مفرد : فقة ـ ثم يطرحها فى ذلك النهر ، كان يتسلى بذلك وكأنه مطالب به ، وظل على ذلك أياما كثيرة .

وذات يوم فكر أبو إسحاق أن يمضى خلف ما يطرحه من قفاف فى الماء لينظر أين تذهب هذه القفاف ؟

مضى إبراهيم الخواص على شاطئ النهر ساعات ، ولم يعمل قفافا فى ذلك اليوم، فوجد عجوزا قاعدة على شاطئ النهر وهى تبكى فسألها :

ـ مالك تبكين ؟

قالت العجوز :

ـ خمسة من الأيتام مات أبوهم فأصابنى الفقر والشدة فأتيت يوما هذا الموضع ، فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص فأخذتها وبعتها وأنفقت عليهم ، وأتيت اليوم الثانى والثالث والقفاف تجيء على رأس الماء فكنت آخذها وأبيعها ، واليوم ما جاءت.

يقول إبراهيم الخواص:

فرفعت يدى إلى السماء وقلت :

اللهم لو علمت أن لها خمسة من العيال لزدت فى العمل

ثم قال أبو إسحاق للعجوز :

- لا تغتمى فإنى الذى كنت أعمل ذلك

تقول ميمونة :

ومضى أبو إسحاق مع العجوز الفقير فقام بأمرها وبأمر عيالها اليتامى سنين مع الله

تقول ميمونة :

حدثنى حامد الأسود فقال :

- لا تغتمى فإنى الذى كنت أعمل ذلك

ومضى إبراهيم الخواص مع العجوز الفقير فقام بأمرها وبأمر عيالها اليتامى سنين

* مع الله

يقول حامد الأسود :

كنت مع إبراهيم الخواص فى سفر فدخلنا إلى بعض الغياض ، فلما أدركنا الليل إذ بالسباع قد أحاطت بنا ، فجزعت لرؤيتها وصعدت إلى شجرة ، ثم نظرت إلى أبى إسحاق وقد استلقى على قفاه فأقبلت السباع تلحسه من قرنه إلى قدميه وهو لا يتحرك ولا يلقى لها بالا .

ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر ، فرأيت بقة - حشرة صغيرة - وقعت على وجه إبراهيم الخواص فلسعته فقال :

- أخ

فقلت :

ـ يا أبا إسحاق : أى شيء هذا التأوه ؟ أين أنت من البارحة ؟

قال إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص :

ـ ذاك حال كنت فيه بالله ، وهذا حال أنا فيه بنفسى

* اللهم إنى أستعديك على نفسى .

تعلقت ميمونة بأستار الكعبة وراحت تقول :

اللهم إنى أستعديك على نفسى

ثم علا نشيجها وقالت من خلال دموعها :

يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون

أسألك أن تجعل خير عمرى آخره

وخير عملى خواتمه

وخير أيامى يوم لقائك

تقول ميمونة :

رأيت فى الطواف شيخا أعجميا والناس يتضرعون ويدعون وهو ساكت

فقلت له :

ـ ألا تدعو ؟

فمد يده ورفع بها شيبته وقال :

ـ يا خداه ـ بضم الخاء كلمة فارسية معناها : الرب ، الله تعالى ـ شيخ ـ أى يالله أنا شيخ ـ

ولم يزد على ذلك .

* اشتريت هذه الجلسة من الله عز وجل

تقول ميمونة :

بينما كنت أطوف مع أبى إسحاق رأينا شابا مئتزرا بعباءة ، متشحا بأخرى كثير الطواف والصلاة ، فوقع فى قلب إبراهيم الخواص محبته

ورزق الرزاق أبا إسحاق بأربعمائة درهم فحملها وانطلق إلى ذلك الشاب فوجده جالسا خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، فوضع أبو إسحاق المال على طرف عباءة الشاب وقال له :

ـ يا أخى : اصرف هذه القطيعات فى بعض حوائجك

فقام الشاب وحمل الدراهم وبددها فى الحصى وقال :

ـ يا إبراهيم : اشتريت هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عين ـ العين : الذهب مضروب خلاف الوَرِق : الفضة ـ ، ترِيد أن تخدعنى عن الله عز وجل بهذا الوسخ ؟

يقول إبراهيم الخواص :

فما رأيت أعز منه وهو ينظر ، وأذل منى وأنا أجمعها من بين الحصى

ثم قام الشاب ومضى

* دواء القلب

تقول ميمونة :

سمعت أبا إسحاق يقول :

دواء القلب خمسة أشياء :

قراءة القرآن بالتدبر

وخلاء البطن وقيام الليل

والتضرع عند السحر

ومجالسة الصالحين

* الكلب

كان أبو إسحاق جالسا فى مسجد الرى وعنده جماعة إذ سمع ملاهى - ملاه - من الجيران ، فاضطرب من ذلك من كان فى المسجد وقالوا :

- يا أبا إسحاق : ما ترى ؟

فخرج إبراهيم الخواص من المسجد نحو الدار التى فيها الغناء والمنكر ، فلما بلغ طرف الزقاق إذ كلب رابض ، فلما دنا أبو إسحاق منه نبح عليه وقام فى وجهه.

فرجع إبراهيم الخواص إلى المسجد ، وتفكر ساعة ، ثم قام مبادرا ، وخرج فمر على الكلب فبصبص الكلب - حرك ذنبه أى ذيله - له .

ولما قرب أبو إسحاق من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه وقال :

- أيها الشيخ لم انزعجت ؟ كنت وجهت ببعض من عندك فأبلغ لك كل ما تريد ، وعلى عهد الله وميثاقه لا شربت أبدا

وكسر الشاب جميع ما كان عنده من الشراب وآلات الطرب وصار يحضر مجلس أبى إسحاق

ورجع إبراهيم الخواص إلى مسجده ، فلما جلس سئل عن خروجه فى أول مرة ورجوعه ، ثم خروجه فى الثانية وما كان من أمر الكلب .

فقال أبو إسحاق :

- نعم إنما نبح على الكلب لفساد كان قد دخل على فى عقد بينى وبين الله لم أنتبه له فى الوقت ، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته ، فاستغفرت الله عز وجل منه ، ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم ، وهكذا كل من خرج لازالة منكر فتحرك عليه شىء من المخلوقات فلفساد عقد بينه وبين الله عز وجل ، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يتحرك عليه شىء .

* * *

أم هـــارون

تابعية ثقة

من ربات العبادة والصلاح والزهد والتقشف

تتلمذ لها أبو سليمان الدارانى الزاهد الكبير

وحكى عنها عبد الرحيم بن صالح الدارانى وأحمد بن أبى الحوارى وعبد العزيز بن عمير وقاسم الجوعى عابدة من عابدات خراسان فقد عرفت بأم هارون الخراسانية .

* ذاك رجل أحب الطاعة

سأل أبو سليمان الدارانى أم هارون فقال :

- ما تقولين الرجل يحب لقاء الله ؟

قالت أم هارون :

- ويحك ذاك رجل ثقلت عليه الطاعة وأحب الراحة منها

فقال أبو سليمان الدارانى :

- فإنه إذا أحب البقاء فى الدنيا

قالت أم هارون :

- بخ بخ ذاك رجل أحب الطاعة وأحب أن يبقى لها وتبقى له ثم سلم

فقال أبو سليمان :

- أتحبين الموت ؟

قالت أم هارون الخراسانية :

- لا

قال أبو سليمان الدارانى :

ـ ولم تكرهين لقاء الله تعالى ؟

ففاضت دموعها بالانتحاب وقالت :

ـ يا أبا سليمان :لو عصيت آدميا ما حببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته؟

فصرخ أبو سليمان ووقع مغشيا عليه

* تعال يا كلب

يقول قاسم :

كانت أم هارون تأتى بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها

فدخلت عليها فقالت :

يا قاسم كنت أمشى ببيسان ـ بفتح فسكون وهى قرية فى فلسطين ـ فإذا عرض لى أسد فمشى نحوى فلما قرب منى نظرت إليه فقلت :

ـ تعال يا كلب : إذا كان لك رزق فكل

فلما سمع كلامى أقعى ثم ولى راجعا

فقال قاسم :

كان لبعض الصالحين أخ يزوره كل سنة مرة ، فجاء يوما لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته :

ـ من ؟

فقال :

ـ أخو زوجك فى الله تعالى جاء لزيارته

فقالت :

ـ إنه ذهب ليحتطب لا رده الله

وبالغت فى شتمه وسبه

وبينما هو كذلك إذ رأى أخاه مقبلا ومعه أسد يحمل حزمة حطب

فلما دنا سلم على أخيه ورحب به ، ثم أنزل الحطب عن ظهر الأسد وقال له :

- اذهب بارك الله فيك

ثم أدخل صاحبه وامرأته تسبه فلا يجيبها

وأطعم الزوج أخاه فى الله ثم ودعه فانصرف وهو متعجب غاية العجب من صبره على سب امرأته

ثم جاء العام الثانى فدق الباب فقالت امرأته :

- من ؟

قال :

- أخو زوجك فى الله جاء يزوره

قالت الزوجة :

- مرحبا

وبالغت فى الثناء عليه ، وأمرته بانتظاره ، فجاء وهو حامل على ظهره الحطب

وأطعم الزوج أخاه فى الله وزوجته تبالغ فى الترحيب والثناء عليه

ولما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك الزوجة ومن هذه ومن حمل الأسد أول مرة وحمله الحطب على ظهره فى الثانية

فقال الزوج :

- يا أخى : توفيت تلك الشريرة وكنت صابرا على أذيتها وبغيها - تعديها واستطالتها - فسخر الله لى الأسد الذى رأيته يحمل الحطب بصبرى عليها ، وصرت الآن أحمل الحطب على ظهرى لراحتى مع هذه .

* يا مجيب الدعوات

تقول أم هارون الخراسانية :

أصابتنى خصاصة - فقر - فجئت إلى بعض إخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة

فخرجت من منزله إلى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهى على الأرض وقلت :

يا مسبب الأسباب

يا فاتح الأبواب

يا سامع الأصوات

يا مجيب الدعوات

يا قاضى الحاجات

اكفنى بحلالك عن حرامك

واغننى بفضلك عمن سواك

تقول أم هارون :

فو الله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى

فرفعت رأسى فإذا بحدأة طرحت كيسا أحمر فذا فيه مائة دينار

* مجلس العلم

ذات ليلة جلست أم هارون مع أبى سليمان الدارانى وأحمد بن أبى الحوارى وعبد العزيز بن عمير .

فقالت أم هارون :

- ما تقول يا أبا سليمان فى الدنيا ؟

قال أبو سليمان الدارانى :

قال عيسى ابن مريم عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

فقالت أم هارون لأحمد بن أبى الحوارى :

ـ ما تقول يا أبا الحسن فى قصر الأمل ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

قصر الأمل أصل خير ، كما أن تطويله أصل كل شر ، فإن من يقدر فى نفسه أنه لا يعيش غدا لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم بها ،فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ويكفيه كل شيء .

ومن قدر أن يعيش عشر سنين مثلا فإنه يصير عبدًا للذل والطمع والحرص وخدمة أبناء الدنيا ولا يملأ عينيه إلا التراب .

فقالت أم هارون لعبد العزيز بن عمير :

ـ من المملوك ؟

قال عبد العزيز بن عمير :

من ملك هواه واتبع رضا مولاه

فقالت أم هارون لأحمد بن أبى الحوارى :

ـ ما تقول يا أبا الحسن فى اللسان ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ لا أجد خيرا من قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو يوصى ابنه الحسين :

يا بنى أمسك عليك لسانك فإن إتلاف المرء فى منطقه

قال عبد العزيز بن عمير :

احفظ لسانك واستعذ من شره إن اللسان هو العدو الذابح

فسكتت أم هارون فقال أبو سليمان :

ـ لماذا لزمت الصمت يا أم هارون ؟

قالت أم هارون :

ـ إنى لم أندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مرارا

فقال أبو سليمان الدارانى :

ـ ما تقولين أنت يا أم هارون فى اللسان ؟

قالت أم هارون :

ـ قيل فى الحكمة : لسانك أسدك إن أطلقته فرسك ـ أهلكك ـ وإن أمسكته حرسك

ثم تساءلت أم هارون :

ـ من أول من يشرب من حوض رسول الله ﷺ ؟

قال عبد العزيز بن عمير :

ـ قال رسول الله ﷺ : أول من يشرب من حوضى صهيب الرومى ـ صهيب بن سنان الرومى ـ

قالت أم هارون :

ـ وأول من يأكل من ثمر الجنة ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

قال النبى ﷺ : وأول من يأكل من ثمر الجنة أبو الدحداح ـ ثابت بن الدحداح ـ

فقالت أم هارون :

ـ وأول من تصافحه الملائكة فى مفازة القيامة ؟

قال أبو سليمان الدارانى :

قال رسول الله ﷺ : وأول من يصافحه الملائكة فى مفازة القيامة أبو الدرداء ـ عويمر بن مالك ـ

* كيف أدركت هذه المنزلة ؟

قالت أم هارون الخراسانية :

كان فى بنى إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما إلى أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على الماء فى البحر إذ هما برجل يمشى فى الهواء فقالا :

ـ يا عبد الله : بأى شىء أدركت هذه المنزلة ؟

قال :

ـ بيسير من الدنيا فطمعت نفسى عن الشهوات وكففت لسانى عما لا يعنينى ورغبت فيما دعانى الله إليه ولزمت الصمت ، فإن أقسمت على الله أبر قسمى وإن سألته أعطانى .

* السوق

كانت أم هارون تذهب إلى السوق لا لتشترى شيئا ولكن إذا دخلت السوق قالت بصوت مرتفع : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

كانت تعلم أن ذكر الله فى مكان غفل فيه الناس عن ذكر الله تضاعف فيه الحسنات بألف بألف ، فكانت أم هارون تذهب إلى السوق لنيل فضيلة هذا الذكر .

* قالوا عن أم هارون :

* قال عبد العزيز بن عمير :

كانت أم هارون من الخائفات العابدات قد أنزلت الدنيا منزلتها فكانت تأكل الخبز وحده.

* قال أحمد بن أبى الحوارى :

خرجت أم هارون من قريتها تريد موضعها فصاح صبى بصبى :

ـ خذوه

فسقطت أم هارون فوقعت على حجر فدميت ، فظهر الدم من مقنعتها ـ ما تستر به المرأة رأسها وتغطيه ـ

* قال أبو سليمان الدارانى :

من أراد أن ينظر إلى صعق ـ إذا غشى على الإنسان أو ذهب عقله من صوت يسمعه ـ صحيح فلينظر إلى أم هارون .

وقال أيضا :

ما كنت أرى أنه يكون بالشام مثلها

* قالت رابعة العدوية الشامية زوج أحمد بن أبى الحوارى :

ما دهنت أم هارون رأسها منذ عشرين سنة ، فإذا كشفنا رؤوسنا كان شعرها أحسن من شعورنا

* قال القاسم الجوعى :

دخلنا على أم هارون نعودها أنا وصاحب لى وهى على طرف الدرجة فسألنا عن حالها فقلنا لها :

ـ أم هارون : أيكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان ؟

فقالت :

ـ آه

وسقطت عن الدرجة مغشيا عليها

* قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ قلت لأم هارون :

أتحبين الموت ؟

قالت :

ـ لا

قلت :

ـ لِمَ ؟

قالت :

ـ لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه ، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته ؟

عبدة بنت أحمد

* نسبها

هى عبدة بنت أحمد بن عطية العنسى

أخت أبى سليمان الدارانى ، فقد كان لعبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى أختان : عبدة وآمنة كانتا من العقل والدين بمحل عظيم .

كانت عبدة تسكن مع أخيها أبى سليمان قرية داريا وهى من قرى دمشق

وقيل :

ضيعة إلى جنب دمشق

وكان أبو سليمان الدارانى أحد أئمة العلماء العالمين

* قنطرة من قناطر جهنم

قال أبو سليمان الدارانى :

وصفت لأختى عبدة قنطرة من قناطر جهنم فأقامت يوما وليلة فى صيحة واحدة ما تسكت ثم انقطعت عنها بعد ، فكلما ذكرت لها صاحت

قلت :

ـ من أى شىء كان صياحها ؟

قيل :

ـ مثلت نفسها على القنطرة وهى تكفأ ـ كفأ الشىء : قلبه وركبه ـ بها

* حب الدنيا

تقول عبدة بنت أحمد :

قال أبو سليمان الدارانى :

كنت ببيت المقدس مع أصحاب فى المسجد فاذا أنا بجارية عليها درع من شعر ـ صوف ـ وخمار من صوف فاذا هى تقول :

إلهى وسيدى

ما أضيق الطريق من لم تكن دليله ، وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه

فقلت :

ـ يا جارية : ما قطع الخلق عن الله عز وجل ؟

قالت الجارية :

حب الدنيا ، ألا إن لله عز وجل عبادا أسقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم فلم يحبوا مع الله عز وجل غيره ثم أنشدت :

تزود قرينا من فعالك إنمـــا قرين الفتى فى القبر ما كان يعمل
ألا ان الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا عندهم ثم يرحـــــل

* الحـــوراء

تقول عبدة بنت أحمد :

حدثنى أبو سليمان الدارانى فقال :

إن فى الجنة أنهارا على شاطئيها خيام فيهن الحور ، ينشئ الله خلق الحوراء إنشاء، فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام ، الواحدة منهن جالسة على كرسى من ذهب ميل فى ميل ، قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسى فيجىء أهل الجنة من قصورهم يتنزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاءوا ، ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن

وتساءل أبو سليمان الدارانى :

ـ كيف يكون فى الدنيا حال من يريد افتضاص الأبكار على شاطئ تلك الأنهار فى الجنة ؟

ويقول أبو سليمان الدارانى :

بينما أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فاذا بها ـ الحوراء ـ قد ركضتنى برجلها فقالت :

ـ حبيبى أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ بؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ولقى المحبون بعضهم بعضا، فما هذه الرقادة ؟

حبيبى وقرة عينى أترقد عيناك وأنا أتربى لك فى الخدور منذ كذا وكذا ؟

يقول أبو سليمان الدارانى :

فوثبت فزعا وقد عرقت حياء من توبيخها إياى ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى يقول أحمد بن أبى الحوارى :

دخلت على أبى سليمان الدارانى فإذا هو يبكى فقلت له :

ـ ما لك ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ زجرت البارحة فى منامى

فتساءل أحمد بن أبى الحوارى :

ـ ما الذى زجرك ؟

قال أبو سليمان الدارانى :

بينما أنا نائم فى محرابى إذ وقفت على جارية تفوق الدنيا حسنا وبيدها ورقة وهى تقول :

ـ أتنام يا شيخ ؟

فقلت :

ـ من غلبت عينه نام

فقالت :

- كلا إن طالب الجنة لا ينام

ثم قالت :

- أتقرأ ؟

قلت :

- نعم

فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب :

لهت بك لذة عن حسن عيش مع الخيرات فى غرف الجنان
تعيش مخلدا لا مـوت فيهـا وتنعم فى الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيـــرا من النوم التهجد فى القـرآن

* كن كوكبا

تقول عبدة :

قال أبو سليمان لتلميذه أحمد بن أبى الحوارى ذات يوم :

يا أحمد : كن كوكبا فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا ، فإن لم تكن قمرا فكن شمسا

فقال أحمد بن أبى الحوارى :

- يا أبا سليمان القمر أضوأ من الكواكب ، والشمس أضوأ من القمر .

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى

- يا أحمد : كن مثلَّ الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر ، فقم أول الليل إلى آخره ، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره ، فان لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار .

* إذا اغتممت منها زادك

شكا أحمد بن أبى الحوارى إلى أبى سليمان الدارانى الوسواس فقال :

ـ إنى أرى ذلك قد غمك يا أبا الحسن ، إن أردت أن ينقطع عنك فإن أحسست بها فافرح بها ، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك ، فإن ليس شىء أبغض إليه ـ الشيطان ـ من سرور المؤمن ، وإن اغتممت منها ـ الوسواس ـ زادت .

* ملك الدنيا فزهد فيها

تقول عبدة بنت أحمد :

تناظر أبو سليمان الدارانى وأبو صفوان فى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وأويس بن عامر القرنى ـ منسوب إلى قرن المنازل وهو جبل معروف وهو ميقات الإحرام لأهل نجد ـ فقال أبو سليمان الدارانى :

كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس

فتساءل أبو صفوان :

ـ لم ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ لأن عمر بن عبد العزيز ملك الدنيا فزهد فيها

فقال أبو صفوان :

ـ وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر

قال أبو سليمان الدارانى :

أتجعل من جرب كمن لا يجرب : إن من جرب الدنيا على يديه وإن لم يكن لها فى قلبه موضع لما حج أويس بن عامر القرنى دخل مدينة رسول الله ﷺ ، فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبى ﷺ . . فغشى عليه ، ولما أفاق قال :

ـ أخرجونى فليس بلادى بلدا محمد ﷺ فيه مدفون

* هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه ؟

يقول أبو الحسن :

دخلت على أبى سليمان وهو يبكى فقلت له :

ـ ما يبكيك ؟

فقال عبد الرحمن بن أحمد :

ـ يا أحمد : ولم لا أبكى ؟ وإذا جن الليل ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وقطرت فى محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه فنادى جبريل عليه السلام بعينى من تلذذ بكلامى فلم لا ينادى فيهم ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه ؟ أم كيف يجمل بى أن أعذب قوما إذا جهنم الليل يتملقونى ؟ فى حلفت إذا وردوا على القيامة لاكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم .

* من أدب الدعاء .

قال أحمد بن أبى الحوارى :

سمعت أبا سليمان الدارانى يقول :

كنت ليلة باردة فى المحراب فأقلقنى البرد فخبأت إحدى يدى من البرد وبقيت الأخرى ممدودة ، فغلبتنى عينى فهتف بى هاتف :

ـ يا أبا سليمان : قد وضعنا فى هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ما أصابها .

يقول عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ فآليت لا أدعو إلا ويداى خارجتان

* لا ينفع الهالك نجاة المعصوم

تقول عبدة :

قال أبو سليمان الدارانى :

رد سبيل العجب بمعرفة النفس ، وتخلص إلى إجمام القلب - راحته - بقلة الخلطاء، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة ، والتمس وجوه الفكرة فى الخلوات ، وتحرز من إبليس بمخالفة هواك ، وتزين لله بالإخلاص والصدق فى الأعمال ، وتعرض للعفو بالحياء منه والمراقبة ، واستجلب زيادة النعم بالشكر ، واستدم النعم بخوف زوالها ، ولا عمل كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس ، ولا نعمة كالعافية من الذنوب ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة فى الدرجات ، ولا طاعة كأداء الفرائض ، ولا تقوى كاجتناب المحارم ، ولا عدم كعدم العقل ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة النفس ، ولا ذل كالطمع ، ومن لم يحسن رعاية أسرع به هواه إلى الهلكة، ولا ينفع الهالك نجاة المعصوم ، ومرارة التقوى اليوم حلاوة فى ذلك اليوم - يوم القيامة - والهالك من هلك فى آخر سفره وقد قارب المنزل ، والخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد .

* لا حول ولا قوة إلا بالله

بات عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى ذات ليلة ، فلما انتصف الليل قام ليتهيأ للوضوء فلما أدخل يده فى الإناء بقى على حالته حتى تنفس الصبح ، وكان وقت إقامة صلاة الفجر ، فخشى أحمد بن أبى الحوارى أن تفوته الصلاة فقال:

- الصلاة يرحمك الله

فقال أبو سليمان الدارانى :

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

ثم قال لأبى الحسن :

ـ يا أحمد : أدخلت يدى فى الإناء فعارضنى معارض فى سرى ـ نفسى ـ هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك ؟ فبقيت متفكرا حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يفوتنى من الأنس بالله عز وجل .

* من أقوال عبدة بنت أحمد

* يقول أبو سليمان الدارانى :

سمعت أختى عبدة تقول :

الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره

* طوبى لمن

تقول عبدة :

قال أبو سليمان الدارانى :

طوبى لمن حذر سكرات الهوى ، وسورة الغضب ، الفرح بشىء من الدنيا فصبر على مرارة التقوى .

طوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر ، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب كهربه من السبع والكلب .

طوبى لمن استحكم أموره بالاقتصاد ، واعتقد الخير للمعاد ، وجعل الدنيا مزرعة وتنوق فى البذر ليفرح غدا بالحصاد .

طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور ولم يسع لها سعيها فيبرز من حظرات الدنيا وأهلها منه على بال ، واضطربت عليه الأحوال .

من ترك الدنيا للآخرة ربحهما ، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما ، وكل أم يتبعها بنوها ، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزى شديد ، ومقامع من حديد ، وشراب من صديد .

وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ، ونعيم الأبد ، فى ظل ممدود ، وماء مسكوب ، وأنهار تجرى بغير أخدود .

وكيف يكون حكيما من هو لها يهوى ـ الدنيا ـ ركون ؟ وكيف يكون راهبا من يذكر ما أسلفت يداه ولا يذوب ، الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة ، وعقوبة لأهل الولاية .

والفكر فى الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب ، ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها ، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب فى قلبه حبها ، ومن تمت معرفته اجتمع همه فى أمر الله وكان أمر الله شغله .

* من أقوال أبى سليمان الدارانى

تقول عبدة :

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى يقول :

* مفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع ، وأصل كل خير فى الدنيا والآخرة الخوف من الله ، وأن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، وأن الجوع عنده فى خزائن مدخرة ، ولا يعطى ـ الدين ـ إلا من أحب خاصة ، ولأن أدع من عشائى لقمة أحب إلى من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره .

* لولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا ، وما أحب البقاء فى الدنيا لتشقيق الأنهار ولغرس الأشجار .

* كل ما شغلك عن الله عز وجل من أهل ومال أو ولد فهو عليك مشؤوم .

* إنما عصى الله عز وجل من عصاه لهوانهم عليه ،ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه .

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

* وسأل أبو سليمان الدارانى تلميذه أحمد بن أبى الحوارى يوما :

- من أى وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء اليه؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

- لا أدرى

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

- من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

* ما ضرك ماغرك إذا أعقبك ما سرك .

* أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا .

* لو عرض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم .

* إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق ، وإذا شبعت ورويت عمى القلب .

* ما يسرنى أن لى من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه فى وجوه البر وأنى أغفل عن الله عز وجل طرفة عين .

* لو أن الدنيا كلها فى لقمة ثم جاءنى أخ لى لأحببت أن أضعها فى فيه - فى فمه -.

* إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزحمها ، وإذا كانت الدنيا فى القلب لم تزحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة .

* من حسن ظنه بالله عز وجل ثم لا يخاف الله فهو مخدوع .

* أرجو أن أكون قد رزقت من الرضا طرفا لو أدخلنى النار لكنت بذلك راضيا .

* يوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام : أسلب عبدى ما رزقته من لذة طاعتى فإن افتقدها فردها عليه ، وإن لم يفتقدها فلا تردها عليه أبدا .

* وقال أبو سليمان الداراني في مناجاته :

إنك إن طالبتني بشرى طالبتك بكرمك ، وإن أخذتني بذنوبي أتيتك بتوحيدك ، وإن أسكنتني النار بين أعدائك لأخبرتهم بحبي لك .

* ما يسر العاقل أن الدنيا له منذ خلقت إلى أن تفنى ، ينعم فيها حلالا لا يسأل عنه يوم القيامة وأنه حجب عن الله عز وجل ساعة واحدة فكيف بمن حبب أيام الدنيا وأيام الآخرة .

* لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فيما مضى، كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت .

* ما عمل داود عليه السلام عملا قط كان أنفع له من خطيئته ، ما زال منها خائفا هاربا حتى لحق بربه عز وجل .

* لو اجتمع الخلق جميعا على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك .

* من أحسن في نهاره كوفئ في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره ، ومن صدق في ترك بشهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله أكرم من أن يعذب قلبا بهوة تركت له .

* ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة .

* ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يفت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد ، ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب يتوقع إنسانا يجيئه يعطيه شيئا.

* إذا ذكرت الخطيئة لم أحب الموت وقلت : أبقى لعلي أتوب .

* إذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد ، وإذا لذ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ - تقرأ القرآن - ، الزم الأمر الذى يفتح لك فيه .

* من كان يومه مثل أمسه فهو فى نقصان .

* من أتى مثل ما أوتى إبليس وقارون وبلعام - بلعام بن باعوراء من الكنعانيين أوتى علم بعض كتاب الله وعرف اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به استجاب ، وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٧٥] ، إلا أن أصل نياتهم غش فرجعوا إلى الغش الذى فى قلوبهم ، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق يسلبه إياه .

* سأل رجل أبا سليمان الدارانى :

- يا أبا سليمان ما تقرب به إليه ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

- مثلى يسأل عن هذا ؟ أقرب ما تقرب به إليه أن يطلع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو .

* أفضل الأعمال خلاف هوى النفس .

جوهرة البرائية

* نسبها

هى جوهر ـ بلا هاء ـ العابدة امرأة أبى عبد الله البرائى

كانت جوهرة جارية لبعض الملوك فعتقت ، وخلعت الدنيا

لزمت جوهرة أبا عبد الله البرائى أستاذ أبى جعفر الصوفى المعاصر للجنيد بن محمد بن الجنيد تزوج أبو عبد الله البرائى بجوهرة وتعبدت معه فى كوخ فى براثا وهى محلة فى طرف بغداد

* القافلة

كانت جوهرة من المصطفيات عابدات بغداد وكانت عونا لزوجها أبى عبد الله البرائى فكانت توقظه فى جوف الليل وتقول له :

ـ قُم يا أبا عبد الله قد سارت القافلة

فينهض أبو عبد الله ويقول :

قال النبى الخاتم ﷺ :

ـ أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل [أخرجه الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن خزيمة عن أبى هريرة] .

ثم يتوضأ وهو يقرأ قول الحق جل وعلا : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٧٩] .

* النساء يحلين فى الجنة

قالت جوهرة لزوجها أبى عبد الله البرائى ذات يوم :

ـ يا أبا عبد الله : النساء يحلين فى الجنة إذا دخلنها ؟

قال أبو عبد الله البراثى :

- نعم

فصاحت جوهرة صيحة غُشى عليها

فلما أفاقت قال أبو عبد الله البراثى :

- ما هذا الذى أصابك ؟

قالت جوهرة :

- ذكرت حالى تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة

* المتهجدون بالقرآن

ذات ليلة نامت جوهرة البراثية فرأت فى منامها خياما مضروبة فتساءلت :

- لمن ضربت هذه الخيام ؟

فقيل :

- للمتهجدين بالقرآن

فكانت جوهر بعد ذلك لا تنام

يقول أبو عبد الله البراثى :

كانت جوهر تنبهنى من الليل وتقول :

- يا أبا عبد الله : كاروان رفت - كاروان بالفارسية : القافلة - معناه : سارت القافلة .

* ذو العقيصتين

قال أبو عبد الله البراثى :

لما قدمت الوفود من مشارق الأرض ومغاربها مدينة رسول الله ﷺ ، قدم أفضل وافد إلى النبى ﷺ ضمام بن ثعلبة من أهل نجد إلى أبى القاسم ﷺ فأناخ بعيره على

باب المسجد ثم عقله ـ ربطه ـ ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ فى أصحابه، وكان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه فقال :

ـ أيكم ابن عبد المطلب ؟

فقال خاتم النبيين ﷺ :

ـ أنا ابن عبد المطلب

فتساءل ضمام بن ثعلبة :

ـ أمحمد ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

ـ نعم

قال ضمام :

ـ يا ابن عبد المطلب : إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسألة فلا تجد ـ تغضب ـ فى نفسك

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ لا أجد فى نفسى فاسأل عما بدا لك

قال ضمام بن ثعلبة :

ـ أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟

قال المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ اللهم نعم

فقال ضمام بن ثعلبة :

- فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟

قال السراج المنير ﷺ :

- اللهم نعم

قال ضمام بن ثعلبة :

- فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلاة الخمس - الصلوات المفروضة - ؟

قال صاحب الشفاعة ﷺ :

- نعم

ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج وشرائع الإسلام كلها ينشده عن كل فريضة منها كما ينشده التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال :

- فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص

ثم انصرف ضمام بن ثعلبة إلى بعيره فركبه وانطلق إلى نجد

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة

*** أخرج هذه الجلال لاحاجة لنا فيها**

يقول حكيم بن جعفر :

كنا نأتى أبا عبد الله بن أبى جعفر البرائى الزاهد ، وكان يسكن براثا ، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها : جوهرة

وكان أبو عبد الله يجلس على جلة ـ الجل : البسط والأكسية ونحوها ـ خوص بحرانية ـ نسبة إلى البحرين ـ ، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة مستقبلة القبلة فى بيت واحد .

فأتينا يوما وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته

فقلنا :

ـ يا أبا عبد الله : ما فعلت بالجلة التى كنت تجلس عليها ؟

قال أبو عبد الله البراثى :

ـ إن جوهرة أيقظتنى البارحة فقالت :

ـ أليس يقال فى الحديث : إن الأرض تقول لابن آدم : تجعل بينى وبينك سترا وأنت غدا فى بطنى ؟

فقلت :

ـ نعم

قالت جوهرة :

ـ فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها

فقمت والله فأخرجتها

تقول جوهرة :

كان أبو عبد الله يقول :

* لن يرد القيامة أرفع درجة من الراضين عن الله على كل حال ، ومن وهب له الرضا فقد بلغ الدرجات ، ومن زهد على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ، ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى جميع الأحوال

وتقول جوهرة :

سمعت أبا عبد الله يقول :

* كرمك أطمعنا سيدى فى عفوك ، وجودك أطمعنا فى فضلك ، وذنوبنا قد تؤيسنا من ذلك ، وتأبى قلوبنا لمعرفتها بك أن تقطع رجاءنا بك منك ، فتفضل أيها الكريم وجد بعفوك يا رحيم

وتقول جوهرة :

قال أبو عبد الله :

* بالمعرفة هانت على العاملين العبادة وبالرضا عن الله عز وجل فى تدبيره زهدوا فى الدنيا ورضوا منها لأنفسهم بتقديره

وتقول جوهرة :

سمعت أبا عبد الله يقول :

* حملتنا المطامع على أسوأ الصنائع ، نذل لمن لا يقدر لنا على ضرر ولا على نفع ونضع لمن لا يملك لنا رزقا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا ، فكيف أزعم أنى أعرف ربى حق معرفته وأنا أصنع ذلك ؟ هيهات هيهات

ويقول أبو عبد الله :

* من كرمت نفسه عليه رغب بها عن الدنيا

* أى قدم يثبت على مثل هذا ؟

قال أبو مريم :

قلت لأبى عبد الله :

- كم تبكى ؟ كم هذا البكاء ؟

فأخرج إلى يده وإذا أصبعه ملفوفة بشعرة ، فنشرها ثم قال :

- إذا كان المجاز على مثل هذه - يعنى السير على الصراط - فأى قدم يثبت على مثل هذا ؟ ثم بكى

فاطمة النيسابورية

عابدة فاضلة وزاهدة ذات إخلاص وخشية وأمر بالمعروف ذات دين وصلاح

* أنيس الغرباء

بينما كان ذو النون المصرى يسير فى البادية إذ رأى امرأة متعبدة ، فلما دنا ـ اقترب ـ منها سلمت عليه وسألته :

ـ من أين أقبلت ؟

قال أبو الفيض :

ـ من عند حكيم لا يوجد مثله

فصاحت فاطمة النيسابورية وقالت :

ـ ويحك كيف فارقته وهو أنيس الغرباء ؟

فأوجع قلبه كلامها وبكى

فقالت :

ـ مم بكاؤك ؟

قال ذو النون :

ـ وقع الدواء على الداء ، فأسرع فى نجاحه

قالت فاطمة النيسابورية :

ـ فإن كنت صادقا فلم بكيت ؟

قال أبو الفيض :

ـ والصادق لا يبكى ؟

قالت فاطمة النيسابورية :

- لا لأن البكاء راحة القلب ، وهذا نقص عند ذوى العقول

قال ذو النون المصرى :

- علمينى شيئا ينفعنى الله به

قالت فاطمة النيسابورية :

- ما أفادك الحكيم من الفوائد ما تستغنى به عن طلب الزوائد ؟

قال أبو الفيض :

- إن رأيت أن تعلمينى شيئا فعلت

قالت فاطمة النيسابورية :

- اخدم مولاك شوقا إلى لقائه ، فإن له يوما يتجلى فيه لأوليائه ، وإنه تعالى سقاهم فى الدنيا محبته كأسا لا يظمئون بعدها أبدا .

ثم أقبلت تبكى وتقول :

- سيدى : إلى كم تدعنى فى دار لا أجد فيها من يساعدنى على بلائى؟

ثم مضت وهى تقول :

إذا كان داء العبد حب مليكه فمن دونه يرجو طبيبا مداويا ؟

* أجل من رأيت

كان ابن ملوك شيخا كبيرا لقى ذا النون المصرى يوما فسأله :

- من أجل من رأيت ؟

قال أبو الفيض :

- ما رأيت أجل من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة النيسابورية ، كانت تتكلم فى فهم القرآن وتعجبت منها .

فسأل ابن ملوك ذا النون عنها

فقال أبو الفيض :

ـ هى ولية من أولياء الله عز وجل وهى أستاذى

سمعتها تقول :

من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى فى كل ميدان ويتكلم بكل لسان ، ومن كان منه على بال أخـرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص .

قال ابن ملوك :

ـ ماذا قالت أيضا ؟

قال ذو النون المصرى :

قالت : الصادق المقرب فى بحر تضطرب عليه أمواج يدعو ربه دعاء الغريق يسأل ربه الخلاص والنجاة

من عمل لله على المشاهد فهو عارف ، .ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص

* فاطمة النيسابورية توصى ابنها

لما هم عبد الله بن فاطمة النيسابورية بالسفر قالت له :

يا بنى : أوصيك بتقوى الله ، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك

وإياك والنمائم ـ جمع نميمة وهى وسواس همس الكلام ويقوم به النمام أو الغماز أو اللماز ـ فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالا ثم اتخذه إماما واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء فقد استجاد ـ استجاده : عده جيدا ـ الحلة إزارها ورداءها فقال عبد الله :

ـ يا أماه : من أصحب ؟

قالت فاطمة النيسابورية :

- اصحب من لا تحتاج أن تكتمه شيئا مما علمه الله لك

* يا معروف بترك المعروف

جلست فاطمة النيسابورية يوما أمام دارها وقالت :

اسمع يا معروفا بترك المعروف

يا من هو يكسب القبائح موصوف ، إلى كم تعتق المماليك وأنت لا تعتق ؟

وتطلق الأسارى وأنت فى أمر شهواتك موثق

إذا لم تدرك فضيلة السبق فالحق من سبق ، من عرف الله عز وجل عاش ، ومن جهل حقائق المعرفة طاش

تالله ما يقع فى حقيقة الطاعة من له نفس مطاعة

قال السميع البصير ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات الآية : ٤٠ - ٤١].

* أدنى أهل الجنة منزلة

تقول فاطمة النيسابورية :

سأل موسى بن عمران عليه السلام ربه فقال :

- يا رب : من أدنى أهل الجنة منزلة ؟

قال الله عز وجل :

هو رجل يجيء بعد ما يدخل أهل الجنة فيقال له : ادخل الجنة

فيقول :

- أى رب : كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟

فيقول :

ـ أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟

فيقول :

ـ رضيت رب

فيقول الله تبارك وتعالى :

ـ لك ذلك ومثله ومثله ومثله

فقال فى الخامسة :

ـ رضيت رب

فيقول الرب :

ـ هذا لك ولك عشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك

فيقول:

ـ رضيت رب

قال كليم الله :

ـ رب فأعلاهم منزلة ؟

قال الله عز وجل :

ـ أولئك الذين غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر (أخرجه مسلم فى صحيحه ، والترمذى عن المغيرة بن شعبة) .

* دع ذلك ليوم التغابن

أحب رجل من نيسابور فاطمة النيسابورية وهواها فكان يتبعها إذا خرجت إلى المسجد فعرفت ذلك منه ، فقالت له ذات ليلة :

ـ ألك حاجة ؟

قال الرجل :

- نعم

فتساءلت فاطمة النيسابورية :

- وما هى ؟

قال الرجل :

- مودتك

قالت فاطمة النيسابورية وهى توليه ظهرها وتولى وجهها شطر المسجد :

- دع ذلك ليـوم التغابن - يوم القيامة -

يقول الرجل :

- فأبكتنى والله فما عدت إلى ذلك

* أقبلت أسألك سترك

كانت فاطمة النيسابورية تقول وهى فى الطواف حول الكعبة :

يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ، ولا تغيره الحوادث ولا يصفه الواصفون

يا عالما بمثاقيل الجبال - بأوزانها - ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار

لا توارى منه سماء سماء ، ولا أرض أرضا ولا جبل ما فى وعره ولا بحر ما فى قعره - أى لا يوارى الجبل ما فى وعره عن الله ، ولا البحر ما فى قعره -

جئتك من بعيد

أقبلت أسألك سترك الذى لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح

أسألك خير عمرى آخره

وخير عملى خواتمه - خواتميه -

وخير أيامي يوم ألقاك ـ لقائك ـ

وخير ساعاتي مفارقة الأحياء ـ الأحباء ـ من دار الفناء إلى دار البقاء التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك ، وتهين فيها من أبغضت من أعدائك

أسألك إلهي عافية جامعة لخير الدنيا والآخرة منا منك ـ تفضلا ـ على وتطولا ياذا الجلال والإكرام

❋ كلاب النار

سألت امرأة فاطمة النيسابورية :

ـ يا أم عبد الله : من هم كلاب النار ؟

قالت أم عبد الله :

قال رسول الله ﷺ : أصحاب البدع كلاب النار (رواه أبو حاتم الخزاعي في جزئه عن أبي أمامة) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

ـ أهل البدع أهل النار (رواه الدارقطني في الأفراد عن أبي أمامة)

فقالت المرأة :

ـ فمن هم شر الناس ؟

قالت فاطمة النيسابورية :

قال ﷺ :

أهل البدع شر الخلق والخليفة (رواه أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر عن أنس) .

فقالت المرأة :

ـ ما جزاء من أهان صاحب بدعة ؟

قالت أم عبد الله :

قال رسول الله ﷺ :

- من أعرض بوجهه عن صاحب بدعة بغضا - كرها - له فى الله ملأ الله قلبه يمنا وإيمانا ، ومن انتهر صاحب بدعة رفعه الله عز وجل فى الجنة مائة درجة **(أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، والديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس)** .

أم الأحنف بن قيس

من بنى باهلة ، وكانت من فواضل نساء العرب فى عصرها

ولدت مولودًا فى السنة الثالثة قبل الهجرة غربى اليمامة من أراضى نجد

ولد الضحاك يتيما حيث قتل أبوه وهو طفل لم يدر - لم يمش - بعد

ما لبث أن سماه الناس الأحنف لاعوجاج فى رجليه ، ثم غلب اللقب على الاسم

ولدته أمه وهو أحنف فقالت وهى ترضعه :

والله لولا حنف فى رجليه   ما كان فى الحى غلاما مثله

وقيل :

كانت ترقص الأحنف وهو صغير وتقول :

والله لولا ضعفه من هزله   وحنف ودقة فى رجليه

ما كان فى فتيانكم من مثله

الحنف : فى القدمين وهو إقبال كل واحدة منه على الأخرى بابهامها

وقيل :

الاعوجاج فى الرجل

أما الأحنف : الذى يسير ويمشى على ظهر قدميه من شقها الذى يلى خنصرها

* إسلامها

بعث خاتم الأنبياءﷺ رجلا من أصحابه إلى غربى اليمامة قبل وفاته بسنوات قليلة يدعوهم إلى الإسلام ، فاجتمع برهط - قوم وجماعة - الأحنف بن قيس ، فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الإسلام

ولكن القوم سكتوا ونظر بعضهم إلى بعض ، فبادرهم الأحنف وكان شابا فقال :

- يا قوم : ما لى أراكم مترددين تقدمون رجلا وتأخرون أخرى ؟ والله إن هذا الوفد خير ، إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عـــن ملائمها - ما لا يجـــوز منهـــا -، والله ما سمعنا منه إلا حسنا ، فأجيبوا داعى الخير والهدى تفوزوا بخيرى الدارين - الدنيا والآخرة -

فأسلم القوم ومعهم الأحنف بن قيس ، فلما أخبر أمـــه بإسـلامه نطقت بشهادة الحق

ووفد كبار القوم على المبعوث للناس كافة ﷺ غير أن الأحنف لم يفد معهم لحداثة سنه

فحرم الأحنف بن قيس من شرف الصحبة ، ولكنه لم يحرم من رضى ودعاء الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد أخبر سفير رسول الله ﷺ النبى الخاتم ﷺ بمقولة الأحنف بن قيس فقال :

- اللهم اغفر للأحنف

* كنيته

يكنى أبا بحر

* الأحنف بن قيس ومسيلمة الكذاب

تقول أم الأحنف :

لما انتقل خاتم الأنبياء ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدت كثير من قبائل العرب وادعى مسيلمة الكذاب النبوة وتبعه بنو حنيفة ، وارتدت بنو أسد وتنبأ طليحة بن خويلد الأسدى ، وتنبأ الأسود العنسى. مضى الأحنف بن قيس مع عمه المتشمس بن معاوية إلى اليمامة فجاءا رحمن اليمامة ليلقياه ويسمعا منه فادعى مسيلمة بن حبيب أن قرآنا قد أنزل عليه كقرآن محمد .

فقال الأحنف :

- هات ما عندك

فقال رحمن اليمامة :

والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا

فكتم المتشمس بن معاوية فيه حتى لا ينفجر من الضحك ثم تساءل :

ـ زدنا من هذا الحديث

فقال مسيلمة :

يا ضفدع كم تنقين . لا الشراب تمنعين . ولا الماء تكدرين

فلما خرج المتشمس بن معاوية والأحنف بن قيس قال :

ـ كيف رأيت الرجل يا أحنف ؟

قال الأحنف :

ـ رأيته كذابا مبطلا يختلق الكذب والبهتان على الله والناس

فقال المتشمس بن معاوية مازحا :

ـ ألا تخشى إن أخبرته بتكذيبك إياه ؟

قال الأحنف بن قيس :

ـ عند ذلك أحالفك ـ أطلب منك أن تقسم ـ بتكذيبك إياه .

ولما بعث الخليفة الأول خالد بن الوليد لمحاربة المرتدين ومحاربة مسيلمة الكذاب كان الضحاك بن قيس وعمه المتشمس فى طليعة المحاربين فى جيش سيف الله المسلــول.

* قطعت رحمك بيدك

كان الأحنف بن قيس يجالس مشيخة قومه ، ويغشى أنديتهم ـ يحضر مجتمعاتهم ـ وكان يشهد مؤتمراتهم فتتلمذ على أيدى حكمائهم وحلمائهم

ذات يوم ذهب الأحنف إلى مجلس قيس بن عاصم المنقرى ـ أحد عقلاء العرب ، ساد قومه فى الجاهلية فقد حرم على نفسه الخمر ، وفد على النبى الخاتم ﷺ عام

الوفود وبايعه بعد أن نطق بشهادة الحق - فوجده - جالسا بفناء - صحن داره - بيته محتبيا - جامعا بين ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها كما كان يجلس السادة من العرب - بحمائل سيفه ، يحدث قومه .

فسلم الأحنف بن قيس وجلس

وبعد قليل سمعوا صراخا وضجة ، فنظروا فإذا بشاب مكتوف وآخر مقتول وقيل لقيس بن عاصم المنقرى :

- هذا ابن أخيك قد قتل ابنك فلانا

يقول الأحنف بن قيس :

- فو الله ما حل قيس بن عاصم حبوته ولا قطع كلامه . .

ثم التفت فى هدوء إلى ابن أخيه وقال له :

- يا ابن أخى : قتلت ابن عمك فقطعت رحمك بيديك ، ورميت نفسك بسهمك

ثم التفت نحو ابن له وقال :

- قم يا بنى فحل وثاق ابن عمك . . . ووار أخاك ، ثم سق - أعط - إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة .

فكان إذا سئل الضحاك بن قيس :

- يا أبا بحر إن فيك أناة شديدة وحلما فمن أين لك هذا الحلم ؟

قال الأحنف بن قيس :

- علمنى إياه قيس بن عاصم المنقرى

* اللهم اغفر للأحنف

بينما كان الأحنف بن قيس يطوف بالبيت العتيق هو وأمه فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذ لقى سفير رسول الله ﷺ يوم أن دعاهم إلى الإسلام فأخذ بيده

وقال لأبى بحر :

ـ ألا أبشرك ؟

قال الأحنف بن قيس :

ـ بلى

قال سفير رسول الله ﷺ :

ـ ألا تذكر يوم بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومك لأدعوهم إلى الإسلام ؟

قال الأحنف بن قيس :

ـ كيف أنسى يوما ولدت فيه واتبعت الخير والنور ؟

قال سفير رسول الله ﷺ :

ـ جعلت أدعو قومك وأعرض عليهم الإسلام . . فقلت أنت يومئذ ما قلت

قال أبو بحر :

ـ بلى

قال سفير رسول الله ﷺ :

لما رجعت إلى النبى ﷺ أخبرته بمقالتك فقال :

ـ اللهم اغفر للأحنف

يقول الأحنف بن قيس :

ما من شىء من عملى أرجى ـ أعظم رجاء وأكثر أملاً ـ لى يوم القيامة من دعوة النبى ﷺ لى عدى من ذلك

❋ الأحنف بن قيس والفاروق

تقول أم الأحنف :

حمل الأحنف بن قيس سيفه وخرج مجاهدا فى سبيل الله يبحث عن الشهادة

فالتحق بجيش الصحابى الجليل عتبة بن غزوان ففتح الله على المسلمين الأهواز من بلاد فارس ومناذر ونهرتيرى وبينما المسلمون على ذلك تلقى عتبة بن غزوان أمير البصرة كتابا من أمير المؤمنين عمر يأمره فيه بأن يرسل إليه وفدا من صلحاء جنده وأحسنهم بلاء فى القتال ليقف منهم على أحوال جيش المسلمين فبعث عتبة بن غزوان جماعة من صفوة رجاله منهم : سلمى بن القين ، وحرملة بن مربطة - من بنى العدوية من بنى حنظلة ، كانا من المهاجرين - والأحنف بن قيس و . . . و . . .

فلما مثل رجال الوفد بين يدى أمير المؤمنين عمر رحب بهم وأدن مجالسهم ثم سألهم عن حوائجهم وحوائج عامة الناس

فنهضوا إليه تباعا وقالوا :

- أما عامة الناس فأنت وليهم - أما العامة فأنت صاحبها - ، وأما نحن فنتكلم عن خاصة أنفسنا وطلبوا لأنفسهم

الا ما كان من الأحنف بن قيس فإنه كان آخر رجال الوفد كلاما ما فقد كان أصغرهم سنا حمد الأحنف الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أمير المؤمنين

إنك كما ذكروا ، ولقد يعزب - يغرب - عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة ، وإنما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخير ويسمع بآذانهم

يا أمير المؤمنين إن جند المسلمين الذين حلوا - نزلوا - فى مصر قد نزلوا فى الخضرة والنضرة - المخضرة المورقة - والخصب من منازل الفراعنة

وإن الذين نزلوا فى ديار الشام قد نزلوا فى الرغد - طيب العيش ووفرة الخصب - والثمار والرياض من منازل القياصرة

وإن الذين حلوا فى ديار الفرس قد نزلوا على ضفاف الأنهار العذبة والجنان الوارقة من منازل الأكاسرة .

لكن قومنا وإخواننا وإنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة متشاشة نشاشة - لينة

مسترخية أو مالحة لا تنبت ـ طرف لها فى الفلاة وطرف لها فى البحر الأجاج لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها

فأزل يا أمير المؤمنين ضرهم وأنعش حياتهم ، ومر واليك ـ عتبة بن غزوان ـ على البصرة أن يحفر لهم نهرا يستعزبون منه الماء ويسقون الأنعام والزرع ، فتحسن حالهم، ويصلح عيالهم ، وترخص أسعارهم فيستعينوا بذلك على الجهاد فى سبيل الله .

فوسع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها

فنظر الفاروق إلى أبى بحر فى اعجاب وقال لرجال الوفد :

ـ هلا فعلتم فعل هذا ؟ إنه والله لسيد

ثم قدم أمير المؤمنين لهم جوائزهم ، وقدم للأحنف جائزته فقال :

والله يا أمير المؤمنين ما قطعنا إليك الفلوات ولا ضربنا للقائك أكباد الإبل ـ أجواف النوق ـ فى البكور والعشيات لنيل الجوائز ، ومالى من حاجة لديك إلا حاجة قومى التى ذكرت ، فإن تقضيها لهم تكون قد كفيت ووفيت

فازداد أمير المؤمنين إعجابا بأبى بحر فقال :

ـ هذا الشاب سيد أهل البصرة

وقيل :

ذم الفاروق بنى تميم ، فقام الأحنف فقال :

ـ يا أمير المؤمنين ائذن لى فأتكلم

فقال أبو حفص :

ـ تكلم

فقال أبو بحر :

يا أمير المؤمنين : إنك ذكرت بنى تميم فعممتهم بالذم وإنما هم من الناس فمنهم الصالح والطالح .

قال الفاروق :

ـ صدقت

ولما انفض المجلس وهم رجال الوفد بالانصراف الى رواحلهم ، نظر الفاروق إلى حقائبهم فرأى طرف ثوب يطل من إحداها ، فمسه بيده وتساءل :

ـ لمن هذا ؟

قال أبو بحر :

ـ لى يا أمير المؤمنين

وقد أدرك الأحنف أن أمير المؤمنين عمر قد اعتقد أنه غالى الثمن ، فعاد الفاروق يتساءل :

– بكم اشتريته ؟

قال أبو بحر :

ـ بثمانية دراهم

ولم يعرف الأحنف بن قيس عن نفسه أنه كذب منذ نطق بشهادة الحق غير تلك الكذبة ، ذلك لأنه اشتراه باثنى عشر درهما

فقال أمير المؤمنين عمر :

ـ هلا اكتفيت بواحد ووضعت فضلة مالك ـ بقية مالك ـ فى موضع تعين به مسلما ؟

ثم قال أبو حفص :

خذوا من أموالكم ما يصلح شأنكم ـ يفى بحاجتكم ويقيم حياتكم ـ

وأذن أمير المؤمنين عمر لرجال الوفد بالرحيل ، ولكنه احتبس أبا بحر حولا ـ عاما ـ كاملا ثم قال :

ـ هل تدرى لم حبستك ؟ إن رسول الله ﷺ خوفنا كل منافق عليم ولست منهم إن شاء الله

لقد أدرك الفاروق بثاقب نظره ما توافر لأبى بحر من حدة الذكاء وسمو النفس وعلو الهمة فأراد أن يبقيه قريبا من ليتعهده ويوجهه ويصنعه على عينه

وبعد أن انقضى الحول قال أمير المؤمنين عمر للأحنف :

ـ يا أحنف : لقد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيرا ، ورأيت عملا نيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، فإنا كنا نتحدث إنما هلك هذه الأمة كل منافق عليم .

ثم وجهه الفاروق لحرب الفرس وكتب لأبى موسى الأشعرى :

أما بعد

فأدن ـ قرب ـ الأحنف بن قيس منك وشاوره واسمع منه

* الهرمزان فى مدينة رسول الله ﷺ أسيرا

تقول أم الأحنف :

أبلى أبو بحر بلاء حسنا وضروبا من البطولات ما جعل نجمه يتألق حتى فتح الله على يديه وأيدى بنى تميم تستر درة التاج الكسروى وأوقع الهرمزان فى الأسر .

وكان الهرمزان من أشد قواد الفرس بأسا وأقوى أمرائهم شكيمة ـ أنفة ـ وأوسعهم مكيدة فى الحروب وصحب أبو بحر وأنس بن مالك الهرموزان إلى المدينة ليبشرا الفاروق بالفتح

فلما وصلوا مدينة رسول الله ﷺ ألبس الأحنف بن قيس الهرمزان كسوته من الديباج المنسوج بالذهب كما ألبسه تاجه المكلل بالياقوت كى يراه أمير المؤمنين على هيئته فلما رآه الفاروق قال :

ـ الهرمزان ؟

قالوا :

ـ نعم يا أمير المؤمنين

فعاد أبو حفص يتأمله ويتأمل ما عليه من ثياب ثم قال :

ـ أعوذ بالله من النار وأستعين بالله ، والحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشياعه ثم نظر أمير المؤمنين عمر حوله وقال :

ـ يا معشر المسلمين : تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة ثم أمر الفاروق أن يخلع ما على الهرمزان من حلية ، وألبس ثوبا عاديا

ثم سأل أبو حفص الهرمزان :

ـ وما عذرك وما حجتك فى انتقاضك ـ نقض الصلح مرة بعد مرة ـ ؟

فقال الهرمزان :

ـ أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك

فقال الفاروق :

ـ لا تخف ذلك

وطلب الهرمزان قدحا من ماء ، فأتى بماء فى قدح ، فلما أمسك به كانت يده ترتجف فقال :

ـ أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء

فقال أمير المؤمنين عمر :

ـ لا بأس عليك حتى تشربه

فأكفأ الهرمزان قدح الماء على الأرض ولم يشربه ، فقال الفاروق :

ـ أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش

فقال الهرمزان :

ـ لا حاجة لى فى الماء ، إنما أردت أن أستأمن به

قال أمير المؤمنين عمر :

ـ إنى قاتلك

قال الهرمزان :

ـ لقد أمنتنى

فقال الفاروق :

ـ كذبت

قال أنس بن مالك :

ـ صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته

فقال أبو حفص :

ـ ويحك يا أنس أنا أمن قاتل مجزأة ـ مجزأة بن ثور ـ والبراء - البراء بن مالك أخو أنس ـ ؟ والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك

فقال خادم رسول الله ﷺ :

ـ قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرنى ، وقلت : لا بأس عليك حتى تشربه

وقال الأحنف بن قيس :

مثل ذلك

فأقبل الفاروق على الهرمزان وقال له :

ـ خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم

فقال الهرمزان:

ـ وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

فلما أسلم الهرمزان ونطق بشهادة الحق فرض له أمير المؤمنين عمر ألفى درهم

وأنزله المدينة

* الأحنف بن قيس يبايع على بن أبى طالب

لقى أبو بحر طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين عائشة بمدينة رسول الله ﷺ وهو يريد السير إلى مكة للحج وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان محصورا فقال أبو بحر لكل منهم :

ـ إن الرجل مقتول فمن تأمروننى أبايع؟

فقال طلحة والزبير وبنت أبى بكر :

ـ بايع عليا

فقال لهم الأحنف بن قيس :

ـ أترضونه ؟

قالوا :

ـ نعم

يقول الأحنف بن قيس :

فلما قضيت حجى ورجعت إلى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا ، ورجعت إلى أهلى ورأيت الأمر قد استقام

وبينما أنا كذلك إذ أتانى آت فقال :

ـ هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك

فقلت :

ـ ما جاء بهم ؟

قال :

ـ يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان

فأتانى أفظع أمر ، فقلت :

ـ إن خذلانى أم المؤمنين وحوارى رسول الله ﷺ ـ يعنى الزبير ـ لشديد ، وإن قتال ابن عم رسول الله ﷺ وقد أمرونى ببيعته أشد فلما أتيتهم قالوا :

ـ جئنا كذا وكذا

فقلت :

ـ يا أم المؤمنين : ويا زبير : ويا طلحة : نشدتكم الله أقلت لكم : من تأمروننى أبايع ؟ فقلتم :

بايع عليا ؟

قالوا :

ـ نعم ولكنه بدل وغير

قلت :

ـ والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله ﷺ وقد أمرتونى ببيعته ، ولكنى أعتزل

فأذنوا له فى ذلك

فاعتزل الأحنف بن قيس بالجلجاء ومعه ستة آلاف وهى من البصرة على فرسخين

* إن من الوفاء لله قتالهم

لما قدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب البصرة أتاه أبو بحر فقال له :

ـ إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إذا ظهرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم

قال أبو الحسن :

ـ ما مثلى يُخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر وهم قوم مسلمون ؟

قال أبو بحر :

- اختر منى واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل معك وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف ؟

فتساءل أمير المؤمنين على

فكيف بما أعطيت أصحابك - طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة - من الاعتزال ؟

قال الأحنف بن قيس :

- إن من الوفاء لله قتالهم

قال أبو الحسن :

- فاكفف عنا عشرة آلاف سيف

فرجع أبو بحر إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى :

- يا آل خندف

فأجابه ناس

ونادى :

- يا آل تميم

فأجابه ناس

ثم نادى :

- يا آل سعد

فلم يبق سعدى إلا أجابه

فاعتزل بهم

ونظر الأحنف بن قيس ما يصنع الناس

فلما كان القتال يوم الجمل وظفر أمير المؤمنين على

دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين .

* يوم التحكيم

تقول أم بحر :

لما أمر عمرو بن العاص أهل الشام أن يرفعوا المصاحف بالرماح عندما رأى أمر أمير المؤمنين على قد اشتد وخاف هو ومعاوية الهلاك وقالوا :

ـ هذا حكم كتاب الله عز وجل

فكان التحكيم

واختار أهل العراق أبا موسى الأشعرى واختار معاوية عمرو بن العاص

جاء الأحنف بن قيس أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين : إنك قد رميت بحجر إلى الأرض وإنى قد عجنت أبا موسى الأشعرى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم ـ معاوية وعمرو وأهل الشام ـ إلا رجل يدنو منهم حتى يصير فى أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلنى حكما ـ بدلا من أبى موسى ـ فاجعلنى ثانيا أو ثالثا فإنه لن يعقد عقدة الا حللتها ، ولا يحل عقدة لك إلا عقدت أخرى منها

وأبى أهل العراق وأصحاب أمير المؤمنين على إلا أبا موسى الأشعرى والرضا بحكم كتاب الله

فقال أبو بحر :

ـ إن أبيتم إلا أبا موسى فأدفئوا ظهره بالرجال ـ اجعلوا حوله رجالا يشدون من أزره ـ فلم يلق أهل العراق إلى قول أبى بحر التفاتا

وخدع عمرو بن العاص أبا موسى فبعد أن اتفقا على خلع على ومعاوية ليختار المسلمون ما يختارون دفع عمرو بن العاص أبا موسى إلى المنبر فصعد وأعلن عن خلع

أميـر المؤمنـين علـى ثـم نـزل فصـعد أبـو مـوسـى الأشعـرى المنـبر مـرة أخـرى وقال:

- إنما أنزع صاحبى كما أنزع هذا الخاتم .

ثم نزل فصعد عمرو بن العاص المنبر وقال:

إنى أنزع صاحبه وأثبت صاحبى - معاوية -

- غدر عمرو

فقال عبد الله بن عمر :

- انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة ؟ صار إلى رجل ما يبالى ما صنع وإلى آخر ضعيف

فقال عبد الرحمن بن أبى بكر :

- لو مات الأشعرى قبل اليوم لكان خيرا له

فقال أبو موسى لعمرو بن العاص :

- لا وفقك الله غدرت وفجرت إنما مثلك : ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٨٦].

فقال عمرو لأبى موسى :

- إنما مثلك : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [سورة الجمعة الآية : ٥] .

* جمع كلمة المسلمين

لما انتهى الأمر إلى أمير المؤمنين معاوية - بعد أن تنازل ريحانة رسول الله ﷺ الحسن بن على له عن الخلافة - صار معاوية بن أبى سفيان يأذن للناس بالدخول عليه حسب مراتبهم فيقدم أصحاب رسول الله ﷺ على من عداهم ، ثم يليهم كبار التابعين وأهل العلم وأصحاب الأحساب - جمع حسب وهو شرف الأصل -

وناصب أصحاب أمير المؤمنين على العداء ، بل وراح يطاردهم ولم يسمح لأحد منهم بالدخول عليه ولكن الأحنف بن قيس عندما دخل على معاوية أسرعت أخته أم حكيم إلى ستر فاختبأت وراءه واستقبل معاوية أبا بحر استقبالا فاترا ثم قال :

ـ والله يا أحنف ما تمثلت يوم صفين ـ قاتل فيه معاوية وأهل الشام أبا الحسن وأهل العراق وقتل يومها خلق كثير ـ مرة ، وتذكرت انحيازك عنا ، ووقوفك إلى جانب على بن أبى طالب إلا كانت حزازة فى قلبى إلى فقال أبو بحر .

ـ والله يا معاوية إن القلوب التى أبغضناك بها ما تزال بين جوانحنا ، وإن السيوف التى قاتلناك بها ما فتئت ـ ما زالت ـ فى أيدينا ، وإن تدن ـ تقترب ـ من الحرب فتراً ندن منها شبرا ، وإن تمشى إلينا مشيا نمضى إليها هرولة

ووالله ما حملتنا إليك رغبة فى عطائك أو رهبة من جفائك ـ خصومتك ـ ، وإنما جئنا لرأب الصدع ـ لإصلاح ذات البين ـ ولم الشمل ، وجمع كلمة المؤمنين

ثم استدار وخرج من حيث أتى

فأزاحت أم حكيم الستر لترى هذا الذى لم يخشى أخاها أمير المؤمنين وكان شجاعا لم يخش فى الله لومة لائم ، ولكنها لم تسمع إلا وقع خطواته

فقالت لأخيها :

ـ يا أمير المؤمنين : من هذا الذى يتهدد الخليفة ويتوعده فى عقر داره ؟

فتنهد معاوية بن أبى سفيان وقال :

ـ هذا الذى إذا غضب غضب له أكثر من عشرة آلاف من بنى تميم لا يدرون فيم غضب ، إنه الأحنف بن قيس سيد بنى تميم وأحد أبطال العرب الفاتحين

* الولد

تقول أم الأحنف :

أرسل أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى أبى بحر فقال :

ـ ما تقول فى الولد ؟

قال الأحنف :

يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك

جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك

فقال معاوية :

لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبى

فلما خرج الأحنف من عند أمير المؤمنين معاوية بعث إلى ابنه يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فبعث يزيد إلى أبى بحر مائة ألف درهم ومائة ثوب .

أخوات بشر الحافى

كان بشر بن الحارث الحافى عابدا زاهدا من عباد بغداد

وكان لبشر ثلاث أخوات

* مضغة بنت الحارث

كانت أكبر من أخيها بشر ، وكانت صوامة قوامة

يقول بشر الحافى :

- تعلمت الورع من أختى مضغة ، فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع

* كما طيبت اسمى لأطيبن اسمك

تقول مضغة بنت الحارث :

قال لى أخى بشر :

- أحدثك عن بُدُوّ أمرى - أول هدايتى وتسلل الإيمان إلى قلبى - ؟

قلت :

- نعم

قال :

بينما أنا أمشى رأيت قرطاسا على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى ، فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهما فيه خمسة دوانق - الدانق : سدس درهم - فاشتريت بأربعة دوانق مسكا وبدانق ماء ورد ، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى وأطيبه

ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال :

- يا بشر : كما طيبت اسمى لأطيبن اسمك ، وكما طهرته لأطهرن قلبك

* محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافى

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

كنت مع أبى يوما من الأيام فى المنزل فدق داق الباب

فقال لى أبى :

- اخرج فانظر من بالباب ؟

فخرجت فإذا امرأة فقالت لى :

- استأذن لى على أبى عبد الله

فاستأذنته

فقال :

- أدخلها

فدخلت فسلمت عليه وقالت له :

- يا أبا عبد الله : أنا امرأة أغزل بالليل فى السراج وربما طفئ السراج فأغزل على ضوء القمر ، فهل على أن أبين غزل القمر من غزل السراج ؟

قال أحمد بن حنبل :

- إن كان عندك بينهما فرق - من حيث الجودة - فعليك أن تبينى ذلك

قالت مضغة بنت الحارث :

- يا أبا عبد الله : أنين المريض شكوى ؟

قال أحمد بن حنبل :

- إنى لأرجو أن لا يكون شكوى ، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى

ثم انصرفت

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

فقال لى أبى :

ـ يا بنى : ما سمعت إنسانا يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة ، اتبعها يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل :

فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافى ، فعرفت أنها أخت بشر من الحارث

فأتيت أبى وقلت له :

ـ إن المرأة أخت بشر الحافى

فقال أحمد بن حنبل:

ـ هذا والله هو الصحيح ، محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر الحافى

* وفاة مضغة بنت الحارث

ماتت مضغة بنت الحارث قبل أخيها بشر

وقيل :

لما ماتت مضغة توجع عليها بشر توجعا شديدا وبكى بكاء كثيرا

فقيل له فى ذلك فقال :

قرأت فى بعض الكتب أن العبد إذا قصر فى خدمة ربه سلبه أنيسه ، ومضغة كانت أنيستى من الدنيا

* مخة بنت الحارث

تقول مخة بنت الحارث :

تخرق إزار بشر فقلت له :

ـ يا أخى : قد تخرق إزارك وهذا البرد فلو جئت بقطن حتى أغزل لك

فكان يجىء بالاستارين ـ بالأستارين فى الوزن أربعة مثاقيل ونصف ـ والثلاثة

فقالت مخة بنت الحارث لأخيها بشر :

- يا أخى الغزل قد اجتمع أفلا تسلم إزارك ؟

قال بشر الحافى :

- هاتيه

تقول مخة بنت الحارث :

فأخرجته إليه فوزنه فأخرج ألواحه وجعل يحسب الأساتير

فلما رآها قد زادت فيه قال لى :

- كما أفسدته فخذيه

* حتى يعوضك الله خيراً منه

ذات ضحى جاءت مخة بنت الحارث إلى أحمد بن حنبل فقالت :

- إنى امرأة رأس مالى دانقان ، أشترى القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم - ثلاثة دوانق - فأتقوت بدانق من الجمعة - أسبوع - ، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل ، فوقف يكلم أصحاب المسالح - بفتح الميم وهم الجماعة والقوم ذوو السلاح - فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات ، ثم غاب عنى المشعل ، فعلمت أن لله فى مطالبة ، فخلصنى خلصك الله .

فقال أحمد بن حنبل :

- تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه

فقال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه :

- يا أبه : لو قلت لها : لو أخرجت الغزل الذى أدرجت فيه الطاقات ؟

قال أحمد بن حنبل :

- يا بنى : سؤالها لا يحتمل التأويل

ثم تساءل أحمد بن حنبل :

ـ من هذه ؟

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

ـ هذه مخة أخت بشر بن الحارث

فقال أحمد بن حنبل :

ـ من هاهنا أتيت

لقد كانت مخة بنت الحارث تقصد الإمام أحمد بن حنبل وتسأله عن الورع والتقشف ، وكان الإمام يعجب بمسائلها

* زبدة بنت الحارث

تقول زبدة :

جاء رجل إلى أخى بشر فسأله عن مسألة ، فأطرق بشر مليا ثم رفع رأسه ، ثم أطرق ، ثم رفع رأسه وقال :

اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم

اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت

اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام

* اسمى بشر

تقول زبدة :

ذات ليلة جاء بشر بن الحارث إلى دارى فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار ، وبقى كذلك يتفكر حتى أصبح ، فلما أصبح سألته :

ـ فى ماذا تفكر طوال الليلة يا أبا نصر ؟

قال بشر الحافى:

- تفكرت فى بشر النصرانى ، وبشر اليهودى ، وبشر المجوسى ، واسمى بشر فقلت :

- ما الذى سبق منك حتى خصك ؟

قال أبو نصر :

- فتفكرت فى تفضله على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه

* يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب

لما مرض بشر الحافى مرضه الذى مات فيه اجتمعت إليه مخة وزبدة و. . وقلت له:

- نريد أن نحمل ماءك - ماء بوله - إلى الطبيب

فقال أبو نصر :

- أنا بعين الطبيب يفعل بى ما يريد

قالت زيدة :

- إن فلانا النصرانى طبيب جيد ولابد أن نحمل إليه ماؤك

قال بشر الحافى :

- دعونى فالطبيب أمرضنى

قالت زبدة ومخة :

- لابد من ذلك

قال بشر بن الحارث لأخته زبدة :

- إذا كان فى الغد ادفعى إليهم الماء

فلما أصبحوا أتوهافدفعت زبدة إليهم الماء،فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليهم وقال:

- ضعوه

فوضعوه ، ثم قال :

ـ حركوه

فحركوه

حتى فعلوا ذلك ثلاثا ، فقال أحد القوم :

ـ ما هكذا أخبرنا عنك

فتساءل الطبيب :

ـ وما الذى أخبرتم به عنى ؟

قال :

ـ أخبرنا عنك بحسن النظر وسرعة الإدراك ، وجودة المعافاة ، ونراك تردد النظر ، وذلك يدل على قلة المعرفة

فقال الطبيب :

ـ والله لقد علمت حاله من نظرة ، ولكننى رددت النظر تعجبا ، وبعد فإن يكن هذا ماء نصرانى فهو ماء راهب قد فتت الخوف من الله كبده ، وإن يكن ماء مسلم فهو ماء بشر الحافى ، وليس عندى له دواء ، فعللوه فإنه ميت

فقالوا للطبيب :

ـ هو والله ماء بشر الحافى

فلما سمع الطبيب ذلك أخذ مقراضا ـ مشرط ـ وقطع زناره ـ حزام كان يشده النصرانى والمجوسى على وسطه ـ وقال :

ـ أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

فانطلقوا إلى بشر الحافى ليبشروه ، وقبل أن ينطقوا بحرف واحد قال أبو نصر :

ـ أسلم الطبيب ؟

فقالوا فى عجب :

ـ نعم فمن أخبرك ؟

قال بشر الحافى :

ـ لما خرجتم من عندى أخذتنى سنة وإذا بهاتف يقول :

يا بشر : ببركة مائك أسلم الطبيب

ولم يلبث بشر الحافى بعد ذلك إلا ساعة . . ومات

من أقوال زبدة بنت الحارث :

* قالت زبدة بنت الحارث :

أثقل شىء على العبد الذنوب

وأخفه عليه التوبة

فما له يدفع أثقل شىء بأخف شىء ؟

شعوانة

من المصطفيات ومن عابدات الأبلة

* احتراق القلب

يقول مالك بن ضيغم :

كان رجل من أهل الأبلة يأتى أبى كثيرا فيذكر له شعوانة وكثرة بكائها

فقال له أبى يوما :

- صف لى بكاءها

قال الرجل :

- يا أبا مالك : أصف لك

هى والله تبكى الليل والنهار لا تكاد تفتر

قال أبى :

- ليس عن هذا أسألك ، كيف تبتدئ بالبكاء ؟

قال الرجل :

- نعم يا أبا مالك تسمع الشىء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقطر - المطر - تساءل أبى :

- فمجارى الدموع من المآق الذى على الأنف أكثر أم مؤخر العين مما يلى الصدغ ؟

قال الرجل :

- يا أبا مالك : إن دموعها أكثر من أن يعرف منها ، ما هى إلا أن تسمع الذكر فتجىء عيناها بأدمع نسوجا متبادرة جدا

فبكى أبى وقال :

ـ ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كله

ثم قال :

ـ كان يقال : إن كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب ، حتى إذا احترق القلب كله لم يشأ الحزين أن يبكى إلا بكى ، والقليل من التذكرة يحزنه

* لم تزل تبكى حتى خرجنا وتركناها

يقول مالك بن ضيغم :

قال لى أبى يوما :

انطلق مع منبوذ حتى تأتى هذه المرأة الصالحة فتنظر إليها ـ يعنى شعوانة ـ

فانطلقت أنا وأبو همام ـ منبوذ ـ إلى الأبلة ، ثم غدونا عليها فدخلنا فسلم عليها منبوذ وقال :

ـ هذا ابن أخيك ضيغم

فرحبت بى وقالت :

ـ مرحبا بابن من لم نره ونحن نحبه ، أما والله يا بنى إنى لمشتاقة إلى أبيك وما يمنعنى من إتيانه إلا أنى أخاف أن أشغله عن خدمة سيده ، وخدمة سيده أولى به من محادثة شعوانة

ثم قالت :

ـ ومن شعوانة ؟ وما شعوانة ؟ أمة سوداء عامية

فقلت لها :

ـ أوصنى

قالت :

ـ أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

[سورة النحل الآية : ١٢٨].

فقال منبوذ :

أول أمس رأيت راعيا يصلى والذئب يحرس له غنمه

فلما فرغ من صلاته سألته :

ـ متى اصطلح الذئب مع الغنم ؟

قال الراعى :

ـ لما اصطلح رب الغنم مع رب الذئب

قالت شعوانة :

ـ صدق الراعى

فهتف أبو همام :

ـ ماذا فعل الفأر فى بيتك ؟

كانت شعوانة قد اشتكت كثرة الفأر فى بيتها

فسألت أبا همام :

ـ ماذا تعنى بسؤالك هذا ؟

فقال منبوذ :

ـ اشتكت شعوانة كثرة الفأر فى بيتها

فقلت :

ـ اقتنى هرة

فقالت شعوانة :

ـ أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبه لنفسى وقد قال رسول الله ﷺ : حب لأخيك ما تحب لنفسك (رواه

الإمام أحمد) .

فقلت لها :

ـ أيهما أفضل الورع أم الصوم والصلاة ؟

قالت شعوانة :

ـ مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة

قال منبوذ :

ـ ما الفرق بين ورع العوام وورع الخواص ؟

قالت شعوانة :

ـ إن ورع العوام ترك الشبهات وأما ورع الخواص فهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين وعدم الركون إلى غيره

قلت :

ـ من أين لك هذا ؟

قالت شعوانة :

رأى أحد الصالحين نفسه فى المنام وله جناحان يطير بهما من شجرة إلى شجرة فقيل له :

ـ بما نلت هذا ؟

قال :

ـ بالورع

ثم أخذت شعوانة فى البكاء فلم تزل تبكى حتى خرجنا من عندها وتركناها

* لوددت أن أبكى حتى تنفد دموعى

يقول يحيى بن بسطام :

كنت أشهد مجلس شعوانة كثيرا وكنت أرى ما تصنع بنفسها

قلت لصاحب لى يقال له عمران بن مسلم ذات يوم :

ـ لو أتيناها إذا خلت

فانطلقت أنا وهو إلى الأبلة فاستأذنا عليها فأذنت لنا فإذا منزل رث الهيئة أثر الجدب عليه بين فقال لها عمران بن مسلم :

ـ لو رفقت بنفسك فقصرت عن هذا البكاء شيئا كان أقوى لك على ما تريدين

فبكت . . ثم قالت :

ـ والله لوددت أنى أبكى حتى تنفذ دموعى ، ثم أبكى الدماء حتى لا تبقى فى جسدى جارحة فيها قطرة من دم ، وأنى لى البكاء ؟

ثم أخذت تردد ذلك حتى خرجنا وتركناها على تلك الحال

* من استطاع منكم أن يبكى فليبك

قال رجل لأبى عمر الضرير :

ـ أتيت شعوانة ؟

قال أبو عمر الضرير :

ـ قد شهدت مجلسها مرارا كنت لا أفهم ما تقول من كثرة بكائها

فقال الرجل :

ـ فهل تحفظ من كلامها شيئا ؟

قال أبو عمر الضرير :

ـ ما حفظت من كلامها شيئا أذكره الساعة إلا شيئا واحدا

فتساءل الرجل :

ـ ما هو ؟

قال أبو عمر الضرير :

سمعتها تقول :

من استطاع منكم أن يبكى فليبك وإلا فليرحم الباكى إنما يبكى لمعرفته بما أتى إلى نفسه

* فى مكة

كانت شعوانة وزوجها إذا جاء الموسم انطلقا إلى مكة

يقول إبراهيم بن عبد الملك :

قدمت شعوانة وزوجها مكة فجعلا يطوفان فإذا أكل أو أعيا جلس وجلست خلفه

فيقول هو فى جلوسه :

- أنا العطشان من حبك لا أروى

وتقول هى بالفارسية :

- أنبت لكل داء دواء فى الجبال ، ودواء المحبين فى الجبال لم ينبت

ولقيت شعوانة فى الحجر رجلا من العباد كست وجهه صفرة المرض فسألته:

- كيف تجدك ؟

قال الرجل :

- ذنوب كثيرة ونفس ضعيفة وحسنات ليلة وسفرة طويلة وغاية مهولة

فقال زوج شعوانة :

- ما معك من الزاد لما ذكرت ؟

قال الرجل :

- معى الأمل فى السيد الكريم

ثم قال :

اللهم لا تقطع بمؤملك فى تلك الغمرات وارحمه فى تلك الحيرة والحسرات إذا انخلعت القلوب من غصص الندامات

وجعل يشهق ويتشهد حتى مات

ولما جن الليل دخلت شعوانة وزوجها الطواف فإذا هى بجارية تطوف وتقول:

أبى الحب أن يخفى وكم كتمته ... فأصبح عندى وقد أناخ وطنبـا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره ... وإن رمت قربا من حبيب تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا به لـــــه ... ويسعدنى حتى ألذ وأطربــــا

طنب المكان : أقام

فقالت لها شعوانة :

ـ يا جارية : أما تتقين الله تعالى ؟ فى مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟

فالتفتت إليها وقالت :

ـ يا شعوانة :

لولا التقى لم ترنى ... أهجـر طيب الوسن
إن التقى شرَّدنى ... كما ترى عن وطنى
أفر من وجدى به ... فحبسه هيمنــــى

ثم تساءلت :

ـ يا شعوانة : تطوفين بالبيت أم برب البيت ؟

قالت شعوانة :

ـ أطوف بالبيت

فرجعت الجارية رأسها إلى السماء وقالت :

ـ سبحانك ما أعظم مشيئتك فى خلقك ، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار

ثم أنشأت تقول :

يطوفون بالأحجار يبغـون قربـة	إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هـم	وخلوا محل القرب فى باطن الفكر
فلو أخلصوا فى الود غابت صفاتهم	وقامت صفات الود للحق بالـذكر

فأجهشت شعوانة بالبكاء وغشى عليها من قول الجارية

فلما أفاقت شعوانة لم ترها

* قالوا عن شعوانة

* قال ابن عون :

بكت شعوانة حتى خفنا عليها العمى فقلنا لها فى ذلك فقالت :

- أعمى والله فى الدنيا من البكاء أحب إلى من أعمى فى الآخرة من النار

* قال روح بن سلمة :

ما رأيت أحدا أقوى على كثرة البكاء من شعوانة

ولا سمعت صوتا قط أحرق لقلوب الخائفين من صوتها إذا هى نشجت ثم نادت :

- يا موتى وبنى الموتى واخوة الموتى

* قال الحارث بن المغيرة :

كانت شعوانة تنوح بهذين البيتين :

يؤمل دنيا لتبقـى له	فوافى المنية قبـل الأمل
حثيثا يروى أصول الفسيل	فعاش الفسيل ومات الرجل

الفسيل مفرد ، فسيلة وهى كل عود يقع من شجرته فيغرس كالنخل وغيره

* يقول الفضيل بن عياض :

قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألت أن تدعو بدعاء

فقالت :

ـ يا فضيل : أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك ؟

فشهق الفضيل وخر مغشيا عليه

*** قال محمد بن عبد العزيز بن سلمان :**

كانت شعوانة قد كمدت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأتاها آت فى منامها فقال :

أذرى جفونك اما كنت شاجـــية ... إن النياحة قد تشفى الحزينينـا

جدى وقومى وصومى الدهر دائبة ... فان الدؤوب من فعل المطيعينا

فاصبحت فأخذت فى الترنم والبكاء وراجعت العمل

عبدة بنت أبى شوال

مولاة رابعة العدوية

* سيدة الزاهدين

تقول عبدة بنت أبى شوال :

هل كان زهد رابعة بنت إسماعيل العدوى ناشئا من أنها ولدت فى بيت خصاصة ـ فقر وحاجة ـ ؟ وتربت فى أحضان الفقر ؟ أم أقبلت عليها الدنيا فزهدت فيها وانقطعت عنها وأغضت بصرها وقلبها عن زخرفها ومتاع غرورها ؟ سمعت عن رابعة فتطوعت لخدمتها فرأيت صورة رائعة من الزهد

كانت رابعة بنت إسماعيل العدوية من الزهاد الذين يعطون الجائع ويكسون العارى ويساعدون المضطر ويعينون ذا الحاجة ويفكون العانى ـ الأسير ولا يرددون سائلا قط سواء ألحف فى سؤاله أو لم يلحف ، لقد تعلمت رابعة هذه الفضائل والمكارم والقيم من حبيب الرحمن ﷺ فإنه لم يشبع من خبز الشعير قط ولم يأكل صنفين من الطعام على مائدة واحدة .

كانت رابعة العدوية قد عصمت يدها من جمع المال ، كما عصمت نفسها من الشهوات وعينيها من التطلع إلى مباهج الدنيا فقد كان بوسعها أن تعيش فى سعة من الرزق لو أنها قبلت بعض الهبات التى قدمها لها التجار وأرباب الثراء فى البصرة فقد كان موسرو البصرة يتنافسون فى تقديم الهبات إلى رابعة ولكنها لم تمد يدها لإنسان لتأخذ منه شيئا حتى ولو كانت فى مخمصة .

جاء مالك بن دينار يوما فوجد رابعة العدوية تشرب من جرة مكسورة وقد فرشت على الأرض حصيراً من خوص قديما ومخدتها من اللبن ـ الطوب النيئ ـ

فقال فى صوت ينبض بالحزن :

ـ يا رابعة : لى أصدقاء أغنياء فإن سمحت لهم أن يعطونى شيئا من أجلك

فانتفضت رابعة وكأن عقربا لدغتها لما سمعت ذلك وقالت وهى تتنهد أسفا :

ـ لقد أسأت القول يا مالك ، إن الله تعالى هو الذى يرزقنى ويرزقهم أفمن يرزق الأغنياء لا يرزق الفقراء ، فإذا كانت هذه مشيئته فنحن من جانبنا نرضى عنها كل الرضا

قال أحد الأغنياء ذات يوم :

ـ يا رابعة : سلينى حاجتك.

قالت رابعة العدوية :

ـ إنى أستحى أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها.

* من أدى الصلاة بلا حضور قلب فهو لاه

تقول عبدة بنت ابى شوال :

قالت لى رابعة ذات ليلة :

ـ يا عبدة : هل عجنت العجين ؟

قلت :

ـ نعم

وراحت رابعة تصلى ، وفى سجود ها فكرت فى العجين :

ـ هل اختمر العجين ؟

فلما نامت تلك الليلة رأت فى منامها قصرها فى الجنة قد تساقطت شرفاته

فانتبهت من نومها فزعة :

ـ عبدة يا عبدة

فقلت :

ـ لبيك سيدتى

وروت لى ما رأت فى نومها ثم تساءلت :

ـ يا عبدة : هل من أدى الصلاة بلا حضور قلب فهو لاه ؟

فقلت لها :

ـ يا سيدتى : لقد صلى رجل فى بستانه فأعجبه ثمره فلم يدر كم صلى ؟ ثلاثًا ؟

أربعًا ؟

فجعل بستانه صدقة فى سبيل الله

فقالت رابعة :

- اخبزى هذا العجين وقدميه إلى الفقراء والمساكين

* إذا كان المحب نائما فإن المحبوب يقظان

تقول عبدة بنت أبى شوال :

دخل لص دار رابعة ذات ليلة وهى نائمة فحمل درعها - ثوبها - وطلب الباب فلم يجده ، فوضع الثوب وطلب الباب فوجده ، فأسرع واختطف الثوب وهم بالفرار ولكنه لم يجد الباب ، فأعاد ذلك مرارا كثيرة فهتف به هاتف:

- إذا كان المحب نائما فإن المحبوب يقظان ، ضع الثوب واخرج من الباب ، فإنا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة

فوضع اللص الثوب

فشعرت بحركة فى الحجرة فهتفت :

- من هذا :

فاستيقظت رابعة فلما رأت اللص قالت :

- يا هذا : لا تخرج قبل أن تأخذ شيئا

فتعجب اللص من قولها وقال :

- ليس فى الحجرة غير هذا الإبريق فماذا أفعل به ؟

فقالت رابعة العدوية :

- أخرج إلى صحن الدار بهذا الإبريق وتوضأ منه وصل ركعتين وسوف تخرج بشىء.

كانت لحظة إيمانية نورانية فى حياة اللص ، لقد وجد فى صدره استجابة لما أمرته به رابعة أخذ اللص الابريق وتوضأ منه ثم وقف يصلى

تقول عبدة بنت أبى شوال :

ـ فلما رأيته على هذا الحال أدركت أن رحمة الله عز وجل غمرته بالتوبة

رفعت رابعة العدوية يديها إلى السماء وقالت :

ـ سيدى ومولاى : هذا قد أتى بابى ولم يجد شيئا عندى وقد أوقفته ببابك ، فلا تحرمه فضلك وثوابك تقول عبدة :

رحت أختلس النظر إلى اللص ، وماذا كان أثر الصلاة فى نفسه ، ولشدة ما سرنى أن رأيت اللص قد اندمج فى الصلاة حتى مطلع الفجر

* سترك الله

تقول عبدة بنت أبى شوال :

كانت رابعة إذا قامت إلى الصلاة انهمرت الدموع من عينيها فيصبح مكان سجودها كأن طفلا قد بال فيه دخل علينا ذات يوم رجل اسمه سجيف بن منظور وكانت رابعة ساجدة ، فلما رفعت رأسها أحست به ، فوجد موضع سجودها مبللا من دموعها

فسلمت وقالت له :

ـ يا بنى : ألك حاجة ؟

قال سجيف بن منظور :

ـ لا ولكن جئت لأسلم عليك

فبكت رابعة العدوية وقالت :

ـ سترك الله

ثم دعت بدعوات وقامت إلى الصلاة

* قيام الليل :

ذات ليلة شكت عبدة بنت أبى شوال لرابعة بنت إسماعيل طول السهر وطلبت حيلة تجلب بها النوم فقالت رابعة العدوية :

- يا عبدة : إن لله نفحات فى الليل والنهار ، تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرضى لتلك النفحات

فقالت عبدة :

- يا سيدتى : أيهما أرجى نفحات الليل أم نفحات النهار ؟

قالت رابعة :

- إن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل

قالت عبدة :

- كيف الليل عليك؟

قالت رابعة بنت إسماعيل :

ساعة أنا فيها بين حالتين : أفرح بظلمته إذا جاء ، وأغتم بفجره إذا طلع ، ما تم فرحى به قط ، ما يحزننى شيء سوى طلوع الفجر

تقول عبدة بنت أبى شوال :

دخلت على رابعة العدوية ذات ضحى فرأيت على وجهها النور فقد كانت كثيرة الصوم والبكاء

* الدنيا

تقول عبدة :

دخل على رابعة رياح القيسى وصالح بن عبد الجليل وكلاب فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها

فقالت رابعة :

ـ إنى لأرى الدنيا بترابيعها ـ بجهاتها الأربع وكل ما فيها ـ فى قلوبكم

فقالوا :

ـ من أين توهمت علينا ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبهم فتكلمتم فيه

فقال رياح القيسى :

ـ يا رابعة : ادعى

تقول عبدة بنت أبى شوال :

كانت رابعة مجابة الدعاء ، ولكنها لم تكن تدعو لغرض دنيوى ، وإنما كانت تدعو الله إما لتفريج أزمة إنسان أو لإعطائها ما تواجه به موقفا طارئا

التصقت رابعة بنت إسماعيل بحائط حجرتها وقالت :

ـ من أنا يرحمك الله ، أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطرين ـ المضطر ـ

وأقبل سفيان الثورى وجعفر بن سليمان فدخلا على رابعة ثم رفع سفيان الثورى يده وقال :

اللهم إنى أسألك السلامة

فبكت رابعة فسألها :

ـ ما يبكيك يا رابعة ؟

قال رابعة العدوية :

ـ أنت عرضتنى للبكاء

فقال سفيان الثورى :

- وكيف ؟

قالت رابعة :

- أما علمت يا سفيان : إن السلامة من الدنيا ترك ما فيها ؟ فكيف وأنت متلطخ بها ؟

فقال سفيان الثورى :

- واحزناه

فقالت رابعة العدوية :

- لا تكذب ، واقلة : وقلة حزناه ، لو كنت محزونا ما هناك العيش ثم قالت :

- يا سفيان : إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم .. فاعمل

* يا نفس كم تنامين ؟

يقول عبيس بن مرحوم العطار :

حدثت عبدة بنت أبى شوال وكانت من خيار إماء الله وكانت تخدم رابعة :

- حدثينى يا عبدة : كيف عبادة رابعة ؟

قالت عبدة :

كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة :

- يا نفس كم تنامين ؟

وإلى كم تقومين ؟

يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور

تقول عبدة بنت أبى شوال :

ـ فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت

* وفاة رابعة العدوية

تقول عبدة بنت أبى شوال :

لما حضرتها الوفاة دعتنى فقالت :

ـ يا عبدة : لا تؤذنى ـ تعلمى ـ بموتى أحدا ، وكفنينى فى جبتى هذه ـ جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ـ

تقول عبدة بنت أبى شوال :

ـ فكفناها فى تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه

* رؤية رابعة فى المنام

تقول عبدة بنت أبى شوال :

رأيت رابعة العدوية بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة من إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه فقلت :

ـ يا رابعة : ما فعلت الجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف ؟

قالت :

ـ إنه والله نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترينه على ، وطويت أكفانى وختم عليها ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة

قلت :

ـ لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟

قالت رابعة :

ـ وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه

فقلت :

ـ فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب ؟

قالت رابعة :

ـ هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى

قلت :

ـ وبم وقد كانت عند الناس ؟

ـ أى أكثر منها

قالت رابعة :

ـ إنها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا وأمست

فقلت :

ـ فما فعل أبو مالك ـ تعنى ضيغما ـ ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ يزور الله متى شاء

قلت :

ـ فما فعل بشر بن منصور ؟

قالت رابعة :

ـ بخ بخ أعطى والله فوق ما كان يأمل

قلت :

ـ فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل

قالت رابعة العدوية :

ـ عليك بكثرة ذكره ، أوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك

رابعة العدوية

عذراء البصرة البتول

معلمة العلماء

شهيدة الحب الإلهى

رابعة بنت إسماعيل العدوى

* على طريق الزهد

بدت على رابعة ـ سميت رابعة لأنها ولدت بعد ثلاث بنات لإسماعيل العدوى ـ علامات النجابة ومخايل الذكاء فى طفولتها الطاهرة الناضرة كما بدت عليها أمارات التقوى فى سن اللهو واللعب

فذات يوم جلس إسماعيل العدوى بين بناته الأربع وامرأته ليتناولوا طعامهم ، ولكن رابعة لم تمتد يدها نحو الطعام ولم ترفع الى فيها لقمة ، فسألها أبوها :

ـ لماذا لا تأكلين يا رابعة ؟

قالت رابعة :

ـ يا أبت لست أجعلك فى حل من حرام تطعمنى إياه

فكف إسمياعيل العدوى يده وكأن عبارة ابنته شلت يده وفكيه وتساءل :

ـ أرأيت يا رابعة إن لم أجد إلا حراما ؟

فقالت رابعة العدوية :

ـ نصبر يا أبت فى الدنيا على الجوع خيرا من أن نصبر فى الآخرة على النار كانت هذه العبارة إشارة البدء فى السير على طريق مضىء بالزهد والورع والتقوى

* الابتلاء

كان أول ابتلاء رابعة بنت إسماعيل أن توفى والدها

ثم لحقت به أمها فامتلأت عينا رابعة بدمع اليتم

فراحت رابعة تصلى وتدعو لأبويها بالمغفرة لكى يظل عملهام الصالح ممتدًا موصولا فرفعه أنسها بالقرب من القريب المجيب من وحشة اليتم إلى مرتبة النعيم الروحى فزادها صفاء وجلاء وصقلا لذاتها

فامتلأ قلبها بحب الله تبارك وتعالى

وحفظت رابعة القرآن العظيم قبل أن تبلغ العاشرة

كما حفظت عشرات الأحاديث النبوية عن ثقاة الرواة

وكانت رابعة أول امرأة هتفت بحب الله عز وجل

وعزمت على أن تنقطع عن الدنيا زهدا فيها وتتفرغ لعبادة حبيبها الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا يدخل قلبها حب سواه

وجاء الابتلاء الثانى وكان عاصفا جامحا عنيفا فقد أصاب البصرة القحط والجدب واقتحم الجوع كل بيت إلا قصور الأمراء فنشط وسط بحر هذه المحنة تجار الرقيق وتعاونوا مع اللصوص وقطاع الطرق على بيع الصغار والأولاد الذين هم دون سن البلوغ فوقعت رابعة فى أسر العبودية وانتقلت من حياة الحرية إلى قيود الرق والعبودية فعملت خادمًا فى بيت أحد التجار وكان رجلا فظا غليظ القلب

وعاشت رابعة العدوية فى بيت سيدها كأى مؤمنة بين الخوف والرجاء ، ولكن كفة الخوف كانت ترجح كفة الرجاء لشدة قربها من القريب السميع البصير فحبيب الرحمن ﷺ يقول :

- إنى لأقربكم إلى الله وأشدكم منه خوفا

وراحت تناجى الواحد الأحد

إلهى

أنا يتيمة معذبة أرسف فى قيود الرق ، سوف أتحمل كل ألم وأصبر عليه ، ولكن

عذابا أشد من العذاب يؤلم روحى ويفك أوصال نفسى منشأه ريب يدور فى خلدى: هل أنت راض عنى ؟

تلك غايتى

إن اليتم والرق والعذاب وكل المنغصات والمحن لا تساوى عند رابعة العدوية شيئا إذا قورنت بعدم رضا القريب المجيب

* باب الحرية

عاشت رابعة العدوية محنة الرق والعبودية كما يمر شعاع بمستنقع آسن فلا المستنقع يلوث الشعاع ولا الشعاع يطهر ماء المستنقع ، فقد صفت نفس رابعة وصارت صلتها بالسماء أقوى من صلتها بالأرض ، وعلاقتها بالملأ الأعلى أشد وأقوى من روابطها بالبشر

وذات ليلة أصاب الأرق التاجر وخاصم النوم جفنيه وراح يتقلب على فراش الشوك فترامى إلى مسمعه صوت خافت ينبعث من غرفة رابعة فعصفت برأسه رياح الأفكار السوداء والظنون ، هل بلغت بها الجرأة أن تدعو عشيقها إلى داره ؟ هل تئن وتتوجع ؟ لم لا يكون غطيطا ؟

تسلل التاجر كالثعبان حتى وقف بباب رابعة فرآها ساجدة وهى تقول فى صوت حزين يخالطه البكاء :

إلهى

أنت تعلم أن قلبى يتمنى طاعتك

ونور عينى فى خدمتك

ولكنك تركتنى تحت رحمة هذا المخلوق القاسى من عبادك

انتفض القلب القاسى كالذبيح فى صدر التاجر عندما سمع كلمات رابعة العدوية وهى تصف حبها لله عز وجل فى أسلوب ناصع مبين فيه حلاوة وطلاوة وعذوبة ، كانت كلماتها الباهرة الصافية الآسرة كأنها مسكوبة فى قالب من السحر

وأحس التاجر بزلزال غاضب هائج فى صدره ، ومادت الأرض تحت قدميه عندما رأى موضع سجودها كهيئة ماء المستنقع من دموعها

ووقف التاجر وكأن على رأسه الطير ينظر مرة إلى مستنقع دموعها وهذا السراج الذى تدلى من السماء فجعل حجرتها نهارا ساطعا

وأحس التاجر برعدة الخوف تجتاح كيانه

وعاد يتأمل السراج مبهورا إنه كوكب ساطع

إن هذه الفتاة تتبوأ منزلة عالية رفيعة بين نساء العالمين

إنه يخشاها بعد أن سمعها تصفه بالقسوة والغلظة

هتف التاجر :

ـ يا رابعة

أقبلت رابعة وقالت فى صوت خفيض :

ـ لبيك سيدى

قال التاجر وكأنه يلقى حجرا ثقيلا جثم على صدره طويلا :

ـ قد وهبتك الحرية

لم تصدق رابعة العدوية فنظرت إليه فى عجب فعاد يقول :

ـ نعم وهبتك الحرية فإن شئت بقيت معنا هنا كواحدة من أسرتى ، وإن شئت ذهبت إلى أى مكان تريدين الذهاب إليه

ولم تتردد رابعة وأعربت للتاجر عن اختيارها الحرية

وودعته وانطلقت من السجن الذى فُتح بابه فجأة بعد سجن طويل وعذاب أليم

* المأدبة

جرت الحكمة على لسان رابعة العدوية وأفاض العليم الخبير عليها من ينابيع الإلهام فقد كانت ذات قدرة فائقة خارقة فى حفظ الحديث وعلم التأويل والتفسير حتى صارت فى فترة وجيزة تنافس العلماء والفقهاء فيما يعلمون ويفقهون

بل جعلت تعلم العلماء وتفقه الفقهاء وتبسط الهدايا للمذنبين والحائرين

وصارت رابعة العدوية حديث الناس لافى البصرة وحدها ولا فى أرض الرافدين فقط بل فى كل مكان يتحدث الناس عن ورعها وزهدها وتقواها والزهد والتقوى

وذات يوم قال سفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث لأحد أصحابه ـ جعفر بن سليمان ـ :

ـ هلم بنا إلى المأدبة

فقال جعفر بن سليمان :

ـ تعنى رابعة العدوية ؟

قال سفيان الثورى :

ـ نعم

فلما دخلا رفع سفيان الثورى يديه وقال :

ـ اللهم إنى أسألك السلامة

فلما سمعت رابعة هذا الدعاء بكت فسألها سفيان الثورى :

ـ ما يبكيك يا رابعة ؟

فقالت رابعة بنت إسماعيل :

ـ أنت السبب لقد عرضتنى للبكاء ، أما علمت يا سفيان أن السلامة من الدنيا ترك

ما فيها ؟ وأنت متلطخ بها ؟

قال سفيان الثورى :

- واحزناه

فقالت رابعة العدوية

- لا تكذب . . قل : واقلة حزناه ، لو كنت محزونا ما هناك العيش يا سفيان : إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل

ثم قالت :

- لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا

قيل لها :

- كيف ؟

قالت رابعة العدوية

- لأنها تفنى

فسألها رجل من أهل الكوفة :

- من أين أتيت ؟

قالت رابعة بنت إسماعيل :

- من العالم الآخر

فقال الرجل :

- وإلى أين ذاهبة ؟

قالت رابعة العدوية :

- إلى العالم الآخر

فتساءل الكوفى :

- وماذا تفعلين فى الدنيا ؟

قالت رابعة بنت إسماعيل العدوى :

- آكل خبزها وأعمل للآخرة

وسأل رجل رابعة العدوية:

- من العاقل ؟

قالت رابعة بنت إسماعيل :

- العاقل المصيب من عرف الله تعالى فأطاعه ، وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها

ثم هزت رابعة العدوية رأسها وقالت :

- العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبرا قبل أن يدخل فيه ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه ثم أردفت :

- من هنا كان من الحكمة أن يضع العاقل المصيب حدا لهذه الأمانى المتعلقة بهذه الدنيا الفانية حتى لا يكون مطية لها ، وحتى لا يكون من أهل الشقاء ، أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا

وكان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه :

اللهم إنى أعوذ بك من ذنب يمنع خير الآخرة

وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات

وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل (رواه البزار عن أنس)

* معلمة العلماء

جعلت رابعة بنت إسماعيل العدوى دارها مدرسة تعلم هؤلاء الأئمة والفقهاء

والعلماء : الحسن البصرى ، سفيان الثورى ، مالك بن دينار ، عبد الواحد بن زيد معروف الكرخى و . . . و . . . غيرهم من العلماء والفقهاء والصالحين فى عصرها

وذات يوم جلست رابعة على شاطىء النهر تتأمل عظمة الله فى هذا النهر ، وإذا بالحسن البصرى أقبل نحوها ثم ألقى بسجادة على صدر النهر ووقف عليها ثم قال :

ـ يا رابعة العدوية تعالى نصلى ركعتين على الماء :

قالت رابعة العدوية :

ـ سيدى : أهى أمور هذه الدنيا ما تريد أن تظهره لأهل الآخرة ؟ أظهر لنا شيئا لا يستطيع جمهور الناس أن يفعلوه

ثم بسطت رابعة العدوية سجادتها فى الهواء وصعدت عليها وصاحت :

ـ تعال يا حسن : نحن هنا فى مكان آمن وأبعد عن عيون الناس

فهل كانت مساجلة بين ولية وولى الله ؟ أم بين عارفة الله وعارف الله ؟

ثم قالت رابعة للحسن :

ـ سيدى : ما فعلت أنت يستطيع السمك أن يفعله ، وما فعلت أنا يستطيع الذباب أن يفعله ، المهم أن نبلغ درجة أعلى من هاتين الدرجتين اللتين بلغناهما

* الرغيفان

زار رابعة بنت إسماعيل العدوى اثنان من العلماء ذات يوم وقت الظهيرة وطلبا إليها أن يتغذيا ، ولم يكن عند رابعة إلا رغيفان فقط وبعض التمر ، فوضعتهما أمامهما ، ثم ذهبت لتأتى بالتمر ، فإذا بسائل يطرق باب دار رابعة تبدو عليه علامة الجوع الشديد

فأخذت رابعة الرغيفين من بين أيديهما وقدمتهما إلى السائل

فتعجب العالمان وكست وجوههما سحب الدهش والاستغراب

ثم رفعت رابعة يديها إلى السماء وقالت :

إلهى

لقد قلت فى محكم كتابك ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٦٠] .

وأنا من أجلك أعطيت السائل رغيفين فأعطنى عشرة عن كل واحد

وما كادت رابعة العدوية بنت إسماعيل تنتهى من دعائها هذا حتى دخلت الدار خادمة تحمل عددا من الأرغفة وقدمتها إلى رابعة وقالت لها :

ـ سيدتى فى خدمتك

فأحصت رابعة العدوية الأرغفة فوجدتها ثمانية عشر رغيفا

فقالت للخادم :

ـ ارجعى إلى سيدتك وقولى لها : حدث خطأ فى العدد

فرجعت الخادم إلى سيدتها وأخبرتها ، فلما عدت وأحصت الأرغفة قالت لها:

ـ نعم العدد ناقص رغيفين

ثم أكملت الأرغفة عشرين وبعثت بها إلى رابعة العدوية

ودفع الفضول العالمين فسألاها عن سر ما حدث فأخبرتهما رابعة العدوية

* رابعة العدوية ترفض الزواج من والى البصرة و ..

كانت رابعة العدوية معروفة بين أهل البصرة بأنها زاهدة عابدة انقطعت عن الدنيا وشهواتها فقد ارتفعت بأنوثتها عن مطالب الجسد وتناءت عن أودية الشهوات

ورغم تهافت الخطاب عليها تهافت الفراشات على الضوء فإنها أعربت وأعلنت عن رفضها للزواج ، إنها فى مملكة الحب الإلهى ، سلطانة لها عرش وتاج ، زوارها الملائكة والمؤمنون والعلماء والفقهاء ومريدو العلم ، فهل تستبدل بذلك عرضا زائلا ومتاعا فانيا ودنيا لا بقاء لها ؟

وتقدم أمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمى يرغب الزواج من رابعة

ولكن رابعة العدوية وضعت الدنيا بزينتها وزخرفها ومتاعها تحت قدميها وسمت بغرائزها إلى آفاق تقف دونها النفس البشرية فجلست على عرش الورع وأن حب الله عز وجل ملك عليها فؤادها وملأ صدرها وأصبح شغلها الشاغل ليل نهار

وأحدث رفض رابعة العدوية الزواج من أمير البصر دويا هائلا فى البصرة

وتقدم عبد الواحد بن زيد أحد علماء وزهاد وعباد البصرة إلى رابعة فقالت له:

ـ يا شهاوانى : اطلب شهوانية مثلك أى شىء رأيت فى من آلة الشهوة ؟

كان حب رابعة العدوية لله عز وجل نقلها من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام بلغ بها مقام الصديقة والإحسان فأصبح قلبها لا يلتفت إلا لحبيبها عز وجل ولا تتجه بمشاعرها إلى عرض من أعراض الدنيا ، فكيف تترك هذا النعيم الخالد الإلهى وتخرج من الجنة القدسية لتتزوج ، وتصبح امرأة عادية مثل باقى النساء ؟

* أنا أعبد الله لذاته

كان مجلس رابعة بنت إسماعيل تربية للقلوب وإنماء للورع وإرباء للتقوى ، وكان كبار التابعين وصغار الصحابة يلتقون فى بيتها

سألت رابعة أحدهم ذات يوم :

ـ لماذا تعبد الله ؟

فقال :

ـ أعبد الله لأنى أخاف النار

وسألت رابعة آخر :

ـ وأنت : لماذا تعبد الله ؟

فقال :

ـ أعبده خوفا من النار وطمعا فى الجنة

فتنهدت رابعة العدوية وقالت :

ـ ما أسوأ العبد الذى يعبد الله تعالى رجاء دخول الجنة أو مخافة النار

ثم تساءلت رابعة بنت إسماعيل :

ـ إذا لم يكن ثمة جنة ولا نار أفلا تعبدون الله تعالى ؟

فتبادل الحاضرون نظرات حيرى ثم قالوا :

ـ وأنت : لماذا تعبدين الله عز وجل ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ أما أنا فأعبده حبا لذاته ، أفلا يكفينى منه أنه يأمرنى بعبادته ؟

إنها تعبد الله تبارك وتعالى حبا له وشوقا إليه واعترافا بنعمه التى لا تحصى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [سورة النحل الآية : ١٨] .

* من أفقه أهل البصرة ؟

تقول عبدة بنت أبى شوال خادم رابعة :

كانت رابعة كثيرة البكاء قلت لها يوما :

ـ يا سيدتى : عليك بالرجاء وإن عفو الله أعظم من ذنوبك

فقالت رابعة :

ـ أو على ذنوبى أبكى ؟ لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال خطايا

وسئلت رابعة بنت اسماعيل :

ـ ما بال الشيخ على الدنيا أحرص من الشباب ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب

ثم قالت عذراء البصرة البتول :

قيل للإسكندر : ما سرور الدنيا ؟

قال :

ـ الرضا بما رزقت منها

فقيل له :

ـ فما غمها ؟

قال الإسكندر :

ـ الحرص عليها

وقيل لرابعة العدوية :

ـ من أفقه أهل البصرة ؟

قالت معلمة العلماء :

ـ أتقاهم لربه عز وجل

ثم أردفت :

ـ إنما الفقيه من يخاف الله تبارك وتعالى

* من أقوال رابعة العدوية :

كانت رابعة تقول :

* اللهم إنى أعوذ بك من كل شيء يشغلنى عنك ، ومن حال يحول بينى وبينك

* محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه

* اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم

* إنى لأرى الدنيا بترابيعها فى قلوبكم ، إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء فى قلوبكم فتكلتم

*** وفاة رابعة العدوية**

ماتت عذراء البصرة البتول سنة خمس وثلاثين ومائة من الهجرة

ودفنت فى بيت المقدس

معاذة العدوية

* نسبها

هى معاذة بنت عبد الله العدوية .

* كنيتها

تكنى أم الصهباء محمد بن فضيل. .

كانت من عابدات البصرة.

وهى زوجة صلة بن أشيم العدوى أبو الصهباء العابد الزاهد .

كان راهبا من رهبان الليل ، فارسا من فرسان النهار .

وكان لا ينام ليله ولا يفطر نهاره.

* يانفس

كانت معاذة بنت عبد الله العدوية تحيى الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول :

- يا نفس : النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك فى القبر على حسرة أو سرور.

فهى كذلك حتى تصبح

وكانت إذا جاء النهار قالت :

- هذا يومى الذى أموت فيه .

فما تنام حتى تمسى .

وإذا جاء الليل قالت :

- هذه ليلتى التى أموت فيها.

فلا تنام حتى تصبح.

وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

فكانت تصلى كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزأها من الليل تقوم به .

وكانت تقول :

ـ عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور .

يقول الحسن بن على بن مسلم الباهلى :

سمعت أبا السوار العدوى يقول :

بنو عـدى أشـد أهل هذه البلدة اجتهادا : هذا أبو الصهباء ـ صلة بن أشيم العدوى ـ لا ينام ليله ولا يفطر نهاره ، وهذه امرأته معاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلى السماء أربعين عاما .

* قالت لى معاذة

أرضعت معاذة بنت عبد الله العدوية جارية ـ فتاة أم الأسود بنت زيد العدودة ـ

تقول ـ أم الأسود بنت زيد العدوية :

قالت لى معاذة : يا بنية : كونى من لقاء الله عز وجل على حذر ورجاء، إنى رأيت الراجى له محقوقا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف مؤملا للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين . ثم بكت حتى غلبها البكاء .

* أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر

تقول معاذة بنت عبد الله العدوية :

حدثنى جعفر بن زيد فقال :

خرجنا فى غزاة ـ غزوة ـ إلى كابل ـ عاصمة أفغاستان اليوم ـ ، وكان فى الجيش صلة بن أشيم ، فلما أرخى الليل سدوله حط المسلمون رحالهم وأصابوا شيئًا من الطعام وصلوا العشاء الأخيرة فقلت :

- لأرْمقن عمل صلة بن أشيم وأنظر ما يذكر الناس من عبادته .

فما أن غـرق الجنـد فى نومـهم حتى رأيتـه يستيـقظ من رقدته وينحاز عن العسكر - يميل بعيدا عن العسكر - ويدخل غيضة - غابة باسقة الأشجار - كأن لم تطأها قدمان منذ دهر طويل ، لقد التمس غفلة الجند وهدوء العيون .

فمضيت فى إثره - وراءه - فتوضأ ثم قام يصلى واستغرق فى صلاته كأنما يجد فى الوحشة أنسا ، وفى البعد قربا وفى الظلمة ضياء ونورا .

وبينما هو كذلك إذا جاء أسد حتى دنا منه ، فصعدت فى شجرة باسقة فراراً من شره .

وراح الأسد يقترب من صلة بن أشيم حتى صار على قيد - بعد - خطوة ، ولكن صلة بن أشيم لم يلتفت إليه فهل عده جرذًا ؟

ثم سجد فقلت :

- الآن يفترسه

فلما نهض من سجوده وجلس اقترب الأسد منه ووقف بإزائه - أمامه - كأنه يتأمله.

ولما فرغ من صلاته نظر إلى الأسد وقال له :

- أيها السبع : اطلب الرزق من مكان آخر .

فإذا بالأسد ينصرف عنه وهو يزأر زئيراً تصدع الجبال منه .

ولما تنفس الصبح جلس صلة بن أشيم فحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم قال :

اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار ، أَوَ مثلى يَجْترئ أن يسألك الجنة ؟

ثم رجع إلى رحله فأصبح كأنه بات على الحشايا .

وأصبحت وبى من الفترة ـ الانكسار والضعف ـ شىء الله عز وجل به عليم .

*** اللهم إنى أقسم عليك**

تقول معاذة :

قال جعفر بن زيد :

لما دنا جيش المسلمين من أرض العدو قال الأمير :

ـ لا يشذن أحد من العسكر .

فذهبت بغلة صلة بن أشيم بثقلها ـ بما تحمله ـ فأخذ يصلى .

فقالوا له :

ـ إن الناس قد ذهبوا .

فمضى صلة بن أشيم فى صلاته وقال :

ـ دعونى أصلى ركعتين .

فقالوا :

ـ إن الناس قد ذهبوا .

قال أبو الصهباء :

ـ إنهما خفيفتان .

فدعا ثم قال :

اللهم إنى أقسم عليك أن ترد بغلتى وثقلها .

فجاءت حتى قامت بين يديه ـ أمامه ـ

يقول جعفر بن يزيد :

فلما لقينا العدو حمل صلة بن أشيم وهشام بن عامر فصنعا بالعدو الأفاعيل طعنا وضربا وقتلا فانهزم العدو وقالوا :

- رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا ؟

فأعطوا المسلمين حاجتهم .

* هذا كان أمثل مما أردتم

كان صلة بن أشيم لا يجد نهزة - فرصة - ولا سانحة من سوانح الموعظة والتذكير إلا اغتنمها ، وكان أسلوبه فى ذلك أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فتنجذب إليه النفوس النافرة كما يجذب النور الفراشات ، ويستلين القلوب القاسية وكان أبو الصهباء يخرج إلى الجبان - الجبال - فيتعبد فيها ، فكان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم :

- أخبرونى عن قوم أرادوا سفرا فحادوا النهار عن طريق وباتوا الليل ليستريحوا فمتى ترونهم ينجزون رحلتهم ؟

فكان أبو الصهباء كلما مروا به يعظهم .

ومر بهم ذات يوم فقال لهم مقالته .

فقال شاب منهم :

- يا قوم : والله إنه ما يعنى بهم غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام .

ثم تبع صلة بن أشيم وما زال فى صحبته حتى مات .

ومر أبو الصهباء وأصحابه بفتى يجر ثوبه - أطال ثوبه وجعل يجره على الأرض خيلاء وكبرا - فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يشتموه فقال أبو الصهباء :

- دعونى أكفكم أمره .

ثم أقبل أبو الصهباء على الشاب وقال له فى رفق الأب الشفيق :

- يا ابن أخى : إن لى إليك حاجة .

فتوقف الشاب وتساءل :

- وما هى يا عم ؟

قال صلة بن أشيم :

- أن ترفع إزارك ، إن ذلك أنقى لثوبك ، وأتقى لربك ، وأقرب لسنة نبيك ﷺ

فقال الشاب بلا تردد :

- نعم ونعمة عين - مسرة عين -

ثم بادر ورفع إزاره .

فقال أبو الصهباء لأصحابه :

- إن هذا كان أمثل مما أردتم ، لو شتمتوه لشتمكم ، وظل يجر ثوبه مُسدلاً يمسح الأرض .

* قد نعى لنا

ذات يوم كان أبو الصهباء يتناول طعامه فجاءه رجل وقال له :

- إن أخاك مات .

فلم يتوقف صلة بن أشيم عن الطعام وقال للرجل :

- هلم فكل قد نعى لنا ، ادن فكل

فقال الرجل فى عجب :

- والله ما سبقنى إليك أحد فمن نعاه ؟

قال أبو الصهباء :

- يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[سورة الزمر الآية : ٣٠] .

* بكى وأبكى الناس :

يقول الحسن البصرى :

مات أخ لنا فصلينا عليه ، فلما وضع فى قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم

فأخذ بناحية الثوب ثم نادى :

ـ يا فلان ابن فلان :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجيا

فبكى

وأبكى الناس .

وجاء رجل لأبى الصهباء فقال له :

ـ ادع الله عز وجل لى .

قال صلة بن أشيم :

ـ رغبك الله عز وجل فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذى لا يسكن إلا إليه ولا يعول فى الدين إلا عليه .

*** علمنى مما علمك الله عز وجل**

جاء أبو السليل صلة بن أشيم فقال له :

ـ يا أبا الصهباء : علمنى مما علمك الله عز وجل .

قال أبو الصهباء :

ـ أنت اليوم مثلى حيث أتيت أصحاب رسول الله ﷺ أتعلم منهم .

فقلت لهم :

ـ علمونى مما علمكم الله .

فقالوا :

ـ انتصح للقرآن وانصح للمسلمين وأكثر من دعاء الله ما استطعت ، ولا تكونن قتيل العصا ، قتيل عمية ـ من العلماء الضلالة كالقتال فى المعصية والأهواء ـ

* إن كنتن جئتن لتهنئننى فمرحبا

يقول ثابت البنانى :

إن صلة بن أشيم كان فى مغزى له ومعه ابن له فقال :

ـ أى بنى : تقدم فقاتل حتى أحتسبك .

فحمل فقاتل ثم تقدم أبو الصهباء فقاتل مقبلا غير مُدبرحتى قتل

فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت :

ـ إن كان ابنى وزوجى قد ماتا فقد جئتن معزيات ، وإن كانا قد قتلا شهيدين فى سبيل الله وظفرا بما كانا يطمعان فيه من الشهادة فمرحبا فقد جئتن لتهنئننى فمرحبا .

يقول سلمة بن حسان العدوى :

ـ إن معاذة لم توسد فراشا بعد أبى الصهباء حتى ماتت .

وتقول أم الأسود بنت زيد العدوية ـ كانت معاذة قد أرضعتها ـ :

قالت لى معاذة لما مات زوجها وابنها شهيدين :

والله يا بنية : ما محبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة .

* وفاة معاذة بنت عبد الله العدوية

لما احتضر الموت معاذة بنت عبد الله العدوية بكت ثم ضحكت .

فقيل لها :

ـ فمم البكاء ومم الضحك ؟

قالت :

ـ أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر . . فكان البكاء

لذلك .

وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء ـ صلة بن أشيم ـ قد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبها فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضا .

فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة .

* من مسانيدها

أدركت معاذة أم المؤمنين عائشة وروت عنها.

وروى عن معاذة بنت عبد الله العدوية الحسن البصرى وأبو قلابة ويزيد الرشك .

فاطمة بنت عبد الملك

* نسبها

هى فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم .

زوج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز .

تربت فاطمة بنت عبد الملك فى مدارس الإسلام ونهلت من مناهل القرآن .

كان أبوها خليفة ، وكان زوجها عمر بن عبد العزيز خليفة وكان أخوتها الأربعة خلفاء وهم : الوليد وسليمان واليزيد وهشام .

عندما خطبت فاطمة بنت عبد الملك لعمر بن عبد العزيز وزفت إليه لم يكن شيئا كان شخصا عاديا ، فزفت إليه بالجواهر والذهب .

* أول خطبة لحفيد عمر بن الخطاب

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

لما دفن عمر بن العزيز سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سمع هدة أو رجة فقال :

- ما هذه ؟

قيل :

- هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها .

فقال أبو حفص :

- ما لى ولها ، نحوها عنى ، قربوا إلى بغلتى .

فقربت إليه بغلته . . فركبها .

وجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة فقال له أمير المؤمنين عمر بن عبد

العزيز :

- تنح عنى ، ما لى ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين .

فسارا وسار معه الناس حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، فصاح الناس صيحة واحدة :

قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، قل أمرنا باليمن والبركة .

فلما رأى حفيد الفاروق أن الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعا ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ وقال :

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف كل شىء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف .

واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه .

وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم .

وأثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات .

وإن من لا يذكر من آبائه - فيما بينه وبين آدم عليه السلام - أبا حيا لمعرق له فى الموت .

وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ، ولا فى نبيها ﷺ، ولا فى كتابها وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم .

إنى والله لا أعطى أحدا باطلا ، ولا أمنع أحدا حقا .

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

يا أيها الناس :

من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له .

أطيعونى ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

* أمجنون أنت ؟

لما ولى عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسى فدخل المسجد فمر فى الظلمة برجل نائم ، فعثر به فرفع الرجل رأسه إليه وقال :

ـ أمجنون أنت ؟

فقال أبو حفص :

ـ لا .

فهم به الحرسى ، ولكن أبا حفص قال :

ـ مه ! إنما سألنى أمجنون أنت فقلت : لا .

وقيل :

أسمع رجل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فقال له :

ـ أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تنال منى غدا .

ثم عفا عنه .

* من صحبنا فليصاحبنا بخمس

تقول زوج أبى حفص :

لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أيها الناس :

من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا :

يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها .

ويعيننا على الخير بجهده

ويدلنا على الخير على ما لا نهتدى إليه .

ولا يغتابن عندنا الرعية .

ولا يعترض فيما لا يعنيه .

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد وقالوا :

ـ ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

* رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء

قال الخليفة الخامس :

اللهم إن أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ، فإن رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء ، فلتسعنى رحمتك .

يا أرحم الراحمين .

اللهم إنك خلقت قوما فأطاعوك فيما أمرتهم به وعملوا فى الذى خلقتهم له ، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك . .

يا أرحم الراحمين .

اللهم إن رجالا أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم .

اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك .

فوفقنى .

اللهم أصلح من كان فى صلاحه صلاح أمة محمد .

اللهم أهلك من كان فى هلاكهم هلاك أمة محمد .

اللهم رد محسن أمة محمد إحسانا ، وارجع مسيئهم إلى التوبة .

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

لما استقرت البيعة لعمر بن عبد العزيز قال لى :

ـ إن أردت صحبتى فردى ما معك من مال وجواهر وحلى إلى بيت مال المسلمين

فإنه لهم ، فإنى لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد .

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

ـ فرددته جميعه .

وقيل :

عندما تولى عمر بن عبد العزيز سأل زوجه فاطمة :

ـ إما أن تختارى الذهب والجواهر وإما أن تختارى عمر بن عبد العزيز ؟

فقالت :

ـ والله لا أختار عليك أحدا يا أمير المؤمنين ، فهذا ذهبى وهذه جواهرى فأخذها وذهب إلى بيت مال المسلمين .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ جعلنى الله وإياك يا عمر فداء لله ورسوله .

وذهب المال كله

*** إبطال لعن على بن أبى طالب على المنابر**

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

أمر عمر بن عبد العزيز بالكف عن لعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه على المنابر ،فقد كانت سنة جرى عليها بنو أمية منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان ، فقد كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة سنة إحدى وأربعين للهجرة :

أن برئت الذمة ممن روى شيئًا من فضل أبى تراب ـ وجد رسول الله ﷺ على بن أبى طالب نائمًا وعليه تراب فقال له مازحا : قم يا أبا تراب ـ وأهل بيته .

فقام الخطباء فى كل كور وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته .

كما كتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة ـ أتباع ـ على بن أبى طالب وأهل بيته شهادة .

ثم كتب إليهم :

انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه .

ثم بعث معاوية بن أبى سفيان بنسخة أخرى قال فيها :

من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم ـ بنو هاشم ـ فنكلوا به ـ اجعلوه عبرة ـ واهدموا بيته ولم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن على سنة خمسين من الهجرة فازداد البلاء والفتنة .

وحج معاوية بعد موت الحسن بن على فدخل مدينة رسول الله ﷺ وأراد أن يلعن أبا الحسن على منبر رسول الله ﷺ فقيل له :

ـ إن ها هنا سعد بن أبى وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه .

فأرسل معاوية إلى سعد وذكر له ذلك فقال سعد بن أبى وقاص :

ـ أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ بعد أن خلف على فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال ﷺ : أما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى ؟ (رواه الحاكم فى المستدرك) **فإذا لعنت طياطى منبر رسول الله ﷺ لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه .**

فأمسك معاوية عن لعن على بن أبى طالب حتى مات سعد بن أبى وقاص .

ولما مات سعد سنة خمس وخمسين للهجرة لعن معاوية أبا الحسن على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر . . ففعلوا .

فكتبت أم المؤمنين أم سلمة إلى معاوية :

إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون على بن أبى طالب

ومن أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله .

فلم يلتفت معاوية لقول زوج رسول الله ﷺ وراح يلعن أبا الحسن على المنبر وكذلك فعل الخلفاء الأمويين بعد معاوية .

حتى جاء حفيد عمر بن الخطاب فأمر بالإقلاع عن لعن ربيب رسول الله ﷺ وجعل مكانه : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر الآية : ١٠] .

وقيل :

جعل مكان لعن على بن أبى طالب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٠] .

وقيل :

جعلها جميعا فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة .

لقد اختار الخليفة الذكى التقى الآية الأولى والثانية لما لهما من إشارة معونية إلى ما يجب أن يكون بين المؤمنين من تناسى الأحقاد والأضغان وتطهير القلوب من الغل ، وتذكر الأمويين بأن القرابة التى تربطهم ببنى هاشم وأن لهذه القرابة حقوقا توجب عليهم أن يمسكوا ويصونوا ألسنتهم عن سبهم والوقيعة فيهم .

* يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنبا ؟

دخل الخليفة الخامس ذات ضحى على امرأته فاطمة بنت عبد الملك فقال :

ـ يا فاطمة : عندك درهم أشترى به عنبا ؟

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ لا .

قال أبو حفص :

ـ فعندك ثمنه ـ يعنى الفلوس ـ نشترى به عنبا ؟

فقال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ هذا أهون علينا من معالجة الأغلال فى جهنم .

* اليتيم

كان لعمر بن عبد العزيز ابن من فاطمة بنت عبد الملك ، فخرج ذات يوم يلعب مع الغلمان فشجه غلام ، فاحتملوا ابن عمر بن عبد العزيز والغلام الذى شجه فأدخلوهما على فاطمة بنت عبد الملك ، فسمع أبو حفص الجلبة وهو فى بيت آخر ، فخرج وجاءت امرأة فقالت :

ـ هو ابنى وهو يتيم .

فتساءل الخليفة الخامس :

ـ له عطاء ـ من بيت المال ـ ؟

قالت المرأة :

ـ لا .

قال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ اكتبوه فى الذرية .

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ فعل الله به وفعل ، إن لم يشجه مرة أخرى .

قال أبو حفص :

ـ إنكم أفزعتموه .

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

غضب عمر بن عبد العزيز يوما على رَجلٍ غضبا شديدا ، فبعث إليه ، فجروه

ومده فى الحبال ، حتى إذا قلنا :

ـ هو ضاربه .

فقال عمر :

ـ خلوا سبيله ، أما أنى لولا أنى غضبان لسؤتك .

وقرأ : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٣٤] .

* اجتماع بنى مروان لاستعطاف عمر عليهم

اجتمع بنو مروان عند فاطمة بنت عبد الملك وقالوا :

ـ لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا وأذكرناه أرحامنا .

فدخلوا عليه وتكلم رجل منهم فمزح .

فنظر إليه عمر بن عبد العزيز ، فوصل له رجل كلامه بالمزاح فقال الخليفة العادل:

ـ لهذا اجتمعتم لأخس الحديث ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم فأفيضوا فى كتاب الله ، فإن تعديتم فعليكم بمعالى الحديث .

* الذى صار إليه صاحبكم

كان لعمر بن عبد العزيز صديق ، فأخبر أنه قد مات ، فجاء إلى أهله يعزيهم ، فصرخوا فى وجهه فقال لهم :

ـ مه ! إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم ، إن الذى يرزقكم حى لا يموت ، إن صاحبكم هذا لم يسد شيئًا من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، لكل امرئ منكم حفرة لابد والله أن يسدها ، إن الله لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار حسرة إلا امتلأت عبرة ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذى يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكيا فليبك على نفسه ، فإن الذى صار إليه صاحبكم ، كلكم يصير إليه غدا .

* ليس بين الجنة والنار منزلة

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

خطب عمر يوما فقال :

إن لكل سفر زادا لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ترغبون وترهبون ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدرى ، لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترا ، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ من كلم إلا أصابه جرح من ناحية أخرى .

أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه ، فتخسر صفقتى ، وتظهر عيلتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقير والموازين منصوبة ، لقد عُنيت بأمر لو عُنيت به النجوم لا نكدرت ـ الكدر : ضد الصفو ـ ولو عُنيت به الجبال لذابت ، ولو غيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وإنكم صائرون إلى إحداهما .

* أين موجدتك بى يا أمير المؤمنين ؟

كانت لفاطمة بنت عبد الملك جارية ذات جمال فائق ، وكان أبو حفص معجبا بها قبل أن تفضى إليه الخلافة ، فطلبها من زوجه .

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

ـ لما رأيت حرصه عليها أبيت أن أدفعها إليه وغرت من ذلك .

ولم تزل الجارية فى نفس عمر بن عبد العزيز .

فلما استخلف أمرت فاطمة بنت عبد الملك الجارية فأصلحت ثم حليت ، فكانت حديثا فى حسنها وجمالها ، ثم دخلت فاطمة بنت عبد الملك على أبى حفص وقالت:

ـ يا أمير المؤمنين : إنك كنت معجبًا بفلانة جاريتى ، سألتنيها فضننت ـ بخلت ـ ذلك عليك ، فإن نفسى طابت لك بها اليوم فدونكها .

فلما قالت زوج عمر بن عبد العزيز ذلك استبانت الفرح فى وجهه ثم قال :

ـ ابعثى بها إلى .

ففعلت فاطمة بنت عبد الملك .

فلما دخلت الجارية على الخليفة العادل نظر إلى شىء أعجبه ، فازداد بها عجبا فقال لها :

ـ ألقى ثوبك .

فلما همت الجارية أن تلقى ثوبها قال أبو حفص :

ـ على رسلك ـ بالكسر اتئد فيه كما يقال : على هينتك ـ اقعدى وأخبرينى لمن كنت ؟ ومن أين أنت لفاطمة ؟

قالت الجارية :

ـ كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملا كان له من أهل الكوفة مالا ، وكنت فى رقيق ذلك العامل وأنا يومئذ صبية فوهبنى عبد الملك لابنته فاطمة .

فتساءل عمر بن عبد العزيز :

ـ وما فعل ذلك العامل ؟

قالت الجارية :

ـ هلك .

قال أبو حفص :

- وما ترك ولدا ؟

قالت الجارية :

- بلى .

قال عمر بن عبد العزيز :

- وما حالهم ؟

قالت الجارية :

- سيئة .

قال حفيد عمر بن الخطاب :

- شدى عليك ثيابك .

ثم كتب الخليفة الخامس إلى عبد الحميد عامله :

أن سرح إلى فلانا ابن فلان على البريد .

فلما قدم قال له أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز :

- ارفع إلى جميع ما أغرم الحجاج أباك .

فلم يرفع الشاب إلى أبى حفص شيئًا إلا دفعه إليه ، ثم أمر بالجارية الحسناء فدفعت إليه ، فلما أخذ الشاب بيد الجارية قال أبو حفص :

- إياك وإياها فإنك حديث السن ، ولعل أباك يكون قد وطئها .

فقال الشاب :

- يا أمير المؤمنين : هى لك .

قال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ لا حاجة لى فيها .

قال الشاب :

ـ فابتعها منى .

قال عمر بن عبد العزيز :

ـ لست إذن ممن ينهى النفس عن الهوى .

فمضى الفتى بالجارية الحسناء فالتفتت نحو الخليفة الخامس وتساءلت :

ـ فأين موجدك بى يا أمير المؤمنين ؟

قال حفيد الفاروق :

ـ إنها لعلى حالها ولقد ازدادت .

فلم تزل الجارية فى نفس عمر بن عبد العزيز حتى مات .

* والله ماله قميص غيره

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز يعوده فى مرضه فإذا عليه قميص وسخ فقال مسلمة لأخته فاطمة :

ـ يا فاطمة : اغسلى قميص أمير المؤمنين .

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ نفعل إن شاء الله .

ثم غدا مسلمة بن عبد الملك فإذا القميص على حاله فقال لأخته :

ـ يا فاطمة : ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ فإن الناس يعودونه .

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ والله ماله قميص غيره .

وقيل :

دخل مسلمة على عمر بن عبد العزيز فى مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه وتخرق ، فقال لأخته فاطمة بنت عبد الملك :

ـ ناولينى قميصا غير هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين فإن الناس يدخلون عليه .

فقال الخليفة العادل :

ـ دعها يا مسلمة فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذى يرى عليه .

* أمانة وإمارة

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

دخلت ذات يوم عمة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بيته تطلب المزيد من بيت المال ، ولما دخلت عليه وجدته يأكل عدسا وبصلاً فقالت :

ـ يا عمر : أريد زيادة من بيت المال .

فترك حفيد عمر بن الخطاب طعامه وجاء بدرهم من فضة ووضعه على النار حتى انصهر ثم وضعه فى كيس من النسيج وقال لعمته :

ـ خذى هذه الزيادة .

فلما قبضت عليه احترقت يدها وصرعت .

فلما أفاقت قال لها أبو حفص :

ـ يا عمتاه : إذا كانت هذه حالك من نار الدنيا فكيف يكون حالك وحالى من نار الله يوم القيامة ؟

* ويحكم يا بنى مروان

قالت فاطمة بنت عبد الملك لزوجها عمر بن العزيز ذات يوم :

ـ إن ناسا من بنى مروان قد جاءوا .

فقال حفيد الفاروق :

ـ مرحبا بهم .

وحبسهم أبو حفص وقال لخبازه :

ـ إذا دعوت بالطعام فلا تعجل به .

فحبسهم حتى تعالى النهار وهم قوم لم يعتادوا ذلك .

ومر الخباز بعمر بن عبد العزيز فقال له :

ـ ويحك ! ائتنا بطعامك .

فقال الخباز :

ـ نعم يا أمير المؤمنين الآن

فلما أبطأ الخباز قال حفيد عمر بن الخطاب لبنى مروان بن الحكم :

ـ هل لكم فى سويق ـ السويق : ما يتخذ من الحنطة أو الشعير ـ ؟

فأمسكوا

فتساءل الخليفة العادل :

ـ ألا تأكلون ؟

قالوا :

ـ والله يا أمير المؤمنين ما نقدر عليه .

فقال لهم عمر بن عبد العزيز ذلك أكثر من مرة

فأبوا أن يأكلوا فقال لهم :

ـ ويحكم يا بنى مروان ففيم التقحم ـ اقتحم : ألقى بنفسه ـ فى النار ؟

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

فبكى والله وأبكى .

وما كان أشده على بنى أمية .

*** ليس الثائر على الظالم عاصيا بل الإمام الظالم هو العاصى**

تقول فاطمة بنت مروان :

سمعت عمر بن عبد العزيز خطب الناس فقال :

أيها الناس :

لا يبعدن عليكم ، لا يطولن يوم القيامة ، فإن من وافته منيته فقد قامت قيامته .

لا يستطيع أن يزيد من حسن ولا يعتب من شيء .

ألا لا سلامة لامرئ من خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله .

ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه العاصى ، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم .

*** انصرفوا أيها الناس مأجورين**

ماتت أخت لعمر بن عبد العزيز .

فشهد الناس جنازتها ، ثم انصرفوا معه إلى منزله ، فلما صار إلى باب داره أخذ بحلقة الباب وقال :

ـ انصرفوا أيها الناس . مأجورين ، أدى الله الحق عنكم ، فإنا أهل بيت لا نُعزى فى أحد من النساء إلا فى اثنتين :

أم لواجب حقها وما فرض الله لها من برها

وامرأة للطف موضعها .

وأنه لا محلها أحد .

*** أسخنوا لى ماء أغتسل به الجمعة**

طلب حفيد عمر بن الخطاب من زوجه فاطمة أن تهيئ له ماءً ساخنا ليغتسل به

الجمعة فقالت :

ـ يا أمير المؤمنين : لا والله ما عندنا عود حطب نوقد به

فأمرت فاطمة بنت عبد الملك فذهبوا بالقمقم إلى مطبخ المسلمين ، فجاءوا بالقمقم فقالت فاطمة لزوجها :

ـ هذا القمقم يا أمير المؤمنين وهو يفور ـ يغلى ـ

فقال عمر بن عبد العزيز :

ـ ألم تخبرونى أنه ليس عندكم حطب ؟ لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين ؟

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ نعم .

قال حفيد الفاروق :

ـ ادعوا لى صاحب المطبخ .

فلما جاءه قال له :

ـ قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته عودا واحدا ، وإن هو إلا جمر لو تركته لخمد حتى يصير رمادا .

ثم تساءل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز :

ـ بكم أخذت الحطب ؟

قال صاحب المطبخ :

ـ بكذا .

قال الخليفة الخامس :

ـ أدوا إليه ثمنه .

* كانت الهدية للنبى ﷺ ولنا اليوم رشوة

قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ذات ضحى :

ـ إنى أشتهى تفاحا .

فسمع قول حفيد الفاروق رجلا من بنى مروان فقام وأهدى إليه تفاحا .

فلما جاء به الرسول قلب عمر بن عبد العزيز تفاحة فى يده وقال :

ـ ما أطيب ريحه وأحسنه .

ثم أشار بيده وقال :

ـ ارفعه يا غلام ، وأقرئ فلانا السلام وقل له : إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب فقالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ يا أمير المؤمنين : ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبى ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة .

قال عمر بن عبد العزيز :

ـ ويحك ! إن الهدية كانت للنبى ﷺ هدية ، وهى لنا اليوم رشوة .

وقيل :

أهدى إلى أبى حفص تفاحا وفاكهة فردها وقال :

ـ لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملى شيئًا .

فقيل له :

ـ يا أمير المؤمنين : ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية ؟

قال عمر بن عبد العزيز :

ـ بلى ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة .

* أين الخليفة الذى كان قبل عمر بن عبد العزيز ؟

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

بينما كان عمر بن عبد العزيز ذات يوم مضطجعًا إذا قال لجارية له :

- روحينى .

فأخذت الجارية المروحة وأقبلت تروحه .

فغلبتها عيناها فنامت .

فانتبه أبو حفص فإذا هو بالجارية قد احمر وجهها وقد عرقت عرقًا شديدًا ، فأخذ المروحة وأقبل يروحها .

فانتبهت الجارية ووضعت يدها على رأسها وصاحت .

فقال لها حفيد الفاروق :

- إنما أنت بشر مثلى أصابك من الحر ما أصابنى ، فأحببت أن أروحك مثل الذى روحتنى .

فقالت الجارية :

- يا أمير المؤمنين : إنى لم أصح من ترويحك هذا ، ولكن رأيت فى منامى رؤيا.

فسألها أبو حفص :

- ما رأيت ؟

قالت الجارية :

- رأيت كأن القيامة قد قامت وكأن الميزان قد علق ، وكأن الصراط قد نصب ، فإذا المنادى ينادى :

- أين الخليفة الذى كان قبل عمر بن عبد العزيز ؟

فأتى به والله يا أمير المؤمنين وأنا أنظر إليه ويده مشدودة إلى عنقه فوقف على

شفير جهنم فنادى مناد :

- ألا إنه قد جار فى كتاب الله ، وفسق فى العباد ، ألقوه فى النار .

فسقط يا أمير المؤمنين على حر وجهه فى جهنم .

ثم نادى الثانية :

- أين الذى كان قبل ذلك ؟

فأتى ، والله يا أمير المؤمنين وأنا أنظر إليه ويده مشدودة إلى عنقه فوقف على شفير جهنم فنادى مناد :

- إنه قد جار فى كتاب الله وفسق فى العباد ، ألقوه فى النار .

فسقط أمير المؤمنين على حر وجهه فى جهنم .

فشهق عمر بن عبد العزيز شهقة ومكث نهاره جميعًا يخور كما يخور الثور حتى بال .

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

فعلمنا أن عقله قد ذهب لما أصابه .

ثم أصابه برد السحر فأفاق .

ثم سأل الجارية :

- يا جارية : ثم ماذا ؟

قالت الجارية :

- ثم أتى بك ، والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر إليك ويدك مشدودة إلى عنقك فوقفت على شفير جهنم فنادى مناد :

ألا وقد حكم فى الكتاب وعدل فى العباد ، أدخلوه الجنة .

فحمد الله وأثنى عليه .

* أفسدت علينا عسلك

كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم ـ قال رسول الله ﷺ : نعم الإدام الخل ـ بالعسل ، فطلب من أهله يومًا عسلا فقالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ والله يا أمير المؤمنين ما عندنا عسل .

ثم أتته بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه

ثم تساءل أبو حفص :

ـ يا فاطمة : من أين لكم هذا ؟

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ بعثت مولاتى بدينارين على بغل البريد فاشتراه لى .

فقال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ أقسمت عليك إلا أتيتنى به .

فأتته بعكة ـ جرة ـ فيها عسل .

فباعها عمر بن عبد العزيز بثمن زهيد ورد عليها رأس المال ـ الديناران ـ وألقى بقيته فى بيت مال المسلمين وقال :

ـ نصبت ـ نصب : تعب ـ دواب المسلمين فى شهوة عمر ؟

وقيل :

كان عمر بن عبد العزيز لا يحمل على البريد إلا فى حاجة المسلمين .

وكتب إلى عامل له يشترى عسلا ، وأن عامله حمله على مركب البريد ، فلما أتى عمر قال :

ـ علام حمله ؟

قالوا :

ـ على البريد .

فأمر حفيد الفاروق بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه فى بيت مال المسلمين وقال أبو حفص :

ـ أفسدت علينا عسلك

وقالت فاطمة بنت عبد الملك :

اشتهى عمر بن عبد العزيز يومًا عسلا ، ولم يكن عندنا ، فوجهنا رجلا على دابة البريد إلى بعلبك ـ مدينة من مدن الشام ـ فأتى بعسل فقلنا :

ـ يا أمير المؤمنين : ذكرت عسلا وعندنا عسل فهل لك فيه ؟

قال عمر بن عبد العزيز :

ـ نعم .

فأتينا به فقرب ثم قال :

ـ من أين لكم هذا العسل ؟

قلت :

ـ وجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك فاشترى بهما لنا عسلا .

فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الرجل ، فجاءه فقال :

ـ انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه ، واردد إلينا رأس مالنا ـ الديناران ـ وانظر إلى الفضل ـ ما بقى ـ واجعله فى بيت مال المسلمين علف دواب البريد ، ولو ينفع المسلمين قيء لتقيأت .

* يا بنى هذا طعام مولاك أمير المؤمنين

ذات يوم دخل أبو أمية غلام عمر بن عبد العزيز على مولاته فاطمة بنت عبد الملك

فقدمت إليه عدسا فقال أبو أمية :

ـ كل يوم عدس ؟

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ يا بنى : هذا طعام مولاك أمير المؤمنين .

ويقول نعيم بن سلامة :

دخلت يوما على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فوجدته يأكل ثوما مسلوقا بزيت وملح .

* الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل

سألت فاطمة بنت عبد الملك زوجها عمر بن عبد العزيز يوما أن يجرى عليها خاصة .

فقال لها :

ـ ليس لك فى مالى سعة .

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ فلم أنت كنت تأخذ منهم ؟

قال حفيد الفاروق :

ـ كانت المهنأة لى والإثم والتبعة عليهم ، أما إذ وليت ـ صرت أمير المؤمنين ـ فلا أفعل ذلك فيكون إثمه على .

* رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها ؟

سأل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز أمه فاطمة بنت عبد الملك حاجة فقالت :

ـ أدخل على أبيك وسله حاجتك .

فدخل على أبيه وقال :

ـ يا أمير المؤمنين : إن بى إليك حاجة .

وكان مسلمة بن عبد الملك حاضرا ، فقال أبو حفص :

ـ أسردون ابن عمك ؟

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز :

ـ نعم .

فقام مسلمة بن عبد الملك وخرج .

وجلس عبد الملك بين يدى ـ أمام ـ أبيه فقال :

يا أمير المؤمنين : ما أنت قائل غدا لربك إذا سألك فقال :

ـ رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها ؟

فقال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ يا بنى : أشىء حملك الرعية إلى ؟ أم رأى رأيته ؟

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز :

ـ بل رأى رأيته من قبل نفسى وعرفت أنك مسئول فيما أنت قائل .

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز :

ـ رحمك الله وجزاك من ولد خيرا فإنى والله أرجو أن تكون من الأعوان على الخير .

يا بنى : إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة ومتى أريد مكابدتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقا تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يهرق بسببى محجمة من دم .

أو ما ترضى أن لا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيى فيه سنة ؟

حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو أحكم الحاكمين .

* ضع فى بيت المال دينارين

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

كان عمر بن عبد العزيز قلما يدع يوما يقرأ فى المصحف بالغداة فلا يطيل

وذات يوم قال لمولاه مزاحم :

- أبغنى رَجلاً لمصحفى .

فأتاه مزاحم رجلا فأعجبه فقال عمر بن عبد العزيز :

- من أين أصبت هذا ؟

قال غلام عمر بن عبد العزيز :

- يا أمير المؤمنين : دخلت بعض الخزائن فأصبت هذه الخشبة فاتخذت منها رجلا .

فقال حفيد عمر بن الخطاب :

- ويحك ! انطلق فأقمه - قدر ثمنه - فى السوق .

فرجع مزاحم به وقد قوم نصف دينار فقال :

- يا أمير المؤمنين : قد قومته بنصف دينار .

قال حفيد الفاروق :

- نرى أن تضع فى بيت المال دينارا لنسلم منه

فقال مزاحم :

- إنما قوموه نصف دينار .

قال عمر بن عبد العزيز :

- ضع فى بيت المال دينارين .

* قمت وأنا عمر وجلست وأنا عمر

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

ذات ليلة جاء رجاء بن حيوة فسمر ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، فاعتل السراج ، فذهب رجاء بن حيوة ليقوم ويصلحه ، فأمره عمر بن عبد العزيز بالجلوس ، وقام فأصلحه ، ثم عاد فجلس وقال :

ـ قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

* رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه

ذات يوم علمت فاطمة بنت عبد الملك أن عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء ، فبعثت ابنها الصغير فتناول تفاحة فانتزعها أبوه عمر بن عبد العزيز من فيه وأوجعه .

فرجع الصغير إلى أمه فاطمة بنت عبد الملك وهو يبكى ، فأرسلت فاطمة بنت عبد الملك إلى السوق واشترت لابنها تفاحًا .

ولما رجع حفيد الفاروق وجد ريح التفاح تصافح أنفه فقال :

ـ يا فاطمة : هل أتيت شيئًا من هذا الفيء ؟

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ لا .

وقصت عليه قصة ابنها الصغير .

فقال الخليفة العادل :

ـ والله لقد انتزعتها من ابنى لكأنما انتزعتها من قلبى ، لكن كرهت أن أضيع نفسى من الله عز وجل بتفاحة فىء المسلمين .

* اعملوا لآخرتكم

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

سمعت عمر بن عبد العزيز يقول فى خطبته :

يا أيها الناس :

لا تغرنكم الدنيا والمهلة فيها ، فعن قليل عنها تنقلبون ، وإلى غيرها ترحلون .

فالله الله عباد الله فى أنفسكم ، فبادروا بها الفوت قبل حلول الموت ، ولا يطل بكم الأمد ، فتقسو قلوبكم فتكونوا كقوم دعوا إلى حظهم فقصروا عنه بعد المهلة فندموا على ما قصروا عنه عند الآخرة .

ثم نحب وهو على المنبر .

نحب : بكى .

ثم قال :

أيها الناس :

أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم .

واعلموا لآخرتكم تكفوا دنياكم .

واعملوا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق له فى الموت .

* ما الذى حبسك ؟

خرج حفيد عمر بن الخطاب يوما على بعض جنائز بنى أمية ، فلما صلى عليها ودفنت قال للناس :

- قوموا .

ثم توارى عنهم بين القبور ، فاستبطأه الناس .

وجاء أبو حفص وقد احمرت عيناه وانتفخت أوداجه فقالوا :

- يا أمير المؤمنين : لقد أبطأت ، فما الذى حبسك ؟

قال عمر بن عبد العزيز :

آتيت قبور الأحبة قبور بنى أبى فسلمت فلم يردوا السلام ، فلما ذهبت أقفى نادانى التراب :

ـ يا عمر : ألا تسألنى ما لقى الأحبة ؟

قلت :

ـ ما لقى الأحبة ؟

قال :

ـ خرجت الأكفان وأُكلَتْ الأبدان .

فلما ذهبت أقفى ، نادانى التراب فقال :

ـ يا عمر : ألا تسألنى ما لقيت العينان ؟

قلت :

ـ وما لقيت العينان ؟

قال :

ـ قدعت ـ كفت ـ المقلتان وأكلت الحدقتان .

فلما ذهبت أقفى ، نادانى التراب فقال :

ـ يا عمر : ألا تسألنى ما لقيت الأبدان ؟

قلت :

ـ وما لقيت الأبدان ؟

قال :

ـ قطعت الأكف من الرسغين وقطعت الرسغان من الذراعين وقطعت الذراعان من المرفقين وقطعت الكتفان من الجنبين وقطعت الجنبان من الصلب ، وقطع الصلب من الوركين ، وقطعت الوركان من الفخذين والفخذان من الركبتين وقطعت الركبتان من

الساقين وقطعت الساقان من القدمين . ولما ذهبت أقفى - أعود - نادانى التراب فقال:

- يا عمر : عليك بأكفان لا تبلى .

قلت :

- وما الأكفان التى لا تبلى ؟

قال :

- اتقاء الله والعمل لطاعته .

ثم بكى حفيد عمر بن الخطاب وقال :

ألا وإن الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل وغنيها فقير ، وشابها يهرم وحيها يموت.

فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، فالمغرور من اغتر بها .

أين سكانها الذين بنوا مدائنها ؟ وغرسوا أشجارها وأقاموا فيها أياما يسيرة ، غرتهم بصحتهم ، وعزوا بنشاطهم فركبوا المعاصى .

إنهم والله كانوا فى الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة النعم ، محسودين على جمعها .

ما صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم ، كانوا فى الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضدة ، بين خدم يخدمون وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت مناديا ، وادعهم إن كنت داعيا .

مر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم التى كانت عيشهم ، وسل غنيهم ما بقى من فقره ، وسلهم عن الألسن التى كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التى كانوا بها ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان؟

أمحت الألوان ، وأكلت اللحمان ، وعفرت الوجوه ، وقبحت المحاسن ، وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء .

فأين حجالهم - الحجال : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس - وقبابهم ؟ وأين خدمهم وعبيدهم ؟ وجمعهم ومكنوزهم ؟

والله ما زودهم فراشا ، ولا وضعوا هنالك متكأ ، ولا غرسوا لهم شجرا ، ولا أنزلوهم من اللحد قرارا ، أليسوا فى منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس عليهم الليل والنهار سواء ؟ أليس هم فى مدلهمة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة .

فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، قد سالت الحدق على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ودبت دواب الأرض فى أجسادهم فغرقت أعضاءهم ، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا حتى عادت العظام رميما .

يا ساكن القبر غدا ما الذى غرك من الدنيا ؟

هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟

أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد ؟

وأين ثمرك الحاضر ينعه ؟

أين رقاق ثيابك ؟

وأين طيبك ؟

وأين بخورك ؟

وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه وهو يرشح عرقا ويتلمظ عطشا ويتقلب فى سكرات الموت وغمراته ؟

جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاءه من الأجل ما لا يتمنع منه .

هيهات هيهات .

يا مغمد الوالد والأخ والولد وغاسله .

يا مكفن الميت وحامله .

يا مخليه فى القبر راجعا عنه .

ليت شعرى كيف كنت على خشونة الثرى .

يا ليت شعرى بأى خديك بدأ البلى .

يا مجاور الهلكات صرت فى محلة الموتى .

ياليت شعرى ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا ، وما يأتينى به من رسالة ربى ؟

ثم تمثل بهذه الأبيات :

تسر بما يفنى وتشغل بالصبى كما غر باللذات فى النوم حالم

نهارك يا مغرور سهو و غفلة وليلك نـوم والردى لـك لازم

وتعمل فيما سوف تكـره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

* الأكباء الجائعة أولى بالصدقات من البيت الحرام

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

كتبت الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز يأمر للبيت الحرام بكسوة كما كان يفعل من كان قبله من الخلفاء فكتب إليهم :

إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة ، فإنه أولى بذلك من البيت .

* الزهد رأس الإصلاح

كتب حفيد عمر بن الخطاب إلى الحسن البصرى :

عظنى وأوجز

فكتب الحسن البصرى :

أما بعد .

فإن رأس ما هو مصلحك ومصبح به على يدك الزهد فى الدنيا .

وإنما الزهد باليقين واليقين بالتفكر والتفكر بالاعتبار .

فإذا أنت تفكرت فى الدنيا لم تجدها أهلا أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا .

فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة .

وقيل :

كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز :

أما بعد .

فلو كان لك عمر نوح وملك سليمان ويقين إبراهيم وحكمة لقمان ، فإن أمامك هول الموت ، ومن ورائك داران ، إن أخطأت هذه ، صرت إلى هذه .

فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديدًا .

ثم قال :

من لى بعمر نوح ، ويقين إبراهيم ، وسلطان سليمان ، وحكمة لقمان ؟

ولو نلت ذلك لم يكن بد من أن أشرب بكأس الأولين .

وقيل :

كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز :

أما بعد .

فإن طول البقاء إلى فناء ما هو ، فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى والسلام .

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتاب الحسن البصرى بكى وقال :

ـ نصح أبو سعيد وأوجز .

* طعام المساكين

اتخذ الخليفة العادل دارًا لطعام المساكين والفقراء وابن السبيل وحذر أهله قائلاً :

ـ إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئًا من طعامها فإنما هو للفقراء والمساكين وابن السبيل .

وجاء عمر بن عبد العزيز يوما فإذا مولاة له معها صحفة فيها غرفة من لبن فسألها :

ـ ما هذا ؟

قالت :

ـ زوجتك فاطمة بنت عبد الملك حامل واشتهت غرفة من لبن ، والمرأة إذا كانت حاملا فاشتهت شيئًا فلم تؤت به تخوفت على ما فى بطنها أن يسقط ، فأخذت هذه الصحفة من الدار .

فأخذ أبو حفص بيده الجارية وتوجه بها إلى زوجته فاطمة بنت عبد الملك وهو عالى الصوت .

وهو يقول :

ـ إن لم يمسك ما فى بطنها إلا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله .

ودخل على امرأته فقالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ ما لك ؟

قال الخليفة الخامس :

- تزعم هذه أنه لا يمسك ما فى بطنك إلا طعام المساكين والفقراء ، فإن لم يمسكه إلا ذلك فلا أمسكه الله قالت فاطمة بنت عبد الملك للجارية :

- رديه ويحك ، والله لا أذوقه .

فردته مولاة زوج عمر بن عبد العزيز .

* إنى أخاف أن لا يسمع أمير المؤمنين ما يصنع

ذات يوم بعثت فاطمة بنت عبد الملك إلى رجل من الفقهاء فقالت :

- إنى أخاف أن لا يسمع أمير المؤمنين ما يصنع .

قال :

- وما ذاك ؟

قالت :

- ما كان من أهله بسبيل منذ ولى .

فلقى الرجل أبا حفص فقال له :

- يا أمير المؤمنين : بلغنى شىء أخاف أن لا يسمعك .

فتساءل عمر بن عبد العزيز :

- وما ذاك ؟

قال الرجل :

- أهلك لهم عليك حق .

قال حفيد عمر بن الخطاب :

- وكيف يستطيع رجل أن يأتى ذاك وأمر أمة محمد فى عنقه ، الله سائله عنها يوم القيامة ؟

* لا فراغ إلا عند الله

قال رجل لعمر بن عبد العزيز :

ـ لو تفرغت لنا .

فقال الخليفة العادل :

ـ وأين الفراغ ؟ ذهب الفراغ ، فلا فراغ إلا عند الله .

* أين هم ؟

ذات ضحى جاء نفر فسألوا حفيد الفاروق أن يتحفظ فى طعامه ، ويسألونه أن يكون له حرس إذا صلى لئلا يثور ثائر فيقتله ، ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون ، ويخبرونه أن الخلفاء قبله كانوا يفعلون ذلك .

فتساءل حفيد عمر بن الخطاب :

ـ فأين هم ؟

فلما أكثروا عليه قال :

اللهم إن كنت تعلم أنى أخاف يوما دون يوم القيامة فلا تؤمن خوفى .

* مم بكيت ؟

ذات ليلة بكى حفيد عمر بن الخطاب فبكت امرأته فاطمة بنت عبد الملك وبكى أهل الدار ، لا يدرى هؤلاء ما أبكى هؤلاء ؟

فلما تجلى عنهم العسر قالت له فاطمة بنت عبد الملك :

ـ بأبى أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت ؟

قال أبو حفص :

ـ ذكرت يا فاطمة انصراف القوم بين يدى الله ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير

ثم صرخ صرخة وغشى عليه .

ولما أفاق سكت فقالت فاطمة بنت عبد الملك :

- مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟

قال حفيد الفاروق

- كنت مفكرا فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وفى أهل النار كيف يصرخون فيها ثم بكى كأن عليه بث هذه الأمة

* نفص على أمير المؤمنين الحياة مند ولى

قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه :

- أبا فلان : لقد أرقت الليلة مفكرا

فقال الرجل :

- فيم يا أمير المؤمنين ؟

قال أبو فحص :

- فى القبر وساكنه ، انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لا ستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته ، ولرأيت بيتا يجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان ، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب

ثم شهق وخر مغشيا عليه

فقالت فاطمة بنت عبد الملك لخادم عمر بن عبد العزيز :

- ويحك يا مزاحم أخرج هذا الرجل عنا ، فلقد نفص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولى ، فليته لم يل فخرج الرجل

وجائت فاطمة بنت عبد الملك فجعلت تصب الماء على وجه أبى حفص وتبكى حتى أفاق من غشيته فلما رآها تبكى قال :

ـ يا فاطمة : ما يبكيك ؟

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ يا أمير المؤمنين : رأيت مصرعك بين أيدينا ـ أمامنا ـ فذكرت مصرعك بين يدى الله وتخليك من الدنيا وفراقك لها ، فذاك الذى أبكانى

فقال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ حسبك يا فاطمة فقد أبلغت

ثم مال ليسقط فضمته إلى صدرها وقالت :

ـ بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك فى قلوبنا

فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة فصبت على وجهه ماء ثم نادته :

ـ الصلاة يا أمير المؤمنين

فأفاق فزعا

* ليس العيد لمن لبس الجديد

فى يوم من أيام العيد جاءت بنات عمر بن العزيز أباهن وقلن له :

ـ يا أمير المؤمنين : غدا العيد وليس عندنا ثياب جديدة نلبسها

فنظر أبو حفص إليهن وقال :

ـ يا بناتى : ليس العيد لمن لبس الجديد ، وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد

فنظرت فاطمة بنت عبد الملك نحو مأمور بيت المال فقال :

ـ يا أمير المؤمنين : لو صرفنا لك راتب شهر مقدما

فرد عليه حفيد عمر بن الخطاب وقال له :

ـ ثكلتك أمك ، هل اطلعت على علم الغيب فوجدتنى سأعيش ساعة واحدة بعد الآن ؟

* فعلام ذا يدخل النار ؟

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

دخل مسلمة بن عبد الملك على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر فى بيت كان يخلو فيه بعد صلاة الفجر ، فلا يدخل عليه أحد ، فجاءت جارية بطبق فيه تمر وكان يعجبه التمر ، فرفع أبو حفص بكفيه منه وقال :

- يا مسلمة : أترى لو أن رجلا أكل هذا ثم شرب عليه من الماء فإن الماء على التمر طيب أكان يجزيه إلى الليل ؟

قال مسلمة :

- لا أدرى .

فرفع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من التمر أكثر وتساءل :

- فهذا ؟

فقال مسلمة :

- نعم يا أمير المؤمنين كافيه دون هذا حتى لا يبالى أن يذوق طعامًا غيره .

فقال حفيد الفاروق :

- فعلام ذا يدخل النار .

يقول مسلمة :

فما وقعت منى موعظة ما وقعت منى هذه .

* حصن دينتك بالعدل

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه :

أما بعد .

فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمها به فعل .

فكتب له عمر :

أما بعد

فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت .

فإذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها .

والسلام .

* والله سائلك عنى يوم القيامة

جاء أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال :

ـ يا أمير المؤمنين : جاءت بى إليك الحاجة وانتهت بى الفاقة ، والله سائلك عنى يوم القيامة .

فقال حفيد عمر بن الخطاب :

ـ ويحك ! أعد على .

فقال الأعرابى :

ـ يا أمير المؤمنين : جاءت بى إليك الحاجة وانتهت بى الفاقة ، والله سائلك عنى يوم القيامة فنكس عمر بن عبد العزيز رأسه وأرسل دموعه حتى ابتلت الأرض .

ثم رفع رأسه وقال للأعرابى :

ـ ويحك ! كم أنتم ؟

قال الأعرابى :

ـ أنا وثمان بنات .

ففرض له ثلاثمائة درهم وفرض للبنات ثمانمائة درهم ـ لكل بنت مائة ـ

ثم أعطاه حفيد الفاروق مائة درهم وقال له :

ـ هذه المائة أعطيتك من مالى ليس من مال المسلمين ، اذهب فاستنفقها حتى تخرج

أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

* إنها ليست كلابا إنما هى ذئاب

كان حسن القصار يحلب الغنم فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وذات مرة براع وفى غنمه نحو من ثلاثين ذئبا ، فحسبها كلابا ولم يكن حسن القصار رأى الذئاب قبل ذلك فقال :

- يا راعى : ما ترجو بهذه الكلاب كلها ؟

فقال الراعى :

- يا بنى : إنها ليست كلابا إنما هى ذئاب .

فقال حسن القصار :

- سبحان الله ، ذئب فى غنم لا يضرها ؟

فقال الراعى :

- يا بنى : إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس .

وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

وقيل :

قال مالك بن دينار :

لما ولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، قالت رعاة الشاء فى ذروة الجبال :

- من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس ؟

فقيل لهم :

- وما علمكم بذلك ؟

قالوا :

- إنا إذا أقام على الناس خليفة صالح كفت الذئاب والأسد عن شائنا

*** آخر خطبة خطبها حفيد عمر بن الخطاب**

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

صعد عمر بن عبد العزيز المنبر فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال :

أما بعد

فإن فى أيديكم أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم فى كل يوم وليلة تشيعون غاديا ورائحا إلى الله تعالى ؟

وتضعونه فى صدع من الأرض ، ثم فى بطن صدع غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب ،فقيرا إلى ما قدم أمامه ، غنيا إلى ما ترك بعده

أما والله إنى لأقول هذا وأنا أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسى

ثم وضع طرف ثوبه على عينيه فبكى

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

كانت هذه آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز

فما خرج حتى أخرج إلى حفرته ـ قبره ـ رحمة الله عليه

*** من أقوال عمر بن عبد العزيز**

قال عمر بن عبد العزيز لقاضيه أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

* ما وجدت من أمر هو ألذ عندى من حق وافق هوى .

* لو كان كل بدعة يميتها الله على يدى ، وكل سنة ينعشها الله على يدى ببضعة ـ قطعة ـ من لحمى حتى يأتى آخر ذلك على نفسى ، كان فى الله يسيرا .

* قال عمر بن عبد العزيز عند الموت :

لو كان لى من الأمر شىء ما عدوت بها ـ الخلافة ـ القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق

فبلغت ـ مقولة عمر ـ القاسم بن محمد فرحم عليه وقال

ـ إن القاسم ليضعف عن أهليه فكيف بأمر أمة محمد ﷺ؟

* من لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه، والرضا قليل ، ومعول المؤمن الصبر.

* من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

* يا أيها الناس .

إنما أنتم أغراض تنصب فيها المنايا ، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق الأخرى ، وأى أكلة ليس معها غصة ؟ وأى جرعة ليس معها شرقة ؟ وإن أمس شاهد مقبول ، وقد فجعكم بنفسه ، وخلف فى أيديكم حكمته وإن اليوم حبيب مودع ، وهو وشيك الظعن ـ ظعن ـ رحل ـ وإن غدًا بما فيه ، وأين يهرب من ينقلب فى يد طالبه ؟ إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب ، وإنما أنتم ستحلون عقد رحالكم فى غير هذه الدار ، ثم أنتم فروع أصول قد مضت ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله .

* إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، فإذا المعاصى ظهرت فلم يغيروا ، أخذت العامة والخاصة .

* كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزيه فى أبيه :

أما بعد

فإنا قوم من أهل الآخرة سكنا الدنيا أموات أبناء أموات .

فالعجب كل العجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه فى ميت .

والسلام

* ما طاوعنى الناس على ما أردت من الحق حتى بسطت لهم من الدنيا شيئًا .

* لست بقاض ولكنى منفذ ، ولست بخير من أحد ولكنى أثقلكم حملا ، ولست بمبتدع ولكنى متبع .

* إنى لأدع كثيرا من الكلام مخافة المباهاة

* لا ينبغى للقاضى أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال : عفيف ، حليم ، عالم بما كان قبله ، يستشير ذوى الرأى لا يبالى ملامة الناس .

* قدم محمد بن كعب القرظى على عمر بن عبد العزيز فجعل ينظر إليه نظرا شديدًا لا يطرف فقال أبو حفص :

ـ يا ابن كعب : مالى أراك تنظر إلى نظرا لم تكن تنظر إلى قبل ذلك ؟

قال محمد بن كعب :

ـ يا أمير المؤمنين : عهدى بك حسن الجسم ، وأراك أصفر لونك ونحل جسمك وذهب شعرك .

فقال حفيد الفاروق :

ـ يا ابن كعب : فكيف بك لو قد رأيتنى فى قبرى بعد ثلاث وقد انتدرت الحدقتان على وجنتى ، وسال منخرى وفمى صديدا ودودا ، لكنت لى أشد نكرة .

* وفاة عمر بن عبد العزيز

تقول فاطمة بنت عبد الملك :

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه ابن عمه وصهره مسلمة بن عبد الملك فقال :

ـ يا أمير المؤمنين : إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ـ فقراء ـ ولابد من شىء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إلى أو إلى نظرائى من أهل بيتك لكفيك مئونتهم إن شاء الله

قال حفيد الفاروق :

ـ أجلسونى .

فأجلسوه . . فقال :

الحمد لله ، أبالله تخوفى يا مسلمة ؟ أما ذكرت من أنى فطمت أفواه ولدى عن

هذا المال وتركتهم عالة فإنى أمنعهم حقا هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم حقا هو لغيرهم، وأما وصيى ووليى فيهم الله الذى أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله فسيجعل الله من أمره يسرا ويرزقه من حيث لا يحتسب ورجل غير وفجر فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله .

ثم أشار عمر بن عبد العزيز بيده وقال :

- ادعوا لى بنى .

فجاء بضعة عشر ذكرا .

فجعل عمر بن عبد العزيز يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال :

بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم .

يا بنى إنى قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله يا بنى إنى ميلت رأى بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار وبين أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار .

قوموا يا بنى عصمكم الله ورزقكم .

فقيل لحفيد عمر بن الخطاب :

- يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة فإن قضى الله موتا دفنت فى القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر .

قال الخليفة العادل :

- والله لأن يعذبنى الله بكل عذاب إلا النار فإنه لا صبر لى عليها أحب إلى من أن يعلم الله من قلبى أنى لذلك الموضع أهل .

وكان مرض عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من قرى حمص .

وكانت مدة مرضه عشرين يوما .

ولما احتضر حفيد الفاروق قال :

ـ أجلسونى .

فأجلسوه . . فقال :

إلـهى .

أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت .

إلـهى .

أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت .

إلـهى .

أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ، ولكن لا إلـه إلا الله .

ثم رفع رأسه فأحد النظر فقالوا :

ـ إنك لتنظر نظرًا شديدًا يا أمير المؤمنين .

قال أبو حفص :

ـ إنى لأرى حضر ما هم بإنس ولا جان .

وأوصى عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة أن يغسله ويكفنه ، وإذا حل عقدة كفنه أن ينظر إلى وجهه ثم قال لأهله :

ـ اخرجوا عنى .

فخرجوا .

وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز فسمعاه يقول :

مرحبا بهذه الوجوه التى ليست بوجوه إنس ولا جناة .

ثم قرأ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة القصص الآية : ٨٣] .

ثم هدأت الأصوات .

فدخلوا عليه فوجدوه وقد غمض وسوى إلى القبلة فقبض تقول فاطمة بنت عبد الملك :

كان آخر ما نطق به حفيد عمر بن الخطاب آية من القرآن .

وتوفى الخليفة الزاهد فى رجب سنة إحدى ومائة .

وقيل :

ثنتين ومائة من الهجرة .

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام .

ومات عمر بن عبد العزيز وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ودفن فى دير سمعان بحمص .

ويقول رجاء بن حيوة .

فعلت ما أمرنى به عمر بن عبد العزيز .

ونظرت إلى وجهه فإذا وجهه مثل القراطيس ـ الورق ـ بياضا .

وكان كل من دفن من الخلفاء الأمويين والمروانيين إذا حل عن وجوههم الأكفان فإذا هى مسودة .

* لما دفن حفيد الفاروق :

لما وضع الخليفة الخامس عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار .

فأدخلوها بين أكفانه ودفنوا الصحيفة معه .

* قالوا عن عمر بن عبد العزيز :

* قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعنى عمر بن عبد العزيز -

* قال الضحاك :

كنت أصلى وراءه فيطيل الأولتين من الظهر ويخفف الآخرتين ، ويخفف العصر ويقرأ فى المغرب بقصار المفصل .

* وقال أيضا :

رأيت عمر بن عبد العزيز ذهب به الكلام وهو على المنبر ثم رجع فقال :

- أستغفر الله أستغفر الله .

* قال على بن بذيمة :

رأيته بالمدينة وهو أحسن الناس لباسا ومن أطيب الناس ريحا ومن أخيل الناس فى مشيه ، ثم رأيته بعد يمشى مشية الرهبان ، فمن حدثك أن المشى سجية فلا تصدقه بعد عمر .

* تقول فاطمة بنت على بن أبى طالب :

ذُكر عمر بن عبد العزيز فأكثرت الترحم عليه وقلت :

دخلت عليه وهو أمير المدينة - مدينة رسول الله ﷺ - يومئذ ، فأخرج عنى كل خصى وحرسى حتى لم يبق فى البيت أحد غيرى وغيره ثم قال :

- يا ابنة على : والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلى منكم ولأنتم أحب

إلى من أهل بيتى .

* قال محمد بن خالد :

كان عمر بن عبد العزيز من أعطر قريش وألبسها ، فلما استخلف كان أخسهم ثوبا وأجشبهم - أخشنهم - عيشا وقدم الفضول - الفضل : البقية من الشيء -

* قال أبو بكر بن أبي سبرة :

لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم إلى أهلها قال :

- إنه ينبغى أن لا أبدأ بأول من نفسى .

فنظر إلى ما فى يديه من أرض أو متاع فخرج منه .

حتى نظر إلى فص خاتم فقال :

- هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب .

فخرج منه .

* قال إسحاق بن عبد الله :

ما زال عمر بن عبد العزيز يرد المظالم من لدن معاوية إلى أن استخلف ، وأخرج من أيدى ورثة معاوية ويزيد حقوقا .

* قال إسماعيل بن أبي حكيم :

أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بنى مروان بن الحكم فأغضبه فاستشاط غضبا ثم قال :

- إن لله فى بنى مروان ذبحا ، وايم الله لئن كان ذاك الذبح على يدى .

فلما بلغهم ذلك كفوا ، وكانوا يعلمون صرامته وأنه إن وقع فى أمر مضى فيه .

* قال أبو عمرو الباهلى :

جاء بنو مروان إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا :

ـ إنك قصرت بنا عما كان يُصنع بنا من قبلك .

وعاتبوه فقال عمر :

ـ لئن عدتم لمثل هذا المجلس لأشدن ركابى ثم لأقدمن المدينة ولأجعلنها ـ الخلافة ـ أو أصيرها شورى ، أما إنى أعرف صاحبها ـ من هو أحق بالخلافة ـ الأعيوش ـ يعنى القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ـ

* قال سلمة بن عثمان القرشى :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز نظر إلى ما كان له من عبد وإلى لباسه وعطره وأشياء من الفضول فباع كل ما كان به عنه غنى فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار فجعله فى السبيل .

* قال محمد بن قيس :

لما ولى عمر بن عبد العزيز وضع المكس ـ الجباية ـ عن كل أرض ووضع الجزية عن كل مسلم .

* قال صفوان بن عمرو :

جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة إلى عامله :

أن لا تقاتلن حصنا من حصون الروم ولا جماعة من جماعاتهم حتى تدعوهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا فاكفف عنهم وإن أبوا فالجزية ، فإن أبوا ﴿ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٥٨] . أى فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم .

* قال ميمون بن مهران :

كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

* قال الحسن بن أبى العموطة :

رأيت عمر بن عبد العزيز قبل أن يستخلف فكنت تعرف الخير فى وجهه فلما

استخلف رأيت الموت بين عينيه .

* قال سهل بن صدقة مولى عمر بن عبد العزيز .

لما أفضت إلى عمر الخلافة سمعوا فى منزله بكاءً عاليا ، فسأل عن ذلك البكاء فقيل :

ـ إن عمر قد خير جواريه فقال : قد نزل بى أمر شغلنا عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أمسكته لم يكن منى إليه شىء .

فبكين يأسا منه .

* قال الأوزاعى :

كان لعمر بن عبد العزيز خوخة مما يلى المغرب ، فكان إذا أبطأ عليه المؤذن للمغرب بعث إليه أن :

ـ أذن فقد حضر الوقت .

* فقال صالح بن سعيد ـ سعد ـ المؤذن :

بينما أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء ، فأذنت بالعشاء الآخرة ، فصلى ثم دخل القصر ، فقلما لبث أن خرج فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس فاحتبى فافتتح سورة الأنفال فما زال يرددها ويقرأ ، كلما مر بتخوف ـ ذكر النار ـ تضرع ، وكلما مر بآية رحمة دعا ، حتى أذنت الفجر .

* قال حماد بن زيد :

كان عمر بن عبد العزيز يصوم الاثنين والخميس ، والعشر وعاشوراء وعرفة .

* قال محمد بن سعد :

كان عمر بن عبد العزيز يسمر بعد العشاء الآخرة قبل أن يوتر ، فإذا أوتر لم يكلم أحدا .

*** بعد وفاة عمر بن عبد العزيز**

*** الرجل الصالح**

قال موسى بن أعين :

كنا نرعى الشاء بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاء والذئب ترعى فى مكان والله واحد ، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة .

فقلت :

ـ ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك .

فوجدوا عمر بن عبد العزيز قد مات فى تلك الليلة .

*** اتعظى الآن أو دعى**

دخل عطاء على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة حفيد عمر بن الخطاب فقال لها :

ـ يا بنت عبد الملك : أخبرينى عن أمير المؤمنين .

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ أفعل ولو كان حيا ما فعلت .

إن عمر رحمه الله قد فرغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه وصله بليلته إلى أن أمسى مساء ، وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذى كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم أقعى واضعا رأسه على يده تسيل دموعه على خده يشهق الشهقة وأقول :

ـ قد خرجت نفسه أو انصدعت كبده .

فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ثم أصبح صائما .

فدنوت منه وقلت له :

ـ يا أمير المؤمنين : لسى ـ اللسا : الكثير ـ ما كان فيك الليلة ، وما كان منك .

قال :

ـ أجل ودعينى وشأنى وعليك بشأنك .

قلت له :

ـ لأنى لأرجو أن أتعظ .

قال :

ـ إذن أخبرك ، إنى نظرت إلى فوجدتنى قد وليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها ، ثم ذكرت الغريب الضائع والفقير المحتاج والأسير المفقود وأشباههم فى أقاصى البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله سائلى عنهم ، وأن محمدا ﷺ حجيجى فيهم ، فخفت أن لا يلبث لى عند الله عذر ، ولا يقوم لى مع رسول ﷺ حجة ، فخفت على نفسى خوفا دمعت له عينى ، ووجل له قلبى ، وأنا كلما ازددت لها ذكرا ازددت منه وجلا ، وقد أخبرتك ، فاتعظى الآن أو دعى .

*** لم أر رجلا كان أشد خوفا من ربه من عمر بن عبد العزيز**

قالت فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم :

يا مغيرة : إنه قد يكون فى الناس من هو أكثر صلاة وصياما من عمر ، وما رأيت أحدا قط كان أشد فرقا ـ فزعا وخوفا ـ من ربه من عمر ، كان إذا صلى العشاء قعد فى المسجد ـ مسجده ـ ثم يرفع يديه ، فلم يزل يبكى حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكى حتى تغلبه عيناه .

*** أنا أعلم أن عمر ظلمك**

لما توفى عمر بن عبد العزيز وولى يزيد بن عبد الملك رد على أخته فاطمة بنت عبد الملك مالها وحليها وجوهرها وقال لها :

ـ أنا أعلم أن عمر ظلمك .

قالت فاطمة بنت عبد الملك :

ـ كلا والله .

وامتنعت زوج عمر بن عبد العزيز عن أخذه مالها وحليها وجوهرها وقالت :

ـ ما كنت أطيعه حيا وأعصيه ميتا .

فأخذه يزيد بن عبد الملك وفرقه على أهله .

مليكة بنت المنكدر

* نسبها

هى مليكة بنت المنكدر بن عبد الله بن الهديرى بن محرز بن عبد العزى .

فهى أخت سيد القراء محمد بن المنكدر .

كان يكنى أبا عبد الله .

* قوما فإنى أبادر طى صحيفتى

يقول مالك بن دينار :

بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا بامرأة جهيرة ـ جهر بالقول : رفع به صوته ، جهير الصوت ـ فى الحجرز وهى تقول :

أتيتك من شقة بعيدة ـ من مسافة وبلاد بعيدة ـ مرملة لمعروفك فأنلنى معروفا من معروفك تغنينى به عن معروف من سواك .

يا معروفا بالمعروف .

فعرفت أيوب السختيانى ـ كان عابدا زاهدا مثل مالك بن دينار ـ فسألنا عن منزلها فقصدناها وسلمنا عليها فقال أيوب السختيانى :

ـ قولى خيرا يرحمك الله .

قالت مليكة بنت المنكدر :

ـ وما أقول ؟ أشكو إلى الله قلبى وهواى فقد أضرا بى وشغلانى فى عن عبادة ربى .

قوما فإنى أبادر طى صحيفتى

يقول أيوب السختيانى :

فما حدثت نفسى بامرأة قبلها فقلت لها :

ـ لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه

قالت مليكة بنت المنكدر :

ـ لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختيانى ما أردته

فقال مالك بن دينار :

ـ أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختيانى .

فقالت مليكة بنت المنكدر :

ـ أف لقد ظننت أنه شغلكما ذكر الله عن محادثة النساء .

وأقبلت على صلاتها .

فسألنا عنها فقالوا :

ـ هذه مليكة بنت المنكدر .

* الألم .. والنعمة

تقول مليكة بنت المنكدر :

كان أبو عبد الله يقوم الليل فيتوضأ ثم يدعو الله عز وجل ويثنى عليه ويشكره ، ثم يرفع صوته بالذكر فقيل له :

ـ يا أبا عبد الله : لم ترفع صوتك ؟

قال محمد بن المنكدر :

ـ إن لى جارًا يشتكى برفع صوته بالوجع ، وأنا أرفع صوتى بالنعمة .

* جئنا لتفرج عنا .. فزدتنا

تقول مليكة بنت المنكدر :

بينا محمد بن المنكدر ذات ليلة قائم يصلى إذ استبكى وكثر بكاؤه حتى فزعنا له

وسألناه :

ـ ما الذى أبكاك ؟

فاستعجم ـ لم يرد علينا ـ علينا .

وتمادى فى البكاء ، فأرسلنا إلى أبى حازم وأخبرناه بأمر محمد بن المنكدر .

فجاء أبو حازم إلى أبى عبد الله فإذا هو يبكى .

فقال أبو حازم :

ـ يا أخى : ما الذى أبكاك قد روعت أهلك ؟

قال أبو عبد الله :

ـ مرت آية من كتاب الله عز وجل .

فتساءل أبو حازم :

ـ ما هى ؟

قال محمد بن المنكدر :

ـ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٤٧] .

فبكى أبو حازم وبكينا .

ولما اشتد بكاء أبى حازم وأبى عبد الله قلت :

ـ يا أبا حازم : جئنا بك لتفرج عنه فزدته ؟

فأخبرنا أبو حازم ما الذى أبكاهما .

*** ذكر الله**

تقول مليكة بنت المنكدر :

قال محمد بن المنكدر :

بلغنى أن الجبلين إذا أصبحا نادى أحدهما صاحبه ـ يناديه باسمه فيقول :

ـ أى فلان : مر بك اليوم ذاكر لله ؟

فيقول :

ـ لقد أقر الله عينك ، لكن ما مر بى ذاكر لله عز وجل اليوم .

* من أقوال مليكة بنت المنكدر

كانت مليكة بنت المنكدر تقول :

* من داوم على الوضوء أكرمه الكريم المنان بسبع خصال :

ترغب الملائكة فى صحبته .

ولا يزال القلم رطبا من كتب ثوابه .

وتسبح أعضاؤه وجوارحه .

ولا تفوته التكبيرة الأولى ـ فى صلاة الجماعة أى مع الإمام ـ

وإذا نام بعث الله تعالى إليه ملائكته يحفظونه من شر الثقلين ـ الإنس والجن

ويسهل الله عز وجل عليه سكرات الموت .

ويكون فى أمان الله عز وجل ما دام على وضوء .

* من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار .

* إن المصلى تشرق فى قلبه أنوار المعارف والمكاشفات لخلوه فيها عن الشواغل وإقباله على رب الأرض والسموات .

* ترك الدنيا شديد ، وفوات الجنة أشد ، ترك الدنيا مهر الآخرة .

* فى طلب الدنيا ذل النفوس ، وفى طلب الآخرة عز النفوس ، فيا عجبا لمن اختار المذلة فى طلب ما يفنى ويترك العز فى طلب ما يبقى .

* الرجل الصالح

تقول مليكة بنت المنكدر :

دخل أبو عبد الله ذات ليلة مسجد رسول الله ﷺ فرأى رجلا عند اسطوانة ـ عمود من أعمدة المسجد ـ مقنع رأسه فسمعه يقول :

ـ إن القحط اشتد على عبادك ، وإنى مقسم عليك يارب إلا سقيتهم .

فما كان إلا ساعة . . ثم هطل المطر .

وكان عزيزا على محمد بن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير فقال :

ـ هذا بالمدينة ولا أعرفه ؟

فلما فرغ الإمام من صلاته تقنع الرجل الصالح وانصرف من المسجد ، فأتبعه أبو عبد الله حتى دخل دار آل حازم ـ أو دار آل عثمان ـ فعرف مكانه .

وفى الصبح ذهب محمد بن المنكدر إلى الرجل الصالح فسمع نجرا فى بيته فقال :

ـ السلام عليك .

فقال الرجل :

ـ وعليك السلام . . أدخل .

فدخل أبو عبد الله فإذا بالرجل ينجر أقداحًا يعملها فقال له :

ـ كيف أصبحت أصلحك الله ؟

فاستشهدها وأعظمها من أبى عبد الله ، فلما رأى ابن المكندر ذلك قال :

ـ إنى سمعت إقسامك البارحة على الله عز وجل يا أخى ، هل لك نفقة تغنيك عن هذا أو تفرغك لما تريد من الآخرة ؟

فقال الرجل الصالح :

ـ لا ولكن غير ذلك يا ابن المنكدر فإنك إن تأتينى شهرتنى للناس

فقال أبو عبد الله :

ـ إنى أحب أن ألقاك .

قال الرجل الصالح :

ـ ألقنى فى المسجد .

فعاد محمد بن المنكدر وعرض عليه شيئًا من المال فأبى الرجل الصالح .

فقال محمد بن المنكدر :

ـ أتحج معى ؟

قال الرجل الصالح :

ـ هذا شىء لك فيه أجر .

تقول مليكة بنت المنكدر :

فخرج مثلاثتنا من مدينة رسول الله ﷺ إلى مكة .

فلما كنا فى الطواف راح الرجل الصالح يقول :

حبك قتلنى وشوقك أيقظنى .

والاتصال بك أسقمنى .

فعدمت قلبا يحب غيرك وثكلت خواطر أنست بسواك .

بردة الصريمية

عابدة من عابدات البصرة .

كانت تكثر البكاء حتى فسد بصرها .

كانت تصلى عامة الليل .

كانت إذا جن عليها الليل دخلت محرابا لها وأغلقت عليها ثم نادت :

إلـهى .

خلا كل حبيب بحبيبه .

وأنا خالية بك يا محبوب .

* ذهبت اللذات وبقيت التبعات

خرجت بردة الصريمية ومعها صاحبة لها إلى مكة .

فبينما بردة فى الطواف ارتفع صوتها وهى تقول :

يارب .

ذهبت اللذات وبقيت التبعات .

يا رب سبحانك .

وعزتك إنكم لأرحم الراحمين .

يارب .

مالك عُقُوبة إلا النار .

فقالت لها صاحبتها :

ـ يا بردة : دخلت بيت ربك اليوم ؟

قالت بردة الصريمية :

- والله ما أرى هاتين القدمين ـ وأشارت إلى قدميها ـ أهلا للطواف حول بيت ربى، فكيف أراهما أهلا أطأ بهما بيت ربى ؟ وقد علمت حيث مشتا وإلى أين مشتا؟

*** اللهم سرى إليك مكشوف**

وخرجت بردة الصريمية وصاحبتها إلى عرفة فقالت بردة :

إلـهى .

من أولى بالزلل والتقصير منى وقد خلقتنى ضعيفة ؟

ومن أولى بالعفو منك وعلمك فى سابق وأمرك بى محيط ؟

أطعتك بإذنك والمنة ـ الفضل ـ لك على .

وعصيتك بعلمك والحجة لك .

فأسألك بوجوب حجتك وانقطاع حجتى وبفقرى إليك وغناك عنى أن تغفر لى وترحمنى .

إلـهى .

لم أُحسن حتى أعطيتنى .

ولم أُسئ حتى قضيت على .

اللهم إنا أطعناك بنعمتك فى أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إلـه إلا الله .

ولم نعصك فى أبغض الأشياء إليك : الشرك بك .

فاغفر لى ما بينهما .

اللهم سرى إليك مكشوف .

وأنا إليك ملهوفة .

إذا أوحشتنى الغربة آنسنى ذكرك .

وإذا صببت على الهموم لجأت إليك استجارة بك ، فإن زمام الأمور بيدك .

* إبليس

تقول بردة الصريمية :

إن إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة :

مؤمن قتل مؤمنا .

ورجل يموت كافرًا .

وإنسان في قلبه خوف من الفقر .

ولقيت امرأة بردة الصريمية في عرفة فسألتها :

ـ من أين أنت ؟

قالت بردة :

ـ من البصرة .

فقالت المرأة :

ـ ما أرى معك زادا ولا ما تحملين فيه الزاد .

قالت بردة الصريمية :

خرجت من البصرة ومعي عشرة دراهم وقد بقي بعضهم ـ نصفها ـ .

فتساءلت المرأة :

ـ إذا نفدت ما تصنعين ؟

قالت بردة الصريمية :

ـ على هذه الجبة أبيعها وآخذ دونها وأنفق ما بين ذلك .

فقالت المرأة :

ـ إذا نفدت ما تصنعين ؟

قالت بردة :

ـ أبيع هذا الخمار وآخذ دونه وأنفق ما بين ذلك .

فعادت المرأة تتساءل :

ـ فإذا فنى ما تصنعين ؟

قال بردة الصريمية :

ـ يا أمة الله : أسأله فيعطينى .

قالت المرأة :

ـ ألا سألتيه قبل ذلك ؟

قالت بردة الصريمية :

ـ ويحك إنى أستحيى أن أسأله شيئًا من الدنيا ومعى فضل من عرضها .

* إن لبدنك عليك حقا

قيل للحسن البصرى :

ـ يا أبا سعيد : إن ههنا امرأة يقال لها بردة قد فسدت عيناها من البكاء .

فدخل عليها حسن البصرى وقال :

ـ يا بردة : إن لبدنك عليك حقا ، وإن لبصرك عليك حقا .

قالت بردة الصريمية :

ـ يا أبا سعيد : إن أكن من أهل الجنة فسيبدلنى الله بصرا خيرا من بصرى ، وإن أكن من أهل النار فأبعد الله بصرى .

وكانت بردة الصريمية إذا قيل لها :

ـ كيف أصبحت ؟

تقول :

ـ أصبحنا أضيافا منتجعين بأرض غربة ننتظر إجابة الداعى .

*** لا تفعل يا حبيباه**

كانت بردة الصريمية تقوم الليل فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين :

هدأت العيون .

وغارت النجوم .

وخلا كل حبيب بحبيبه .

وقد خلوت بك يا محبوبى .

أفتراك تعذبنى وحبك يملأ قلبى ؟

لا تفعل يا حبيباه .

وبعد أن تفرغ من صلاتها فى جوف الليل تقول :

أعوذ بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ثم تقول :

ـ هذا الجهد منى وعليك التكلان .

*** وفاة بردة الصريمية**

لما احتضرت بردة الصريمية رفعت رأسها إلى السماء وقالت :

يا ذخرى وذخيرتى .

ويا من عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى .

لا تخذلنى عند الموت .

ولا توحشنى فى قبرى .

ثم صعدت روحها إلى عليين .

*** رؤية بردة الصريمية فى المنام**

رأى ابن بردة أمه ذات ليلة فى منامه فقال :

ـ يا أماه : كيف أنت ؟

قالت بردة الصريمية :

ـ أى بنى : إن للموت لكربة شديدة وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود نفترش فيه الرياحين ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور .

فقال الابن :

ـ ألك حاجة ؟

قالت بردة الصريمية :

ـ نعم .

قال الابن :

ـ ما هى ؟

قالت بردة الصريمية :

ـ يا بنى : لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا فإنى لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من عند أهلك يقال لى : يا بردة هذا ابنك قد أقبل من أهله زائرا لك فأسر بذلك ويسر من حولى من الأموات .

أم الدرداء الصغرى

أم الدرداء اثنان

أم الدرداء الكبرى وهى خيرة بنت أبى حدود زوج أبى الدرداء ـ عويمر بن مالك ـ ولها صحبة ورواية عن النبى ﷺ

ماتت قبل أبى الدرداء

أم الدرداء الصغرى وتسمى جهيمة بنت حيى الوصابية

من قبيلة حمير

لا صحبة لها

عالمة مشهورة

كانت أم الدراء الصغرى فقيهة كبيرة وزاهدة متقشفة

وكانت عالمة عاملة واسعة الاطلاع

وكانت وافرة العقل والذكاء

وكانت ذات جمال وملحة

* فى حجر أبى الدرداء

لما ماتت خيرة بنت أبى حدود بالشام فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وكانت تعرف بأم الدرداء الكبرى ولها صحبة ورواية يسيرة وهى أم بلال بن أبى الدرداء وأم الدرداء وكانت هجيمة بنت حيى يتيمة فى حجر أبى الدرداء تختلف مع عويمر بن مالك وتصلى معه فى المسجد فى صفوف الرجال ، وتجلس فى حلقة القراء حتى قال لها أبو الدرداء :

ـ الحقى بصفوف النساء

وتزوجها عويمر بن مالك فعرفت بأم الدرداء الصغرى

ولم تر هجيمة بنت حيى الوصابية المبعوث للناس كافة ﷺ

تقول أم الدرداء الصغرى :

قال أبو الدرداء :

علمنى رسول الله ﷺ دعاء وأمرنى أن أتعاهد به أهلى كل يوم فقال :

قل كل يوم حين تصبح :

اللهم لبيك وسعديك والخير فى يديك ومنك وبك وإليك

اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه - أمامه - ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شىء قدير

اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت ، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، إنك أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين.

أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الممات ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة

أعوذ بك اللهم أن أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أعتدى أو يعتدى على أو أكتسب خطيئة محبطة أو ذنبا لا يغفر اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام ، فإنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شىء قدير ، وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك ، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من فى القبور ، وأشهد أنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضيعة وعورة وذنب خطيئة ، وإنى لا أثق إلا برحمتك فاغفر لى ذنبى كله إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب على إنك أنت التواب الرحيم (رواه الإمام

أحمد فى المسند) .

* سجدة التلاوة

ذات يوم كانت أم الدرداء الصغرى تتلو القرآن فوقفت عند سجدة التلاوة

فقال أبو الدرداء :

سجدت مع النبى ﷺ إحدى عشرة سجدة منهن النجم (رواه الإمام أحمد وابن ماجه)

وقال عليه الصلاة والسلام :

إذا قرأ ابن آدم سجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله

ثم قال عويمر بن مالك :

كان النبى ﷺ يحافظ عليه فقد قرأ آية سجدة على المنبر فنزل فسجد وسجد الناس معه ثم قرأها فى الجمعة الأخرى فتهيأ الناس للسجود فقال :

أيها الناس : على رسلكم إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء (أخرجه البخارى عن عمر).

قالت أم الدرداء الصغرى لزوجها عويمر بن مالك :

- ما أقول إذا قرأت آية السجدة ؟

قال أبو الدرداء :

إن رجلا من الأنصار صلى إلى شجرة فقرأ سورة ص فلما مر بالسجدة سجد فسجدت معه ، فسمعها تقول :

اللهم أعطنى بهذه السجدة أجرا ، وضع عنى بها وزرا ، وارزقنى بها شكرا ، وتقبلها كما تقبلتها من عبدك داود

* الباقيات الصالحات

ذات ضحى سمع أبو الدرداء أم الدرداء الصغرى تقرأ ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة الكهف الآية : ٤٦] .

فقال عويمر بن مالك :

ـ يا أم الدرداء أتعلمين معنى ذلك ؟

قالت هجيمة بنت حيى :

ـ الله ورسوله أعلم

قال أبو الدرداء :

ذات يوم كنت فى المسجد فأقبل رسول الله ﷺ وقال :

يا أبا الدرداء قل : سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إنهن الباقيات الصالحات ، وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها، وهن من كنوز الجنة (رواه ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر).

وقال عليه الصلاة والسلام لى :

قل : سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنهن الباقيات الصالحات ، وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها ، وهن من كنوز الجنة (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ، وابن مردويه) .

* أوصنى يا رسول الله

تقول أم الدرداء الصغرى :

لقى خاتم الأنبياء ﷺ ذات ضحى أبا الدرداء فقال له :

ـ يا رسول الله : أوصنى

قال إمام الخير ﷺ :

يا أبا الدرداء أحسن جوار من جاورك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك

(رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن أبى الدرداء) .

فقال عويمر بن مالك :

- يا رسول الله زدنى

قال ﷺ :

- يا عويمر حافظ على أن لا تبيتن إلا على وتر ، وركعتى الضحى مقيما ومسافرا ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر - الأيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر - تستكمل الزمان كله (رواه الحاكم عن أبى الدرداء)

أوصانى خليلى ﷺ بثلاث لا أدعن بشىء : أوصاني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولا أنام إلا على وتر ، وتسبيحتى - ركعتى - الضحى فى الحضر والسفر (رواه ابن عساكر ، وابن زنجويه)

اعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك مع الموتى ، وإياك ودعوة المظلوم ، فإنهن يصعدون إلى الله كأنهن شرارات من نار (رواه ابن عساكر عن أبى الدرداء)

وقال السراج المنير ﷺ :

لا إسلام إلا بطاعة ، ولا خير إلا فى جماعة ، والنصح لله وللخليفة وللمؤمنين عامة (رواه ابن عساكر عن أبى الدرداء)

* الذين يدخلون الجنة بغير حساب

تقول هجيمة بنت حيى الوصابية :

إن رجلا دخل مسجد دمشق فقال :

- اللهم آنس وحشتى ، وارحم غربتى وارزقنى جليسا صالحا

فسمعه أبو الدرداء فقال :

ـ لئن كنت صادقا لأن أسعد بما قلت منك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [سورة فاطر الآية : ٣٢] .

يعنى الظالم يؤخذ منه فى مقامه ذلك فذلك الهم والحزن ﴿ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ ﴾ [سورة فاطر الآية: ٣٢]. يحاسب حسابا يسيرا ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة فاطر الآية : ٣٢] .الذين يدخلون الجنة بغير حساب (رواه الإمام أحمد فى المسند عن أبى الدرداء)

* هل قرأت القرآن كله الليلة ؟

ذات ليلة سأل عويمر بن مالك أم الدرداء الصغرى :

ـ هل قرأت القرآن كله الليلة ؟

قالت هجيمة بنت حيى :

ـ من يطق ذلك ؟

تبسم أبو الدرداء وقال :

سألنا النبى ﷺ ذات ليلة :

ـ أيعجب أحدكم أن يقرأ القرآن فى ليلة ؟

قلنا :

ـ كيف يطيق ذلك أو من يطيق ذلك ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

ـ من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ [سورة الإخلاص]مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثى القرآن ، ومن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كله (رواه الرافعى عن على)

وقال عليه الصلاة والسلام :

- أيعجز أحدكم أن يقرأ فى كل ليلة ثلث القرآن ؟

قالوا :

- نحن أعجز من ذلك وأضعف

قال عليه الصلاة والسلام :

- إن الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل ﴿قل هو الله أحد﴾ جزأ من أجزاء القرآن (رواه مسلم والإمام أحمد) .

*** ادع لنا بخير**

ذات يوم جاء صفوان بن عبد الله بن صفوان الشام فدخل على عويمر بن مالك فلم يجده ووجد أم الدرداء الصغرى فقالت :

- تريد الحج العام ؟

قال صفوان :

- نعم .

قالت هجيمة بنت حيى :

فادع لنا بخير فإنى قد سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن دعوة المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال :

- آمين ولك بمثل (رواه الإمام أحمد فى المسند)

*** العلماء هم ورثة الأنبياء**

تقول أم الدرداء الصغرى :

قدم رجل من المدينة إلى أبى الدرداء وهو بدمشق فسأله :

ـ ما أقدمك أى أخى ؟

قال الرجل :

ـ حديث بلغنى أنك تحدثت به عن رسول الله ﷺ

قال أبو الدرداء :

ـ أما قدمت لتجارة ؟

قال الرجل :

ـ لا

فتساءل عويمر بن مالك :

ـ أما قدمت لحاجة ؟

قال الرجل :

ـ لا

قال أبو الدرداء

ـ ما قدمت إلا فى طلب هذه الحديث ؟

قال الرجل :

ـ نعم

قال عويمر بن مالك :

فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العالم ، وإنه ليستغفر للعالم من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، لم يرثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ

بحظ وافر (رواه الإمام أحمد فى المسند عن أبى الدرداء) .

*** لا آمرك أن تطلقها ولا آمرك أن تعصى والدتك**

تقول أم الدرداء الصغرى :

أتى رجل أبا الدرداء فقال :

ـ يا أبا الدرداء : إن امرأتى بنت عمى وأنا أحبها ، وإن والدتى تأمرنى أن أطلقها فقال عويمر بن مالك :

ـ لا آمرك أن تطلقها ولا آمرك أن تعصى والدتك ، ولكن أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ يقول :

إن الوالدة أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأمسك وإن شئت فدع (رواه الإمام أحمد فى المسند)

*** كيف يعرف رسول الله ﷺ أمته يوم القيامة ؟**

ذات ليلة كان أبو الدرداء يتوضأ فقالت هجيمة بنت حيى :

ـ يا أبا الدرداء : كيف يعرف رسول الله ﷺ أمته بين الأمم يوم القيامة؟

قال عويمر بن مالك :

قال رسول الله ﷺ : **أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر بين يدى فأعرف أمتى من بين الأمم ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن شمالى مثل ذلك**

فقال له رجل :

ـ يا رسول الله : كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟

قال عليه الصلاة والسلام :

هم غر محجلون من أثر الوضوء ، ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم ، أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذريتهم (رواه الإمام أحمد فى المسند) .

وقال ﷺ :

ـ أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم (رواه الإمام أحمد عن أبى الدرداء)

*** أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان يخطب أم الدرداء الصغرى**

لما مات أبو الدرداء خطب معاوية بن أبى سفيان هجيمة بنت حيى الوصابية فقالت :

ـ لا والله لا أتزوج فى الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله فى الجنة

*** أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يجلس إلى أم الدرداء الصغرى**

كانت هجيمة بنت حيى الوصابية معظمة عند بنى أمية ، وكانت تقيم ستة أشهر ببيت المقدس وستة أشهر بدمشق .

وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كثيرا ما يجلس إلى أم الدرداء الصغرى فى مؤخر المسجد بدمشق

يقول إسماعيل بن عبد الله :

كان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان جالسا على صخرة بيت المقدس مع هجيمة بنت حيى الوصابية الدمشقية حتى اذا نودى المغرب قام عبد الملك وقامت أم الدرداء الصغرى متوكئة عليه حتى دخل بها المسجد فتجلس مع النساء ومضى هو إلى المقام فصلى بالناس .

*** أفضل العلم المعرفة**

قال عون بن عبد الله :

كنا نجلس إلى أم الدرداء الصغرى فنذكر الله عندها

فقلنا :

- لعلنا قد أمللناك ؟

قالت :

- تزعمون أنكم أمللتمونى فقد طلبت العبادة فى كل شىء فما وجدت شيئا أشفى لصدرى ولا أحرى بالذى أريد من مجالس الذكر

*** من أقوال أم الدرداء الصغرى**

كانت هجيمة بنت حيى الوصابية الدمشقية تقول :

* أفضل العلم المعرفة

* تعلموا الحكمة صغارا تعملوا بها كبارا ، وإن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر

* ما بال أحدكم يقول :

اللهم ارزقنى وقد علم أن الله لا يمطر عليه من السماء دينارا ولا درهما ، وإنما يرزق بعضكم من بعض فمن أعطى شيئا فليتقبله فإن كان غنيا فليضعه فى ذى الحاجة من إخوانه ، وإن كان فقيرا فليستعن به على حاجته ولا يرد على الله رزقه الذى رزقه

* ولذكر الله أكبر ، فإن صليت فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله

قال رجل لها :

- إنى لأجد فى قلبى داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملا بعيدا

قالت أم الدرداء الصغرى :

ـ اطلع فى القبور واشهد الموتى

*** إنما الوجل فى قلب ابن آدم كاحتراق السعفة أما يجد لها قشعريرة**

*** سمعتك الليلة لعنت خادما**

كانت النساء يتعبدن مع أم الدرداء فإذا ضعفن عن القيام فى صلاتهن تعلقن بالحبال

بعث عبد الملك إليها فكانت عنده فلما كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه فأبطأ عنه فلعنه فلما أصبح قالت أم الدرداء الصغرى :

ـ قد سمعتك الليلة لعنت خادما فقال عبد الملك بن مروان :

ـ إنه أبطأ عنى

قالت هجيمة بنت حيى

سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ :

لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة

*** روايتها لأحاديث رسول الله ﷺ**

روت هجيمة بنت حيى الوصابية الكثير عن أبى الدرداء وسلمان الفارسى وفضالة ابن عبيد وأبى هريرة وكعب بن عاصم وأبى موسى الأشعرى وأم المؤمنين عائشة .

وروى عنها : جبير بن نفير ، وابن أخيها مهدى بن عبد الرحمن ، ومولاها أبو عمران الأنصارى ، وسالم بن أبى الجعد وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب وصفوان ابن صفوان ، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر ، وأبو حازم بن دينار المدينى ، وطلحة بن عبيد الله بن كريز ، وعبد الله بن أبى زكريا وعثمان بن حيان الدمشقى، وعطاء الكيخارانى ، ويعلى بن مالك ، ويونس بن ميسرة ، ومرزوق التميمى ، ومكحول الشامى ، وعون بن عبد الله بن عبيد بن مسعود بن عتبة ، وإبراهيم بن أبى عبلة، ورجاء بن حيوة ، وأبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمى ، وهلال بن رياف،

وميمون بن مهران ، وحبيب بن أبى عمرة، ومعاوية بن إسحاق بن طلحة ، والأزهر ابن الوليد الحمصى ، وعبد ربه بن سليمان بن عمير ، ومحمد بن يزيد بن عفيف ، وأبو عمران سليم بن عبد الله ، وأبو مرجوم ، وصالح بن زيتون ، وهلال بن يسار وروى لها مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه

يقول مكحول الشامى :

كانت أم الدرداء الصغرى فقيهة ، وكانت تجلس فى صلاتها جلسة الرجل

* وفاة أم الدرداء الصغرى

توفيت هجيمة بنت حيى الوصابية الدمشقية بعد سنة واحد وثمانين للهجرة.

حفصة بنت سيرين

* نسبها

هى حفصة بنت سيرين من أهل جرجريا ـ بلد من أعمال النهروان بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى ـ وكان سيرين يعمل قدور النحاس ، جاء إلى عين التمر ـ بلد قريبة من الأنبار غربى الكوفة ـ يعمل بها فسباه ـ أسره ـ خالد بن الوليد

اشترى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ سيرين وكاتبه

فكانت صفية ـ زوج سيرين أو شيرون ـ مولاة أبى بكر الصديق

ولد محمد بن سيرين لسنتين من خلافة عثمان بن عفان

ثم رزق سيرين بأبناء : معبد ويحيى ، حفصة ، كريمة

لما اشتد ساعد محمد بن سيرين صار خادم أنس بن مالك

لمحمد بن سيرين كتاب تفسير الأحلام

يكنى أبا بكر

كان به صمم

* كنيتها

تكنى أم الهذيل

* ساعة غفلة

تقول حفصة بنت سيرين :

كان أخى محمد إذا دخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله عز وجل

فقال له رجل :

ـ يا أبا بكر : فى هذه الساعة ؟

قال محمد بن سيرين :

- إنها ساعة غفلة

*** اسألوا حفصة**

يقول هشام :

إن محمد بن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء من القراء قال:

- اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ

كانت حفصة بنت سيرين سيدة جليلة من سيدات التابعات اشتهرت بالعبادة والفقه وقراءة القرآن والحديث

*** إنها شهادة يسأل عنها**

تقول حفصة بنت سيرين :

أرسل عمر بن هبيرة والى العراق وخراسان إلى محمد بن سيرين ، فأتاه ، فقال ابن هبيرة :

- يا أبا بكر كيف تركت أهل مصرك ؟

قال محمد بن سيرين :

- تركتهم والظلم فيهم فاش - منتشر -

كان محمد بن سيرين يرى أنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها

وبعث عمر بن هبيرة إلى محمد بن سيرين والحسن البصرى والشعبى فلما دخلوا عليه

قال ابن هبيرة لابن سيرين :

- يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قريب من بابنا؟

قال ابن سيرين :

ـ رأيت ظلما فاشيا

فغمزه ابن أخيه بمنكبه ، فالتفت إليه محمد بن سيرين وقال :

ـ إنك لست تسأل ، إنما أسأل أنا

فأرسل عمر بن هبيرة إلى الحسن البصرى بأربعة آلاف درهم ، وإلى محمد بن سيرين بثلاثة آلاف ، وإلى الشعبى بألفين .

فأما محمد بن سيرين فلم يأخذها

فقال جعفر بن أبى الصلت لمحمد بن سيرين :

ـ ما منعك أن تقبل ثلاثة آلاف من ابن هبيرة ؟

قال ابن سيرين :

ـ يا أبا عبد الله : إنما أعطانى على خير كان يظنه بى ، ولئن كنت كما ظن بى فما ينبغى لى أن أقبل ، وإن لم أكن كما ظن فبالحرى أن لا يجوز لى أن أقبل.

*** تفسير الأحلام :**

كان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويل الرؤيا ، وما يراه الناس فى المنام وهى معجزة له ، فإنه لم يلحقه فيها خطأ ، وكان المبعوث للناس كافة ﷺ نحو ذلك، وكان أبو بكر الصديق من أعبر الناس لها ، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم ، والطبع والإحسان .

قال رجل لابن سيرين :

ـ رأيت كأن على سطح بيتى حبات شعير ، فجاء ديك فلقطها

فقال أبو بكر :

ـ إن سرق لك شىء فى هذه الأيام فأتنى

فوضع الرجل على سطحه بساطا فَسُرِقَ ، فجاء محمد بن سيرين وأخبره ، فقال أبو بكر :

ـ اذهب إلى مؤذن محلتك فخذه منه

فجاء الرجل إلى المؤذن فأخذ البساط منه

وقال رجل لأبى بكر :

ـ رأيت كأنى دُسْت ـ أو وطأت ـ تمرة ، فخرجت منها فأرة

قال محمد بن سيرين :

ـ تتزوج امرأة ـ أو قال : تطأ امرأة – صالحة تلد بنتا فاسقة

فكان ما قال أبو بكر

وقال رجل آخر لمحمد بن سيرين :

ـ رأيت كأنى أصب الزيت فى الزيتون

فقال أبو بكر :

ـ فتش على امرأتك فإنها أمك

ففتش الرجل على امرأته فإذا هى أمه

وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيرا سَبْيًا ، ثم مكث فى بلاد الإسلام إلى أن كبر ، ثم سبيت أمه فاشتراها جاهلا أنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لأبى بكر فأمره أن يفتش على ذلك . . ففتش فوجد الأمر على ما ذكره ابن سيرين

وقال رجل لمحمد بن سيرين :

ـ رأيت الحمام تلقط الياسمين .

قال أبو بكر :

ـ مات علماء البصرة

وأتاه رجل فقال :

ـ يا أبا بكر رأيت رجلا عريانا واقفا على مزبلة وبيده طنبور ـ آلة من آلات العزف والموسيقى كالعود ـ يضرب به .

فقال له محمد بن سيرين :

ـ لا تصلح هذه الرؤيا فى زماننا هذا إلا للحسن البصرى

فقال الرجل :

ـ الحسن هو والله الذى رأيت

فقال أبو بكر :

ـ نعم لأن المزبلة الدنيا ، وقد جعلها تحت رجليه ، وعريه تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هى المواعظ التى يقرع بها آذان الناس

وجاء ابن سيرين رجل فقال :

ـ رأيت كأنى استاك ـ استعمل السواك لنظافة فمى ـ والدم يسيل

فقال ابن سيرين :

ـ أنت رجل تقع فى أعراض الناس وتأكل لحومهم ـ تغتابهم ـ وتخرج فى بابه وتأتيه

وقال آخر :

ـ يا أبا بكر رأيت كأنى أرى اللؤلؤ فى الحمأة

فقال محمد بن سيرين :

ـ أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به

وجاءت ابن سيرين امرأة فقالت :

- رأيت كأن سنورا أدخل رأسه فى بطن زوجى فأخذ قطعة منه

فقال لها محمد بن سيرين :

- سرق لزوجك ثلاثمائة درهم وستة عشر درهما

فتساءلت المرأة:

- صدقت من أين أخذته ؟

فقال أبو بكر :

- من هجاء حروفه وهى الحساب الجمل ، فالسين ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة والراء مائتين ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر .

وذكرت السنور أسود فقال ابن سيرين :

- هو عبد فى جواركم

فالزموا عبدًا كان فى جوارهم وضرب فأقر بالمال المذكور

وقال لابن سيرين رجل :

- رأيت لحيتى قد طالت وأنا أنظر إليها

فقال محمد بن سيرين :

- أمؤمن أنت :

قال الرجل :

- نعم

فقال أبو بكر :

- اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران

وقال آخر :

ـ يا أبا بكر رأيت لحيتى قد طالت حتى جزرتها ونسجتها كساء وبعته فى السوق.

فقال له محمد بن سيرين :

ـ اتق الله فإنك شاهد زور

وقال رجل :

ـ يا أبا بكر رأيت كأنى آكل أصابعى

قال أبو بكر :

ـ تأكل من عمل يدك

وبينما كان خالد بن دينار عند ابن سيرين أتاه رجل فقال :

ـ يا أبا بكر رأيت فى المنام كأنى أشرب من بلبلة لها مثقبان ـ لها شعبان ـ فوجدت أحدهما عذبا والآخر ملحا .

فقال ابن سيرين :

ـ اتق الله ، لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها .

وجاء رجل فقال لابن سيرين :

ـ رأيت كأنى أبول دما

فقال أبو بكر :

ـ تأتى امرأتك وهى حائض ؟

قال الرجل :

ـ نعم .

فقال ابن سيرين :

ـ اتق الله ولا تعد

ورأى رجل فى المنام كأن فى حجره صبيا يصيح ، فقص رؤياه على أبى بكر فقال ابن سيرين :

ـ اتق الله ولا تضرب العود ـ آلة من آلات العزف والموسيقى ـ

ورأت امرأة فى المنام أنها تحلب حية ، فقصت على محمد بن سيرين ، فقال أبو بكر :

ـ اللبن فطرة ، والحية عدو ، وليست من الفطرة فى شىء ، هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء

ورأى الحجاج بن يوسف فى منامه رؤيا كأن حوارين أتياه فأخذ إحداهما وفاتته الأخرى ، فكتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فكتب إليه عبد الملك :

ـ هنيئا يا أبا محمد

فبلغ ذلك محمد بن سيرين فقال :

ـ أخطأت استه الحفرة ، هذه فتنتان يدرك إحداهما وتفوته الأخرى

فأدرك فتنة دير الجماجم ، وفاتته الأخرى .

ورأى محمد بن سيرين كأن الجوزاء تقسمت الثريا

فأخذ فى وصيته وقال :

ـ يموت الحسن ـ البصرى ـ وأموت بعده هو أشرف منى

وقال رجل لابن سيرين :

ـ إنى رأيت كأنى ألعق عسلا من جام من جوهر

فقال :

ـ اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ثم نسيته

وقال رجل :

ـ يا أبا بكر : رأيت كأنى أحرث أرضا لا تنبت

قال ابن سيرين :

ـ أنت رجل تعزل عن امرأتك

وجاء رجل إلى محمد بن سيرين فقال له :

ـ يا أبا بكر رأيت فى المنام كأنى أغسل ثوبى ولا ينقى

فقال أبو بكر :

ـ أنت رجل مصارم ـ مقاطع ـ لأخيك

يقول هشام بن حسان :

جاء رجل إلى محمد بن سيرين وأنا عنده فقال :

ـ إنى رأيت على رأسى تاجا من ذهب .

فقال أبو بكر :

ـ اتق الله فإن أباك فى أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه

يقول هشام بن حسان :

فما زاده الرجل الكلام حتى أدخل يده فى حجزته فأخرج كتابا من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره ، وأنه فى أرض غربة وأمره بالإتيان إليه .

* ابن سيرين والحسن البصرى

تقول حفصة بنت سيرين :

بنى ابن لمحمد بن سيرين دارا وأنفق فيها مالا كثيرا ، فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال :

- ما أرى بأسا أن يبنى الرجل بناء ينفعه فقد قال رسول الله ﷺ : إذا أنعم الله على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه ، ومن آثار النعمة البناء الحسن ، والثياب الحسن ، ألا ترى أنه إذا اشترى جارية جميلة بمال عظيم فإنه يجوز وقد يكفيه دون ذلك ، فكذلك البناء

وكره الحسن البصرى ذلك واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام :

- إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الطين واللبن

وقال ﷺ :

- من بنى فوق ما يكفيه جاء يوم القيامة يحمله على عنقه

قال السميع العليم ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ [سورة التوبة الآية : ٨٢].

أمر معناه التهديد وليس أمرا بالضحك

قال الحسن البصرى :

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا﴾ فى الدنيا

﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [سورة التوبة الآية : ٨٢] ، فى جهنم

أى أنهم يضحكون قليلا ويبكون كثيرا

من الناس من كان لا يضحك اهتماما بنفسه وفساد حاله فى اعتقاده من شدة الخوف وإن كان عبدا صالحا .

قال رسول الله ﷺ :

- والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، لوددت أنى كنت شجرة تعضد (أخرجه الترمذى عن أبى هريرة).

وكان الحسن البصرى ممن قد غلب عليه الحزن فكان لا يضحك

أما ابن سيرين فكان يضحك ويحتج على الحسن البصرى ويقول :

ـ الله أضحك وأبكى .

وكان الصحابة يضحكون

إلا أن الإكثار من الضحك وملازمته حتى يغلب على صاحبه مذموم منهى عنه ، وهو من فعل السفهاء والبطالة .

وفى الخبر : إن كثرته تميت القلب .

وأما البكاء من خوف الله وعذابه وشدة عقابه فمحمود

قال النذير المبين ﷺ :

ـ ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت (أخرجه ابن ماجه ، وابن المبارك عن أنس) .

* ابن سيرين والوليمة :

كان محمد بن سيرين إذا دعى إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول لأهله :

ـ اسقونى شربة سويق

فيقال له :

ـ يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقا ؟

فيقول ابن سيرين :

ـ إنى أكره أن أحمل حد جوعى على طعام الناس

* لو رأى محمد بن سيرين ؟

كان حبيب بن الشهيد ، أيوب السختيانى ذات يوم عند عمر بن دينار ، فحلف عمر وقال :

ـ ما رأيت أحدا أفضل من طاوس ـ طاوس بن كيسان ـ

فقال أيوب السختياتى :

ـ لو رأى ابن سيرين لم يحلف

* محمد بن سيرين ... والحلال والحرام

تقول حفصة بنت سيرين :

اشترى محمد بن سيرين بيعا فأشرف فيها على ثمانين ألفا ، فعرض فى قلبه شىء فتركه .

قال هشام بن حسان :

ـ والله ما هو بالربا

وقال السرى بن يحيى :

ـ لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفا فى شىء دخله

وقال سرى :

ـ سمعت سليمان التميمى : لقد تركه فى شىء ما يختلف أحد من العلماء.

وقال سعيد بن عامر :

ـ سمعت هشام بن حسان يقول : ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم فى شىء ما ترون به اليوم بأسا

* محمد بن سيرين وخادم رسول الله ﷺ :

لما مات أنس بن مالك أوصى أن يغسله خادمه محمد بن سيرين ، ولكن محمد بن سيرين كان محبوسا فى ذلك الوقت فقالوا :

ـ بسبب دين كان عليه ـ

ـ إن خادم رسول الله قد مات وأوصى أن تغسله

فقال أبو بكر :

ـ أنا محبوس

فقالوا :

ـ استأذنا الأمير فى إخراجك .

قال خادم خادم رسول الله ﷺ :

ـ إن الأمير لم يحبسنى ، إنما حبسنى من له الحق ـ الدين ـ

فأذن صاحب الحق لمحمد بن سيرين فغسل خادم رسول الله ﷺ

*** لو أردنا فقه الصحابة**

سئل محمد بن سيرين عن فتيا ذات يوم ، فأحسن الإجابة فيها

فقال رجل :

ـ والله يا أبا بكر إنك أحسنت الفتيا فيها ـ القول فيها ـ

فأعرض عنه وكأنه يقول :

ـ لقد كانت الصحابة تحسن أكثر من هذا

فقال محمد بن سيرين :

ـ لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا

قال بكر بن عبد الله المزنى :

ـ من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه ، فلينظر إلى محمد بن سيرين ، فو الله ما أدركنا من هو أورع منه

وقال سفيان بن عيينة :

ـ لم يكن كوفى ـ من أهل الكوفة ـ ولا بصرى ـ من أهل البصرة ـ ورع مثل ورع محمد بن سيرين .

* البرذون :

كان مسلم بن قتيبة يأتى أبا بكر على برذون - عربة يجرها حصان كالحنطور - وذات يوم أتاه مسلم بن قتيبة راجلا فقال محمد بن سيرين :

- ما فعل برذونك ؟

قال مسلم بن قتيبة :

- بعته .

فقال أبو بكر :

- ولم ؟

قال مسلم بن قتيبة :

- لمؤنته

قال أبو بكر :

- أتراه خلف رزقه عندك ؟

* ابن سيرين والصحابة

قال قرة بن خالد :

- يا أبا بكر هل كان الصحابة يتمازحمون ؟

قال محمد بن سيرين :

- ما كانوا إلا كالناس ، كان عبد الله بن عمر يمزح وينشد الشعر ويقول:

يحب الخمر من كيس هندمى ويكره أن تفارقه الفلوس

* ابن سيرين والشعر

تقول حفصة بنت سيرين :

كان أبو بكر بن شعيب عند محمد بن سيرين ذات يوم ، فجاءه رجل فسأل ابن

سيرين عن شىء من الشعر ، وكان ذلك قبل صلاة العصر

فقال ابن سيرين :

كأن المدامة والزنجبيل وريح الخزامى وذوب العسـل
يعدل به برد أنيابهـا إذا النجم وسط السماء اعتدل

ثم دخل محمد بن سيرين فى الصلاة :

وسئل محمد بن سيرين :

ـ أينشد الرجل الشعر وهو على وضوء ؟

فقال أبو بكر :

نبئت أن فتاة كنت أخطبهـا عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول
أسنانها مائة أو زدن واحدة وسـائر الخـلـق منهـا بعـد ممطـول

وذات يوم أنشد محمد بن سيرين شعرا فقال له رجل من جلسائه :

مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر ؟

فقال أبوبكر :

ـ ويلك يالكح وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا فـى القوافى ؟ فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقال محمد بن سيرين :

سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام (رواه الإسماعيلى) .

* أذهب الله ما كنت أجد

كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب فى الصيف فيقشره ويأخذ القصب فيفلقه، وكانت حفصة بنت سيرين تجد قرة ـ برد فى الشتاء ـ فإذا جاء الشتاء جاء الهذيل بالكانون فيضع فيه الحطب والقصب خلف أمه حفصة وهى فى مصلاتها ثم

يقعد فيوقد ذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلق وقودا لا يؤذى دخانه ويدفئها فتذهب القرة

وكثيرا ما كان الهذيل يجلس بجانب أمه فتقول له :

ـ يا بنى : ارجع الى أهلك

ولما مات الهذيل رزق الله أمه حفصة بنت سيرين من الصبر ما شاء أن يرزق

تقول حفصة بنت سيرين :

ـ غير أنى كنت أجد غصة لا تذهب

وبينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذا أتيت على هذه الآية : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٥ ـ ٩٦] .

فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد من غصة

* أنا صائمة

كان لهشام بن حسان لقحة ـ بكسر فسكون وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن ـ وكان يبعث إلى حفصة بنت سيرين بحلبة الغداة فتقول حفصة :

ـ يا بنى : إنك لتعلم أنى لا أشربه أنا صائمة

فيقول هشام :

ـ يا أم الهذيل : إن أطيب اللبن ما بات فى ضروع الإبل ، اسقيه من شئت

* قالوا عن حفصة بنت سيرين

* قال إياس بن معاوية القاضى الذكى :

ـ ما أدركت أحدا أفضله على حفصة بنت سيرين

فقيل له :

ـ والحسن ومحمد بن سيرين ؟

قال إياس بن معاوية :

أما أنا فلا أفضل عليها أحدا

*** قال أبو داود :**

ـ وأما سيدات التابعيات : فحفصة بنت سيرين ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، ويليهما أم الدرداء الصغرى .

*** قال مهدى بن ميمون :**

ـ مكثت حفصة بنت سيرين فى مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجة أو لمقابلة

*** قال هشام بن حسان :**

ـ رأيت الحسن وابن سيرين وما رأيت أحدا أرى أنه أعقل من حفصة

وكانت لها كفن فإذا حجت لبسته ، وكانت إذا جاءت العشر الأواخر من رمضان قامت من الليل فلبسته

وكانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة

وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق

وكانت تسرج سراجها من الليل ثم تقوم فى مصلاها فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتى تصبح

قرأت حفصة بنت سيرين القرآن وهى ابنة اثنتى عشرة سنة

قال عاصم الأحول :

كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها:

ـ رحمك الله قال الله ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن

يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [سورة النور الآية : ٦٠] وهو الجلباب

فتقول لنا :

أى شىء بعد ذلك ؟

فنقول :

- ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة النور الآية : ٦٠] .

فتقول :

- هو إثبات الجلباب

* قال هشام بن حسان :

اشترت حفصة جارية أظنها سندية فقيل لها :

- كيف رأيت مولاتك ؟

قالت الجارية :

- إنها امرأة صالحة

* قالت أم سليم بنت سيرين :

ربما نور لحفصة بنت سيرين بيتها

* عبادتها

أما فى العبادة فكانت حفصة بنت سيرين على حظ عظيم منها ، فكانت تدخل مسجدها فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار ، وتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها ، حتى إذا حضرت الصلاة عادت إلى مسجدها إلى مثلها .

* من أقوال حفصة بنت سيرين :

كانت حفصة تقول :

* يا معشر الشباب : خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى رأيت العمل فى الشباب

*** من مسانيدها**

روت حفصة بنت سيرين عن أخيها يحيى بن سيرين وأنس بن مالك وأم عطية الأنصارية والرباب أم الرائح وأبى ذبان خليفة بن كعب والربيع بن زياد الحارثى وخبرة أم الحسن البصرى وقيل :

روت عن سلمان بن عامر وجماعة

وروى عنها : محمد بن سيرين ، وقتادة ، وعاصم الأحول ، وخالد الحذاء ، وابن عون ، وهشام بن حسان

*** وفاة حفصة بنت سيرين**

توفيت سنة مائة وواحد من الهجرة ، وفى رواية سنة ٩٢ هـ

وهى ابنة سبعين سنة

وقيل :

وهى ابنة تسعين سنة

ميمونة السوداء

كانت ميمونة السوداء من المتعبدات الكوفيات

* رفيقى فى الجنة

كان عبد الواحد بن زيد عابدا زاهدا وواعظا

يقول عبد الواحد بن زيد :

سألت الله عز وجل ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة

فرأيت كأن قائلا يقول :

- يا عبد الواحد : رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء

فقلت :

- وأين هى ؟

فقال :

- فى آل بنى فلان بالكوفة

فخرجت إلى الكوفة فسألت عنها فقيل :

- هى مجنونة بين ظهرانينا ترعى غنيمات لنا

فقلت :

- أريد أن أراها

قالوا :

- اخرج إلى الجبان

فخرجت فإذا بها قائمة تصلى ، وإذا بين يديها عكازة لها وعليها جبة من صوف

مكتوب عليها :

لا تباع ولا تشترى

وإذا الغنم مع الذئاب لا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب

فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها وقالت :

ـ ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ههنا إنما الوعد لم يحن بعد

فقلت :

ـ رحمك الله ومن أعلمك أنى ابن زيد ؟

فقالت :

ـ أما علمت أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنكر منها اختلف؟

فقلت لها :

ـ عظينى

فقالت :

واعجبا لواعظ يوعظ

ثم قالت :

يا ابن زيد : إن وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها

يا ابن زيد : إنه بلغنى أنه ما من عبد أُعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حب الخلوة معه ، ويبد له بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة

ثم أنشأت تقول :

يا واعظا قام لاحتسـاب ... يزجر قوما عن الذنوب

تنهى وأنت السقيم حقا ... هذا من المنكر العجيب

لو كنت أصلحت قبل هذا عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبـــــى موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمـــادى وأنت فى النهى كالمريـب

فقلت لها :

- إنى أرى هذه الذئاب مع الغنم ، لا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فأيش هذا ؟

فقالت :

- إليك عنى فإنى أصلحت ما بينى وبين سيدى فأصلح بين الذئاب والغنم

* اتجه إلى الله

شكا ابن لميمونة السوداء الفقر فقالت له :

- يا بنى : تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟

وجاءها ذات يوم يشكو إليها وجعا فى بطنه فنهرته ثم قالت :

- يا بنى : لا تشك إلى أحد ما نزل بك فإنما الناس اثنان : صديق تسوءه وعدو تسره

يا بنى : لا تشك إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله من نفسه ، ولكن أشك الى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك

ثم قالت ميمونة السوداء :

يا بنى إن رجلا فقيرا كان يصلى خلف النبى ﷺ ، وكان ثوبه باليا ، فلما كثر تمزقه ولم ينفع معه الترقيع تخلف عن الصلاة خلف النبى ﷺ عدة أيام فقالت له زوجه :

- ما بالك لا تصلى خلف رسول الله ﷺ ؟

فذكر لها ثوبه الممزق

فقالت الزوجة :

ـ خذ ثوبى وصل به خلف رسول الله ﷺ ، فإذا فرغت من صلاتك فأسرع إلى لأتمكن من الصلاة أول الوقت ففعل الزوج ، وعندما فرغ من صلاته هم بالخروج من المسجد مسرعا

وسأل النبى ﷺ عنه أصحابه فقالوا

ـ إنه فر من المسجد عقب الصلاة

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ إننى أريد أن أراه

فلما كان اليوم الثانى وأراد الرجل الإسراع بالخروج من المسجد قال له بعض الصحابة :

ـ إن رسول الله ﷺ يطلبك

فقال الرجل :

ـ سمعا وطاعة

وانتظر الزوج حتى فرغ رسول الله ﷺ من صلاته فأقبل عليه وأخذه فى ناحية المسجد وسأله عن سبب خروجه من المسجد مسرعا عقب الصلاة فقال الزوج :

ـ أنا وزوجتى لا نملك إلا ثوبا واحدا فحرصت على الصلاة خلفك فأسرع لكى تصلى زوجتى الصلاة فى وقتها فرق نبى الرحمة ﷺ وأمر له بثوب

فلما رجع الزوج إلى داره سألته الزوجة :

ـ لماذا تأخرت هكذا ؟

قال الزوج :

- سألنى رسول الله ﷺ عن سبب خروجى مسرعا عقب الصلاة فأخبرته . . فأمر لى بثوب

فقالت الزوجة :

- يرحمك الله أتشكو ربك لرسوله ؟

* كيف ترين الدهر ؟

سئلت ميمونة السوداء :

- كيف ترين الدهر ؟

قالت :

- يخلق الأبدان ويحدد الآمال ويقرب الآجال

فقيل لها :

- فما حال أهله ؟

قالت ميمونة السوداء :

- من ظفر به نصب ومن فاته حزن

فقيل لها :

- فأى الأصحاب أبر ؟

قالت :

- العمل الصالح

فقيل لها :

- فأى الأصحاب أضر ؟

قالت ميمونة السوداء :

ـ النفس والهوى

فقيل لها :

ـ ففيم المخرج ؟

قالت :

ـ فى سلوك المنهج

قيل لها :

ـ وفيم ذلك ؟

قالت ميمونة السوداء :

ـ فى خلع الراحة وبذل المجهود

ثم نصحت ميمونة السوداء السائل فقالت :

ـ عليك بخير صاحب وهو عملك ، إن أحسنت وعصيت داعى الهوى والغرض سعدت ووفقت وإن أطعت هواك واستجبت لشهواتك وركبت رأسك فقد ضللت وكنت من الخاسرين ، فلا تكل ولا تمل ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ** وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية:١٠٥] .

* إلى متى تنام ؟

كانت ميمونة السوداء تصلى الضحى خمسين ركعة كل يوم ، وكانت تقرأ ﴿قل هو الله أحد ﴾ [سورة الإخلاص] بالنهار خمسة آلاف مرة

وكانت تصلى بالليل مائة ركعة ، وكانت تقول لزوجها :

ـ قم ويحك إلى متى تنام ؟ قم يا غافل ، إلى متى أنت فى غفلتك ؟ أقسمت عليك لا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلى،

بر أمك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك

*** يا نفس**

وكانت ميمونة السوداء إذا أمست قالت :

ـ يا نفس : الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها فاجتهدى

فكانت تصلى ولا تستريح

وإذا أصبحت قالت :

ـ يا نفس اليوم يومك لا يوم لك غيره فاجتهدى

فتصلى الضحى خمسين ركعة

*** لما جاءها نعى زوجها**

لما أتى ميمونة السوداء نعى زوجها والسراج يقد ـ اشتعل ـ أطفأت السراج وقالت :

ـ هذا زيت قد صار لنا فيه شريك

وقيل :

لما جاءها نعى زوجها كانت تعجن ، فرفعت يديها من العجين وقالت :

ـ هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء

*** من معك فى الدار ؟**

صارت ميمونة السوداء عجوزا مكفوفة

بكت ذات ليلة وراحت تقول :

يا حليم تقرب الناس إليك بالأعمال يدعونك بها ، فكيف أدعوك بالذنوب ولا عمل أرضاه ؟ يا رب هب لى من حلمك ما تكفينى به وتنجينى من عذابك

فسمعها رجل فوعظها وسألها :

ـ ألك ولد ؟

قالت ميمونة السوداء :

ـ لا

قال الرجل :

ـ ألك زوج ؟

قالت :

ـ مات

فعاد الرجل يتساءل :

ـ من معك فى الدار ؟

قالت ميمونة السوداء :

ـ سبحان الله ، معى من أناجيه فهل على وحشة معه وهى أنيسى ؟

قال الرجل :

ـ ما معاشك ؟

قالت ميمونة السوداء :

ـ دع عنك ما لا تحتاج إليه ، بلغت السن فما أحوجنى إليك ولا إلى غيرك ، أما تقرأ القرآن : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٧٩ ـ ٨٠] .

فقال الرجل :

ـ ائذنى لى فى زيارتك

قالت ميمونة السوداء :

ـ أعزم عليك إن فعلت أو ذكرت لى اسما

ثم ردت الباب وأغلقته

أم سفيان بن سعيد الثورى

تقول أم سفيان الثورى :

ولد سفيان سنة سبع وتسعين من الهجرة فى خلافة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ولما أراد سفيان العلم قلت له :

ـ يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى

وقلت له :

ـ يا بنى : إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى نفسك زيادة فى مشيك وحلمك ووقارك ؟ فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك

وكانت أم سفيان عابدة من عابدات الكوفة ذات صلاح ودين وإحسان وزاهدة من زاهداتها .

تقول أم سفيان :

قال سفيان :

ـ لما أردت أن أطلب العلم قلت : يا رب : إنه لا بد لى من معيشة

ورأيت العلم يدرس فقلت : أفرغ نفسى لطلبه

وقال :

وسألت ربى الكفاية والتشاغل لطلب العلم ، فما رأيت إلا ما أحب إلى يومى هذا وتقول أم سفيان :

كان سفيان يكنى أبا عبد الله

* ثلاث وأى ثلاث

تقول أم سفيان :

دخل سفيان بن سعيد الثورى على جعفر الصادق وقال له :

ـ علمنى يا ابن رسول الله ﷺ مما علمك الله .

قال جعفر الصادق :

ـ إن تظاهرت بالذنوب فعليك بالاستغفار

ـ إن تظاهرت بالنعم فعليك بالشكر .

وإذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فخرج سفيان الثورى وهو يقول :

ـ ثلاث . . . وأى ثلاث .

* عابد صغير

قال سفيان الثورى :

تعبد شاب صغير من بنى تميم ، فكان يحيى الليل كله بالصلاة ، فقالت له أمه:

ـ يا بنى لو نمت شيئا

فقال لها :

ـ يا أماه : ما شئت ، إن شئت نمت اليوم ولا أنام غدا ، وإن شئت لم أنم اليوم لعلى أدرك النوم غدا مع المستريحين من عسر الحساب والآمنين من خوف العذاب .

قالت الأم :

ـ والله يا بنى لا أريد لك إلا راحة الآخرة ، والنجاة من أهوالها وشدائدها . والفوز بنعيمها . يا بنى راحة الآخرة أحب إلى لك من راحة الدنيا ، فدونك يا بنى فحالف السهر لعلك تنجو من عسر يوم الفزع الأكبر . . وما أخالك ناجيا .

فصرخ الشاب صرخة وخر ميتا بين يديها.

فاجتمع إليها نساء بنى تميم يعزونها فجعلت تقول :

ـ يا بنياه ، واقتيل يوم لا تملك نفس لنفس شيئا .

*** إياك والأمراء**

تقول أم سفيان :

كتب سفيان بن سعيد الثورى إلى عباد بن عباد

أما بعد

فإنك فى زمان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعوذون أن يدركوه ، ولهم من العلم ما ليس لنا ، ولهم من القدم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم ، وقلة صبر ، وقلة أعوان على الخير ، وفساد من الناس ، وكدر من الدنيا .

فعليك بالأمر الأول والتمسك به ، وعليك بالخمول فإن هذا زمن خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك ، والنجاة فى تركهم فيما نرى .

وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم فى شىء من الأشياء .

وإياك أن تخدع فيقال لك تشفع وتدرأ عن مظلوم ، أو ترد مظلمة ، فإن ذلك خديعة إبليس ، وإنما اتخذها القراء سلما وكان يقال : اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم فيه.

وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله ، أو يسمع من قوله، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه .

وإياك وحب الرياسة ، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة ، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة ، فتفقد نفسك ، واعمل بنية ، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهى الرجل أن يموت .

والسلام .

*** شيبتنى القيامة**

قال سفيان الثورى :

مر عيسى ابن مريم بامرأة تبكى على قبر فقال لها :

ـ على من تبكين ؟

قالت :

ـ على ولدى .

قال روح الله وكلمته :

ـ عليك بالصبر .

قالت :

ـ لا أملكه .

قال عيسى عليه السلام :

ـ فإن أحياه الله لك ونظرت إليه أتدعين ـ أتتركين ـ البكاء؟

قالت :

ـ نعم .

فدعى الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به استجاب والذى يحيى به الموتى، فانصدع القبر ، وقام ولدها وهو ينفض التراب عن رأسه فقالت المرأة :

ـ يا روح الله إن ابنى شاب وهذا شيخ

فسأله عيسى ابن مريم فقال الشاب :

ـ يا روح الله لما سمعت النداء ظننت أنها القيامة قد قامت فشاب رأسى

فقال روح الله وكلمته :

ـ ما وجدت فى قبرك ؟

قال :

ـ يا روح الله كنت حمالا ، فحملت ذات يوم لبعض الناس حطبا ، فأخذت منه شظية فتخللت ـ نظفت بها أسنانى ـ بها ، ورميت بها إلى الأرض ، فأول شيء سئلت عنه تلك الشظية .

* أصافح اليهود والنصارى ؟

قال رجل لسفيان الثورى :

ـ أصافح اليهود والنصارى ؟

قال سفيان :

ـ برجلك نعم .

* إذا سمعت الناقوس .

سأل رجل سفيان بن سعيد الثورى :

ـ أى شيء أقول إذا سمعت صوت الناقوس ـ جرس الكنيسة ـ ؟

قال سفيان الثورى :

ـ تقول : إذا ضرط الحمار .

* لا تنظر إليه .

مر سفيان بن سعيد ويحيى بن المتوكل برجل يبنى بناء قد شيده وزخرفه ، فقال سفيان بن سعيد ليحيى بن المتوكل :

ـ لا تنظر إليه .

فقال يحيى بن المتوكل :

ـ لم يا أبا عبد الله ؟

قال أبو عبد الله :

ـ إن هذا إنما بناه لينظر إليه ، ولو كان كل من يمر لم ينظر إليه لم يبن هذا البناء.

* دواء العارفين :

جاء رجل إلى سفيان الثورى وقال له :

ـ يا سفيان إنى أشكو مرض البعد عن الله

فقال له سفيان الثورى :

ـ عليك بعروق الإخلاص

وورق الصبر

وعصير التواضع

ضع ذلك فى إناء التقوى ، وصب عليه ماء الخشية

وأوقد عليه نار الحزن ، وصفه بمصفاة المراقبة

وتناوله بكف الصدق ، واشربه من كأس الاستغفار

وتمضمض بالورع ، وأبعد نفسك عن الحرص والطمع

تشفى من مرضك بإذن الله .

* مثل ضرب للناس على لسان ثعلب .

كان نفر عند سفيان الثورى فمر رجل من جند السلطان ، فجعل أبو عبد الله ينظر إليه وينظر إلى الجالسين معه ثم قال :

ـ يمر بكم المبتلى والمكفوف والزمنى الذين يؤجرون على بلائهم فتسألون الله العافية ، ويمر بكم هؤلاء ـ الجند ـ فلا تسألون الله العافية ؟

ثم نظر سفيان الثورى نحو على بن الحسن السليمى وقال له :

إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك ، فإنما يفسد عليك قلبك مجالسة أهل الدنيا،

وأهل الحرص ، وإخوان الشياطين الذين ينفقون أموالهم فى غير طاعة الله ، وإياك وما يفسد عليك دينك ، فإنما يفسد عليك دينك مجالسة ذوى الألسن المكثرين للكلام.

وإياك وما يفسد عليك معيشتك ، فإنما يفسد عليك معيشتك أهل الحرص وأهل الشهوات .

إياك ومجالسة أهل الجفاء ، ولا تصحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقى ، ولا تصحب الفاجر ولا تجالسه ولا تجالس من يجالسه ، ولا تواكله ولا تواكل من يواكله ، ولا تحب من يحبه ولا تفش إليه سرك ، ولا تبتسم فى وجهه ، ولا توسع له فى مجلسك ، فإن فعلت شيئا من ذلك فقد قطعت عرى الإسلام .

وإياك وأبواب السلطان ، وأبواب من يأتى أبوابهم ، وأبواب من يهو هواهم ، فإن فتنتهم مثل فتن الدجال ، فإن جاء منهم أحد فانظر إليه بوجه مكفهر ، ولا تبال منهم شيئا فيرون أنهم على الحق فتكون من أعوانهم ، فإنهم لا يخالطون أحدا إلا دنسوه ، وكن مثل الأترجة طيبة الريح طيبة الطعم ، لا تنازع أهل الدنيا فى دنياهم تكن محببا إلى الناس .

وإياك والمعصية فتستحق سخط الله ، وأعلم أنه لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام ، جبل الله تربته بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأكرمه بسجود ملائكته ، وأسكنه جنته ، فأخرجه منها بذنب واحد.

واعلم يا أخى أن الله تعالى لا يدخل أحدا الجنة بالمعاصى ، وأن داود عليه السلام خليفة الله فى الأرض نزل ما نزل به بخطيئة واحدة ، ولو أنا عملنا مثلها لقلنا ليست بخطيئة فاتق الله يا أخى واجتنب المعاصى وأهلها ، فإن أهل المعاصى استوجبوا من الله النقمة ، وكن مبذولا بمالك ونفسك لإخوانك ، ولا تغشهم فى السر والعلانية ، وابغض الجهال ومجالستهم ، والفجار وصحبتهم فإنه لا ينجو من جاورهم إلا من عصم الله .

وإذا كنت مع الناس فعليك بكثرة التبسم والبشاشة ، وإذا خلوت بنفسك فعليك بكثرة البكاء والهم والحزن ، فقد بلغنا والله أعلم أن أكثر ما يجد المؤمن يوم القيامة فى كتابه من الحسنات الهم والحزن .

وإياك وخشوع النفاق وأن تظهر على وجهك خشوعا ليس فى قلبك .

ثم تبسم أبو عبد الله وقال :

ـ لم أر للسلطان إلا مثلا ضرب على لسان ثعلب قال الثعلب : عرفت للكلب نيفا وسبعين دستانا ليس منها دستان خيرا من أن لا أرى الكلب لا يرانى .

ثم قال سفيان الثورى :

ـ ليس للسلطان خير من أن لا يراه ولا تراه .

*** لابد للناس من شرطى .**

بعد أن ولى شريك قضاء الكوفة لقيه سفيان الثورى فقال له :

ـ يا عبد الله بعد الإسلام والفقه والخير تلى القضاء وصرت قاضيا؟

قال شريك :

ـ يا أبا عبد الله لا بد للناس من قاض.

فقال له سفيان بن سعيد الثورى :

ـ لا بد للناس من شرطى .

*** حب الدنيا رأس كل خطيئة .**

قال أبو عبد الله :

قال عيسى عليه السلام :

ـ حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والمال فيه داء كثير .

قيل :

ـ يا روح الله : ما داؤه ؟

قال روح الله وكلمته :

ـ لا يؤدى حقه .

قالوا :

ـ فإن أدى حقه ؟

قال المسيح عليه السلام :

ـ لا يسلم من الفخر والخيلاء .

قالوا :

ـ فإن سلم من الفخر والخيلاء ؟

قال عيسى ابن مريم عليه السلام :

ـ يشغله استصلاحه عن ذكر الله .

*** لا تجادل أهل الخطايا .**

قال سفيان الثورى لعلى بن الحسن السليمى :

يا أخى لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة ، فإن أمامهم يومًا تزل فيه الأقدام ، وترعد فيه الأجسام ، وتتغير فيه الألوان ، ويطول فيه القيام ، ويشتد فيه الحساب ، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر ، فيا لها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات .

اجعل كسبك فيما يكون لك ، ولا تجعل كسبك فيما يكون عليك ، فإن الذى يقدم ماله ويعطى حق الله منه فماله له وأفضل منه ، والذى يخلف ما له ويضيع حق الله فماله وبال عليه يوم القيامة ، اكسب حلالا ، واجلس مع من كسبه من حلال ، وكل طعام من كسبه حلال ، وليكن أهل مشورتك من كسبه حلال ، فإن الورع ملاك الدين ، واستكمال أمر الآخرة .

واعلم أنه يا أخى لا يمتنع أحد عن الحرام إلا من هو مشفق على لحمه ودمه ، فإنما دينك لحمك ودمك ، فاجتنب الحرام ولا تجلس مع من يكسب الحرام ، ولا تأكل مع من كسبه من حرام ، ولا تدل أحدا على الحرام ولا تشيرون به إلى أحد فيأخذه ، ولا تورثه إلى أحد ، وانصح لكل بر وفاجر أن لا يأخذه ، فإن فعلت شيئا من ذلك فأنت عون له ، والعون شريك .

وإياك والظلم ، وأن تكون عونا للظالم ، وأن تصحبه أو تواكله أو تبتسم فى وجهه أو تنال منه شيئا ، فتكون عونا له والعون شريك ، ولا تخالفن أهل التقوى، ولا تخادن ـ الخدن : الصديق ـ أهل الخطايا ، ولا تجالس أهل المعاصى ، واجتنب المحارم كلها ، واتق أهلها .

وإياك والأهواء فإن أولها وآخرها باطل ، ولكل ذنب توبة ، وترك الذنب أيسر من طلب التوبة ، وأن الله غفور رحيم لأهل المعاصى ، رحيم للتوابين حليم ودود .

وإياك أن تزداد بحلمه عنك جرأة على المعصية ، فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة المؤمنون الآية : ٥١] ثم قال للمؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٢٧] ، ثم أجملها فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٦٨].

واعلم يا أخى أنه لم يرض لأنبيائه ولا للمؤمنين ولا للمشركين حراما ، ولا تتهاون بالذنب الصغير ولكن انظر من عصيت ؟ عصيت ربا عظيما يعاقب على الصغير، ويتجاوز عن الكبير ، إن أكيس الكيس من دخل الجنة بذنب عمله فنصبه بين عينيه ، ثم لم يزل حذار على نفسه من تلك الخطيئة حتى فارق الدنيا ودخل الجنة ، وأن أحمق الحمق من دخل النار بحسنة واحدة نصبها بين عينيه ولم يزل يذكرها ويرجو ثوابها ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار .

فكن يا أخى كيسا حذرا على ما زال منك ومضى ، لا تدرى ماذا يفعل بك ربك فيه وما بقى من عمر لا تدرى ماذا يحدث لك فيها ، فإن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [سورة إبراهيم الآية : ٣٥]، وقال يوسف عليه السلام ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف الآية : ١٠١] ، وقال موسى عليه السلام ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القصص الآية : ١٧] .

وقال شعيب : ﴿ ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ربنا ﴾ فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم ، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

* رابعة العدوية تعظ سفيان الثورى .

قال سفيان الثورى لأحد أصدقائه :

ـ هلم بنا إلى المؤدبة ـ يعنى رابعة العدوية ـ

فذهب جعفر بن سليمان وأبو عبد الله إلى رابعة العدوية ، فلما دخلا عليها رفع سفيان بن سعيد الثورى يديه وقال :

ـ اللهم إنى أسألك السلامة .

فلما سمعت رابعة العدوية هذا الدعاء بكت .

وتعجب أبو عبد الله من بكائها فسألها :

ـ ما يبكيك يا رابعة ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ أنت السبب . . لقد عرضتنى للبكاء ، أما علمت يا سفيان أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها ، فكيف وأنت متلطخ بها ؟

قال سفيان بن سعيد الثورى :

ـ واحزناه .

فقالت رابعة العدوية :

ـ لا تكذب . . . قل : واقلة حزناه ، لو كنت محزونا لما شغلت بالدنيا يا سفيان.

ثم قالت تعظه :

ـ يا سفيان إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل ، وأنت تعلم فاعمل .

ثم قالت :

ـ لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا

قيل لها :

ـ كيف ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ لأنها تفنى .

قيل لها :

ـ من أين أتيت ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ من العالم الآخر .

قال :

ـ وإلى أين أنت ذاهبة ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ إلى العالم الآخر .

قال :

ـ وماذا تفعلين فى هذه الدنيا ؟

قالت رابعة العدوية :

ـ آكل خبزها وأعمل للآخرة .

*** أعوان الظلمة**

وجاء رجل خياط إلى سفيان الثورى فقال له :

ـ إنى رجل أخيط ثياب السلطان ، هل أنا من أعوان الظَّلَمة ؟

قال سفيان الثورى :

ـ بل أنت من الظلمة أنفسهم

فقال الرجل :

ـ لماذا ؟

قال سفيان الثورى :

ـ لأن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط .

*** احفظ عنى ثلاثا**

قال سفيان الثورى لشعيب بن حرب :

ـ يا أبا صالح احفظ عنى ثلاثا : إن احتجت إلى شمع ـ كان يستعمل فى الإضاءة ليلا ـ فلا تسأل ، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل ، واعلم أن الخبز الذى تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجرى مجرى الإناء .

وكان أبو عبد الله كثير البكاء والجزع فقيل له :

ـ يا أبا عبد الله عليك بالرجاء ، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك .

فتساءل سفيان الثورى :

ـ أو على ذنوبى أبكى ؟ لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

وبينما كان سفيان الثورى يطوف حول الكعبة رأى رجلا متعلقا بأستارها وهو يقول:

ـ اللهم سلم سلم .

فقال أبو عبد الله :

ـ يا أخى ما قضيتك ؟

قال الرجل :

ـ كنا أربعة أخوة مسلمين ، فتوفى منا ثلاثة ، كل واحد يفتن عند موته ، ولم يبق إلا أنا ، فما أدرى بم يختم لى ؟

* فى بيت سفيان الثورى :

منذ أن بايع الناس المهدى خليفة ولم يبايعه أبو عبد الله صار كالصيد الذى يطارده الصياد ، لم يكن له بيت يأوى إليه ، كان دائم الترحال من بلد إلى بلد يستخفى من عيون الخليفة .

قال سفيان الثورى :

ـ إذا أردت أن يصح جسمك ، ويقل نومك ـ فتقوم الليل ـ ، فأقلل من الأكل .

وكان سفيان بن سعيد يشترى بنصف دانق ـ الدرهم ستة دوانق ـ لحما .

يقول الأصمعى :

وبلغنى أن سفيان الثورى يصنع غداءه وعشاءه رغيفين ، فإذا جاء السائل أعطاه نصف رغيف ، فإذا جاء بعد ذلك قال : الله يوسعكم .

وكان أبو عبد الله يقول :

ـ صابروا الأغنياء فى الطعام ، ما بين الشفة واللهاة ، فإنه إذا جاز ـ مر وعبر ـ ذلك لم يعرف لينه من خشنه .

*** بيت المقدس .. عسقلان .. مدينة رسول الله ﷺ**

قدم سفيان بن سعيد الثورى بيت المقدس فأقام ثلاثة أيام ، وصلى عند باب الرحمة ، وعند محراب داود عليه السلام ، ورابط بعسقلان أربعين يوما ، ثم خرج إلى المدينة ، وكان يخرج النفقة ويخرج معه أصحابه فيدفعها إلى رجل منهم لينفق عليهم ، وكان إذا وضعوا سفرتهم لم يرد أبو عبد الله أحدا من السؤال إلا أعطاه حتى لا يبقى شىء ، فكان بعض أصحابه إذا رآه يصنع ذلك يأخذ خبزه ويتنحى فيأكل .

*** فى الطائف .**

خرج إبراهيم بن أدهم وسفيان الثورى ، وإبراهيم بن طهمان إلى الطائف ومعهم سفرة فيها طعام ، فوضعوها ليأكلوا ، وإذا أعراب قريب منهم ، فناداهم إبراهيم بن طهمان :

ـ يا أخوتاه هلموا .

فقال لهم سفيان الثورى :

ـ يا أخوتاه مكانكم .

ثم قال أبو عبد الله لإبراهيم بن طهمان :

ـ خذ من هذا الطعام ما طابت به أنفسنا فاذهب به إليهم ، فإن شبعوا فالله أشبعهم، وإن لم يشبعوا فهو أعلم ، أخاف أن يجيئوا فيأكلوا طعامنا كله فتتغير نياتنا ويذهب أجرنا .

*** المال :**

جاء رجل إلى سفيان الثورى ببدرة أو بدرتين ـ البدرة : صرة بها مال ـ وكان جالسا معه مبارك بن سعيد ، وكان أبو ذاك الرجل صديقا لأبى عبد الله ، وكان يأتيه كثيرا .

قال الرجل :

ـ يا أبا عبد الله فى نفسك من أبى شىء ؟

قال سفيان الثورى :

ـ يرحم الله أباك ، كان وكان .

وراح يثنى عليه ، فقال الرجل :

ـ يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار إلى هذا المال ، فأنا أحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك .

فقبل سفيان بن سعيد الثورى ذلك المال .

ولما قام الرجل ، وهم بالخروج قال سفيان الثورى لمبارك بن سعيد :

ـ يا مبارك الحقه فرده .

فلحق مبارك بالرجل وقال له :

ـ يا ابن أخى أحب أن تأخذ هذا المال فرجع الرجل إلى أبى عبد الله وقال له:

ـ يا أبا عبد الله فى نفسك منه شىء ؟

قال سفيان الثورى :

ـ لا ولكن أحب أن تأخذه

فما زال بالرجل حتى أخذ ماله وذهب به ، فقال مبارك بن سعيد لأبى عبد الله :

ـ الله يا مبارك ، تأكلها هنيئا مريئا وأسأل أنا عنها ؟؟

*** مسجد سفيان**

دخل إياس بن عمرو بن يزيد بن عقال مسجد سفيان الثورى فقال :

ـ أبلغك يا أبا عبد الله أن قول : لا إله إلا الله عشر حسنات ؟ والحمد لله والله أكبر عشر .

قال أبو عبد الله :

ـ كذا أبلغنا

قال إياس بن عمرو :

ـ فما تقول فى من كسب ثلاثين ألف درهم من غير حقها ؟

ثم قال :

ـ أقعد وأسبح وأحمد وأكبر حتى أعمل من الحسنات بعدد هذه ؟

فقال سفيان الثورى :

ـ فليردها قبل ، فإنه لا يقبل له ذكر إلا بردها

وقال أبو عبد الله :

ـ كان أقوام يدعون إلى الحلال فلا يقبلونه ويقولون : نخاف منه على أنفسنا

* سفيان وبنت أم حسان الأسدية

تقول أم سفيان :

دخل سفيان الثورى على بنت حسان الأسدية وفى جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود وليس به خفاء فقال لها :

ـ يا بنت أم حسان ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله فرفعت إليه رقعة لعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحالة التى أراها بك؟

فدعت بمعجز ـ المعجز بالمكسر : ما تشده المرأة على رأسها ـ لها فاعتجزت به ، وقالت :

ـ يا سفيان لقد كان لك فى قلبى رجحان كثير أو كبير فقد ذهب الله برجحانك من قلبى ، يا سفيان تأمرنى أن أسأل الدنيا من لا يملكها ؟ وعزته وجلاله إنى لأستحى أن أسأله الدنيا وهو يملكها .

وكانت إذا جن عليها الليل دخلت محرابا وأغلقت عليها ثم نادت :

ـ الـهى خلا كل حبيب بحبيبه وأنا خالية بك يا محبوب ، فلما كان من سجن

تسجن به من عصاك إلا جهنم ، ولا عذاب النار .

ودخل عليها سفيان بعد ثلاث ليال فوجد الجوع قد أثر فى وجهها فقال لها :

ـ يا بنت أم حسان إنك لن تؤتى أكثر مما أوتى موسى والخضر عليهما السلام، إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها

فقالت بنت أم حسان :

ـ يا سفيان قل : الحمد لله

فقال أبو عبد الله :

ـ الحمد لله

فقالت بنت أم حسان :

ـ اعترفت له بالشكر ؟

قال سفيان :

ـ نعم

قالت بنت أم حسان :

ـ وجب عليك من معرفة الشكر شكر ، وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضى أبدا يقول سفيان الثورى :

ـ فقصر الله علمى وفسد لسانى ، وما أقوم بشكر كلما اعترفت له بنعمة وجب على بمعرفة النعمة شكر وبمعرفة الشكرين شكر .

وهب واقفا يريد الخروج فقالت بنت أم حسان :

ـ يا سفيان كفى بالمرء جهلا أن يعجب بعمله ، وكفى بالمرء علما أن يخشى الله ، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها فى الله همًّا واحدًا

قال سفيان الثورى :

ـ تقصرت والله إلى نفسى

* كان سفيان الثورى يتمثل بهذه الأبيت

أظريف أن العيش كـدر صـفوه ذكر المنية والقبور الهـــول
دنيا تداولها العباد ذمـــيمـة شيبت بأكره من نقيع الحنظل
وبنات دهر لا تزال معلمـــة ولها فجائع مثل وقع الجنـدل

ويتمثل :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثلــه وإنك لم ترصد كما كان أرصـدا

وكان سفيان يقول :

يسر الفتى ما كان قدم من تقــى إذا عرف الداء الــذى هو قاتلـه

وكان يتمثل :

سيكفيك عما أغلق الباب دونــه وضن به الأقوام مـلح وجردق
وتشرب من ماء الفرات وتغتدى تعارض أصحاب الثريـــد الملبق
تجشى إذا ما هم تجشوا كأنـــما ظللت بأنـــواع الخبيص تفتق

جاع سفيان الثورى جوعا شديدا ، وانصرمت ثلاثة أيام دون أن يأكل شيئا ، فمر بدار فيها عرس فدعته نفسه إلى أن يدخل ، فعصمه الله ومضى إلى بيت ابنته فأتته بقرص فأكله وشرب ماء فتجشى ثم قال :

سيكفيك عما أغلق الباب دونه وضن به الأقوام ملح وجردق

ثم أنشأ يقول :

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ماذا تجرع من بؤس وإقتــار
تراه يمشى كئيبا خائفا وجـــــلا إلى المساجد يمشى بين أطمار

ثم أقبل على نفسه فقال :

يا نفس ما لك من صبر على النار قد حان أن تقبلى من بعد إدبار

* سفيان الثورى ... والخليفة

لما استخلف المهدى بعث إلى سفيان بن سعيد الثورى فلما دخل عليه خلع خاتمه فرمى به إليه وقال :

- يا أبا عبد الله هذا خاتمى فاعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة

فأخذ أبو عبد الله خاتم أمير المؤمنين بيده وقال :

- هل تأذن فى الكلام يا أمير المؤمنين ؟

فقال أبو عبيد وزير أمير المؤمنين لعطاء بن مسلم كاتبه :

- يا أبا مخلد

فقال سفيان الثورى :

- يا أمير المؤمنين

قال المهدى :

- نعم

قال أبو عبد الله :

- أتكلم على أنى آمن ؟

قال أمير المؤمنين :

- نعم

قال سفيان الثورى :

- لا تبعث إلى حتى آتيك ، ولا تعطينى شيئا حتى أسألك

فغضب المهدى من ذلك وهم بأبى عبد الله فقال أبو مخلد كاتبه:

ـ أليس آمنته يا أمير المؤمنين ؟

قال المهدى :

ـ بلى

فلما خرج سفيان بن سعيد الثورى حف به أصحابه وقالوا :

ـ يا أبا عبد الله ما منعك وقد أمرك أن تعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة؟

فاستصغر عقولهم ، ثم خرج هاربا إلى البصرة

ولم يطب المقام بأبى عبد الله فراح ينتقل من بلد إلى بلد هربا من الخليفة وعيونه . . ولكنه وقع فى أيدى شرطة أمير المؤمنين

يقول سفيان الثورى :

ـ أدخلت على أمير المؤمنين بمنى فقلت له :

اتق الله إنما أنزلت هذه المنزلة وصرت فى هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعا ؟ حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر دينارا، وكان ينزل تحت شجرة

فقال أمير المؤمنين :

ـ أتريد أن أكون مثلك ؟

قال أبو عبد الله :

ـ لا تكون مثلى ، ولكن كن دون ما أنت فيه ، وفوق ما أنا فيه

فقال أمير المؤمنين :

ـ اخرج

فخرج سفيان الثورى وهو يعلم أن أبا جعفر لن يتركه ينعم بالأمن والراحة فقرر سفيان الثورى أن يقول له :

ـ ما تريد منى يا أبا جعفر ؟ قم من مقامك فغيرك أولى به منك

ولم يفلت سفيان الثورى من يد أبى جعفر فقد أدخل عليه ثانية بمنى فقال له:

ـ أيها الرجل طلبناك فأعجزتنا ، فالحمد لله الذى جاء بك ، فارفع إلينا حاجتك

فقال أبو عبد الله :

ـ قد ملأت الأرض ظلما وجورا ، فاتق الله وليكن منك فى ذلك عبرة

فطأطأ أمير المؤمنين رأسه ، ثم رفعه وقال :

ـ أرأيت إن لم أستطع رفعه

قال سفيان الثورى :

ـ تخليه وغيرك ـ قم من مقامك فغيرك أولى منك ـ

فطأطأ أمير المؤمنين رأسه ، فقال وزيره :

ـ أيها الرجل ارفع إلينا حاجتك

قال أبو عبد الله :

ـ وما أرفع ؟ هنا أمورا لا تطيقها الجبال

وطلب سفيان الثورى ، ولكنه هرب إلى اليمن

يقول سفيان الثورى :

ـ كنت أنزل فى حى ، وآوى فى مسجدهم ، فسرق فى ذلك الحى فاتهمونى فأتوا بى معن بن زائدة ـ عامل أبى جعفر على اليمن ـ وقد كتب إليه فى طلبى

فقيل لمعن بن زائدة لأبى عبد الله :

ـ لم سرقت متاعهم ؟

قال سفيان بن سعيد الثورى :

ـ ما سرقت شيئا

فقال معن بن زائدة لهم :

ـ تنحوا لأسأله

ثم أقبل على أبى عبد الله فقال له :

ـ ما اسمك ؟

قال سفيان بن سعيد :

ـ عبد الله بن عبد الرحمن

قال معن بن زائدة :

ـ يا عبد الله بن عبد الرحمن نشدتك الله لما نسبت لى نسبك ؟

قال أبو عبد الله :

ـ أنا سفيان بن سعيد بن مسروق

فهتف معن بن زائدة :

ـ الثورى ؟

قال سفيان بن سعيد :

– الثورى

قال معن بن زائدة :

ـ أنت بغية أمير المؤمنين ؟

قال سفيان الثورى :

ـ سترك الجميل الذى لم يزل ، سترك الجميل الذى لم يزل

*** وذهب سفيان الثورى إلى مكة ليؤدى مناسك الحج ، وبينما هو فى مسجد الخيف**

سمع مناديا ينادى :

من جاء بسفيان فله عشرة آلاف دينار وبينما كان سفيان الثورى والأوزاعى ، وإسحاق بن القاسم بمكة بعد المغرب دخل عليهم عبد الصمد بن على ـ أمير مكة ـ وسفيان يتوضأ وكان إبراهيم بن أعين يصب عليه الماء فقال أبو عبد الله :

ـ لا تنظر إلى أنا مبتلى

فسلم عبد الصمد على سفيان ، فسأله سفيان :

ـ من أنت ؟

قال أمير مكة :

ـ أنا عبد الصمد بن على

فقال أبو عبد الله :

ـ كيف أنت ؟ اتق الله ، وإذا كبرت فاسمع

* وقدم سفيان الثورى البصرة ، فصار فى بعض البساتين ، وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض العشارين ـ التجار ـ فقال له :

ـ من أنت يا شيخ ؟

قال سفيان الثورى :

ـ من أهل الكوفة

قال العشار :

ـ أخبرنى أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟

قال أبو عبد الله :

ـ أما رطب البصرة فلم أذقه ، ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو

فقال التاجر ـ العشار ـ :

ـ ما أكذبك من شيخ ، الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه ؟

فرجع التاجر إلى العامل فأخبره بما قال سفيان الثورى فقال :

ـ ثكلتك أمك، أدركه فإن كنت صادقا فإنه سفيان الثورى فخذه ـ السلطان يطلبه ـ لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدى

فرجع العشار فى طلب أبى عبد الله فلم يجده

* وأدخل سفيان الثورى على أمير المؤمنين المهدى فقال له :

ـ أبا عبد الله اصحبنى حتى أسير فيكم سيرة العمرين ـ عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ـ

قال سفيان الثورى وهو يشير نحو وزيره وكاتبه وبطانته :

ـ أما وهؤلاء جلساؤك فلا

فقال أمير المؤمنين :

ـ فإنك تكتب إلينا فى حوائجك فنقضيها

فقال سفيان بن سعيد الثورى فى عجب :

ـ والله ما كتبت إليك كتابا

وبعث أمير المؤمنين المهدى بكتاب يحمل الأمان إلى أبى عبد الله :

اخرج إلى أهلك فقد طالت غيبتك فألم بهم ، ثم الحق بالكوفة فإنى منتظرك حتى تجىء

كتب سفيان الثورى كتابا إلى أبى جعفر وبعثه مع جبر :ـ

طردتنى وشردتنى وخوفتنى ، والله بينى وبينك ، وأرجو أن يخير الله لى قبل رجوع الكتاب

ومرض المهدى ، ثم مات قبل أن يصل إليه كتاب أبى عبد الله

*** سفيان الثورى وهارون الرشيد**

قال هارون الرشيد لزوجته زبيدة :

ـ أتزوج عليك ؟

قالت زبيدة :

ـ لا يحل ذلك أن تتزوج على

قال أمير المؤمنين :

ـ بلى

قالت زبيدة :

ـ بينى وبينك من شئت

قال هارون الرشيد :

ـ ترضين بسفيان الثورى ؟

قالت زبيدة :

ـ نعم

فأرسل أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى أبى عبد الله ، فلما جاء قال هارون الرشيد:

ـ إن زبيدة تزعم أنه لا يحل أن أتزوج عليها وقد قال تعالى : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [سورة النساء الآية : ٣] .

ثم سكت هارون الرشيد ، فقال له سفيان الثورى :

ـ تمم الآية

يريد أن يقرأ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [سورة النساء الآية : ٣] .

وقال أبو عبد الله لأمير المؤمنين :

ـ وأنت لا تعدل

فأمر هارون الرشيد لسفيان الثورى بعشرة آلاف درهم ، فأبى أبو عبد الله أن يأخذها

* سفيان الثورى والقرآن

كان سفيان الثورى إذا قرأ القرآن تملكه البكاء ، وكان البكاء يمنعه من القراءة

مر سفيان الثورى وهو يصلى بهذه الآية ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [سورة المدثر الآية : ٨ ، ٩]

فخرج نادا ـ خرج كالجمل الأورق ـ فما لحقوه إلا فى الحمراء فردوه

قال سفيان الثورى :

ـ فجار القراء اتخذوا القرآن إلى الدنيا سلما ، قالوا : ندخل على الأمراء نفرج عن المكروب ونتكلم في محبوس

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥] .

فقال :

ـ لا يبولن ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحضن ولا يمنين ولا يبصقن

وقال سفيان الثورى :

ـ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٣] ، مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر .

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾[سورة البقرة الآية : ١٨٨] .

فقال :

ـ من أنفق الحرام فى الطاعة كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال .

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى :﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٦] .

فقال :

ـ آنستم منهم صلاحا فى العقل وحفظ المال

وكان سفيان الثورى إذا قرأ قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٧٤] .

قال :

يعنى محمدا ، وسماه برهانا لأن معه البرهان والمعجزة

فالمعجزات حجته ﷺ ; والنور المنزل هو القرآن

وسماه نورا لأن به تتبين الأحكام ، ويهتدى به من الضلالة ، فهو نور مبين ، أى واضح بين .

وسئل سفيان الثورى عن ﴿ الْمَوْقُوذَةُ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٣] .

فقال :

ـ الموقوذة هى التى ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية

قال عدى بن حاتم :

ـ يا رسول الله فإنى أرمى بالمعراض فأصيب

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ إذا رميت بالمعراض فخرق فكله ، وإن أصابه بعرضه فلا تأكله [رواه مسلم]

وقد اختلف العلماء قديما وحديثا فى الصيد بالبنادق والحجر والمعراض ، فمن ذهب أنه وقيذ ـ الوقذ : شدة الضرب ـ لم يجزء إلا ما أدرك ذكاته

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُون ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥٠] .

فقال :

ـ ليس لأحد أن يفضل بعض ولده على بعض

وكان سفيان الثورى إذا قرأ قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [سورة الفرقان الآية : ٦٠] يقول :

ـ إلـهى زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا

يقول سفيان الثورى :

ـ ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة السجدة الآية : ١٥] ، أى صلوا حمدا لربهم .

وسئل سفيان الثورى عن عبدين ابتلى أحدهما فصبر ، وأنعم على الآخر فشكر فقال أبو عبد الله :

ـ كلاهما سواء ، لأن الله تعالى أثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدًا ، فقال فى وصف أيوب : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص الآية : ٤٤] ، وقال فى وصف سليمان ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص الآية : ٣٠]

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿ ليغفر لك ما تقدم من ذنبك ﴾ [سورة الفتح الآية : ٢] فقال :

ـ ما علمته في الجاهلية من قبل أن يوحى إليك ـ الكلام لرسول الله ﷺ ـ

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [سورة الطور الآية : ٤٨] .

فقال :

- يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول : سبحان الله وبحمده ، أو سبحانك اللهم وبحمدك ، فإن كان المجلس خيرا ازددت ثناء وحسنا ، وإن كان غير ذلك كان كفارة له

ودليل هذا التأويل ما أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال :

- قال رسول الله ﷺ : من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلـه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان من مجلسه ذلك .

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [سورة الطارق الآية : ٢] فقال :

- كل ما فى القرآن [وما أدراك] ؟ فقد أخبره به ، وكل شىء قال فيه وما يدريك لم يخبره به - أى لم يخبر خاتم النبيين ﷺ -

وسئل سفيان الثورى عن الأمانة فقال :

- فى الحيضة والحمل وإن قالت : لم أحض وأنا حامل صدقت ، ما لم تأت بما يعرف فيه أنها كاذبة

قال سفيان الثورى :

- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى الآية : ١٤ - ١٥] إن ذلك فى صدقة الفطر وصلاة العيد .

وسئل سفيان بن سعيد الثورى عن قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [سورة الفجر الآية : ١٤].

فقال :

- لبالمرصاد يعنى جهنم عليها ثلاث قناطر ، قنطرة فيها الرحم ، وقنطرة فيها

الأمانة، وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى

وقال سفيان الثورى :

ـ ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[سورة الزلزلة الآية : ٥] ، يوم تكون الزلزلة ، وإخراج الأرض أثقالها ، تحدث الأرض أخبارها

وسئل سفيان الثورى عن معنى قوله تعالى ﴿ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[سورة الهمزة الآية : ١] .

فقال :

ـ يهمز بلسانه ويلمز بعينه

وسئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿آمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[سورة قريش الآية :٤] .

فقال :

ـ من خوف الجذام ، لا يصيبهم ببلدهم الجذام

يقول سفيان الثورى فى معنى ﴿الْكَوْثَرَ﴾ :.

ـ قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك ؟

قالت :

ـ بكوثر ، ـ أى بمال كثير ـ

والكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير

وسئل سفيان الثورى عن معنى ﴿ الصمد ﴾فقال :

ـ **الصمد** : الذى انتهى سؤدده فى أنواع الشرف والسؤدد

ومنه قول الشاعر :

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

*** من أقوال سفيان الثورى**

ـ ليس شىء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله ، ولا شىء يضاعف ثوابه من الكلام مثل الحمد لله

* لله قراء ، وللشيطان قراء ، وصنفان إذا صلحا صلح الناس : السلطان والقراء

* قيل لسفيان الثورى :

ـ أى شىء شر ؟

قال أبو عبد الله :

ـ اللهم غفرانك ، العلماء إذا فسدوا

* إذا أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقلل من الأكل

* قال سفيان الثورى :

ـ أتدرون ما تفسير : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟

لا يعطى أحد إلا ما أعطيت ، ولا بقى أحد إلا ما وقيت

* إنما سميت الدنيا لأنها دنية ، وسمى المال لأنه يميل بأهله

* البكاء عشرة أجزاء ، تسعة لغير الله ، وواحد لله ، فإذا جاء الذى لله فى السنة مرة فهو كثير

* من أحب أفخاذ النساء لم يفلح

* عليك بالقصد فى معيشتك ، وإياك أن تتشبه بالجبابرة ، وعليك بما لا يقرف من الطعام والشراب واللباس والمركب ، وليكن أهل مشورتك أهل التقوى وأهل الأمانة ومن يخشى الله عز وجل

* قال رجل لسفيان الثورى :

ـ طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله أو العمل ؟

قال أبو عبد الله :

ـ إنما يراد العلم للعمل ، لا تدع طلب العلم للعمل ، ولا تدع العمل لطلب العلم

* من أخذ من ظالم كراعا أو مالا أو سلاحا فغزا به فى سبيل الله ، لعن بكل قدم يرفعها ويضعها حتى يرجع

*** سئل سفيان الثورى :**

ـ ما الزهد فى الدنيا ؟

قال أبو عبد الله :

ـ سقوط المنزلة .

*** قال رجل لأبى عبد الله :**

ـ ما تقول فى رجل قصار إذا كسب درهما كان فيه ما يقوته ويقوت عياله ولم يدرك الصلاة فى جماعة ، وإذا كسب أربع دوانيق أدرك الصلاة فى جماعة ولم يكن فيه ما يقوته ويقوت عياله أيهما أفضل ؟

قال سفيان بن سعيد الثورى:

ـ يكسب الدرهم ويصلى وحده .

* لو أن اليقين استقر فى القلب كما ينبغى لطار فرحا وحزنا وشوقا إلى الجنة، أو خوفا من النار

* ما أعطى رجل من الدنيا شيئا إلا قيل له : خذه ومثله حزنا

قال سفيان الثورى لبكر العابد:

يا بكر خذ من الدنيا لبدنك ، ومن الآخرة لقلبك ـ يعد لبدنك ما لا بد لك منه ، ولقلبك أى اشغل قلبك بذكر الآخرة ـ

* عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا ، وعليك بالورع يخفف الله عنك

حسابك ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

* لا يحرز دين المرء إلا قبره

* لأن تدخل يدك فى فم التنين خير لك من أن ترفعها إلى ذى نعمة قد عالج الفقر

* ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلى الآخرة إلا مثل خروج الصبى من بطن أمه، من ذلك الغم إلى روح الدنيا

* الناس عندنا مؤمنون مسلمون ، ولكن لا ندرى ما هم عند الله تعالى ؟

* البدعة أحب إلى إبليس ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها

* إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء

قالوا :

ـ كيف ذاك يا عبد الله ؟

قال سفيان الثورى :

ـ يراهم يعملون بالمعاصى فلا يغير عليهم ويلقاهم بوجه طلق

* لا يكون للقراءة ملح يكون معها زهد

* إن الرجل ليستعير من السلاطين الدابة والسرج أو اللجام فيتغير قلبه لهم

* من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله

* لا خير فى القارئ يعظم أهل الدنيا .

* إذا كان الناسك جيرانه عنه راضوان فهو مداهن .

* الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

* سئل سفيان الثورى :

ـ بم عرفت ربك ؟

قال أبو عبد الله :

ـ بفسخ العزم ونقص الهمة

* بصر العينين من الدنيا ، وبصر القلب من الآخرة ، إن الرجل ليبصر بعينه فلا ينتفع ببصره وإذا أبصر بالقلب انتفع

* إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة

* إنما الأجر على قدر الصبر

* إنما مثل الدنيا مثل رغيف عليه عسل مر به ذباب جناحيه ، وإذا مر برغيف يابس مر به سليما

* سئل سفيان الثورى عن مسألة وهو يشترى شيئا فقال :

ـ دعنى فإن قلبى مع درهمى

* ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة

* خذ من الناس اليوم هذه الصفحة ولا تفتش عما وراء ذلك

* ما عالجت شيئا أشد على من نفسى

* الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم

* إذا اشتريت شيئا لا تريد أن تنيل جارك منه فواره

* من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار .

* من الناس من يقطع ويخيط ، ومنهم من يخيط ويقطع

وكان سفيان الثورى ممن يخيط ويقطع

* ما بسطت الدنيا على أحد إلا اغترارا ، وما زويت عنه إلا اختبارا

* سئل سفيان الثورى عن قوله تعالى ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ [سورة النساء الآية : ٢٨] ما ضعفه؟

قال أبو عبد الله :

ـ المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه من النظر إليها ، ولا هو ينتفع بها ، فأى شىء أضعف من هذا ؟

* انظر إلى درهمك من أين هو ؟ وصل فى الصف الأخير

* الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس ، وأول الزهد فى الناس زهدك فى نفسك

قيل لسفيان الثورى :

ـ إن شُرَيحًا قد استقضى ـ صار قاضيا ـ

قال سفيان الثورى :

ـ أى رجل قد أفسدوه

* لا نزال نتعلم العلم ما وجدنا من يعلمنا

* من ازداد علما ازداد وجعا

* إنما فضل العلم على غيره ليتقى الله به

* كان يقال أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع له وحفظه ، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه

* كان يقل حسن الأدب يطفئ غضب الرب عز وجل

* لولا أن للشيطان فيه نصيبا ، ما ازدحمتم عليه ـ يعنى العلم ـ

* ليس شىء أنفع للناس من الحديث

* إنما العلم بالآثار

* طلبت العلم ولم تكن لى نية ثم رزقنى الله النية

* ما من عمل أفضل من طلب الحديث

* مثل العالم مثل الطبيب لا يدفع الدواء إلا على موضع الداء

* إنما العلم عندنا الرخص

* ليس العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل

* كان المال فيما مضى يكره فأما اليوم فهو ترس المؤمن

* عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال

* رضى الناس غاية لا تدرك ، وطلب الدنيا غاية لا تدرك

* إنما سمى المال لأنه يميل القلوب

* ليس الزهد فى الدنيا بأكل الجشب - الغليظ - ولبس الخشن ، إنما الزهد فى الدنيا قصر الأمل

* الحلال لا يحتمل السرف

* احذر حب المنزلة فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة فى الدنيا

* إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لص ، فإذا رأيته يلوذ بباب الأغنياء فاعلم أنه مرائى

* اذا لم يكن لله فى العبد حاجة نبذه إليهم - يعنى السلاطين -

* ما أحسن تذلل الأغنياء عند الفقراء ، وما أقبح تذلل الفقراء عند الأغنياء

* أحب أن أكون فى موضع لا أعرف ولا أستذل

* إذا زهد العبد فى الدنيا أنبت الله الحكمة فى قلبه ، وأطلق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها

* إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك

* وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام

* إذا رأيت الرجل حريصا على أن يؤثم فأخره

* لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك

* ثلاثة من الصبر ، لا تحدث بمعصيتك ، ولا بوجعك ، ولا تزك نفسك

* اللهم سلم سلم ، اللهم سلمنا منها إلى خير ، اللهم ارزقنا العافية فى الدنيا والآخرة

* لو أن البهائم تعقل من الموت ما تعقلون ما أكلتم منها سمينا

* ترك الذنوب هو الدعاء

* من دعا وأنت تخاف أن يفسد عليك قلبك ودينك فلا تحبه

* كان سفيان الثورى إذا أكل قال : الحمد لله الذى كفانا المؤونة وأوسع علينا فى الرزق

* اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل

* كان سفيان الثورى إذا سئل عن شىء قال : لا أدرى

* من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار

*** سفيان بن سعيد الثورى ورواية الحديث عن النبى الخاتم ﷺ**

أسند سفيان بن سعيد الثورى عن جماعة من كبار التابعين ، وروى عن : الأعمش، ومنصور ، ومحمد بن المنكدر ، وعبد الله بن دينار ، وعمرو بن دينار ، فى خلق لا يحصون ، ومسانيده أكثر من أن تعد .

سلمى بنت خصفة

زوج الصحابى الجليل المثنى بن حارثة الشيبانى

كانت من فواضل نساء عصرها

*** سمعنا مقالتك يا أخا قريش**

يقول المثنى بن حارثة الشيبانى :

خرجت أنا ومفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والنعمان بن شريك فى موسم الحج ، وبينما كنا فى منى أقبل محمد ـ ﷺ ـ ومعه أبو بكر وعلى بن أبى طالب فسألنا أبو بكر :

ـ ممن القوم ؟

قلنا :

ـ من شيبان بن ثعلبة .

فالتفت الصديق إلى خاتم النبيين ﷺ وقال :

ـ بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر فى قومهم .

كان فيهم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

فقال أبو بكر لمفروق بن عمرو :

ـ كيف العدد فيكم ؟

فقال مفروق :

ـ إنا لنزيد عن الألف ولن تغلب الألف من قلة .

فقال الصديق :

ـ كيف المنعة فيكم ؟

قال مفروق بن عمرو :

ـ علينا الجهد ولكل قوم جد ـ حظ ـ

فتساءل ابن أبى قحافة :

ـ فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

قال مفروق بن عمرو :

ـ إنا لأشد ما يكون غضبا حين نلقى ، وإنا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله يديلنا ـ ينصرنا ـ مرة ويديل علينا مرة .

ثم تساءل مفروق بن عمرو :

ـ لعلك أخو قريش ؟

فقال الصديق :

ـ أو قد بلغكم أن رسول الله ﷺ فيها ؟

ثم التفت أبو بكر نحو المبعوث للناس كافة ﷺ وقال :

ـ هو ذا

فقال مفروق بن عمرو :

ـ بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلام تدعو يا أخا قريش ؟

فتقدم السراج المنير ﷺ وقال :

ـ أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تؤوونى وتنصرونى ، فإن قريشا تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد .

فعاد مفروق بن عمرو يتساءل :

ـ وإلام تدعو يا أخا قريش ؟

فراح إمام النبيين ﷺ يتلو : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٥١] .

فقال مفروق بن عمرو فى دهش :

ـ ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم عرفناه .

ثم قال مفروق بن عمرو :

ـ وإلام تدعو أيضا يا أخا العرب ؟

فتلا البشير النذير ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٠] .

فقال مفروق بن عمرو :

ـ دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك .

وأراد مفروق بن عمرو أن يشاركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال :

ـ هذا هانئ بن قبيصة وصاحب ديننا.

فقال هانئ بن قبيصة :

ـ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، وإنى أرى إن تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر .

وكأنه أراد أن يشاركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال :

ـ هذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا.

فقال المثنى بن حارثة :

ـ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، الجواب هو جواب هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى أنهار كسرى فعلنا ، فإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وأن لا نؤوى محدثا ، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعونا إليه أنت ، هو مما تكرهه الملوك .

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويعرسكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه .

فقال النعمان بن شريك :

ـ اللهم لك ذا .

*** إسلامه**

أسلم المثنى بن حارثة فى السنة التاسعة من الهجرة فقد كان أحد أفراد وفد بنى شيبان الذين جاءوا إلى مدينة رسول الله ﷺ وبايعوه ولما رجع إلى أهله أسلمت زوجه سلمى بنت خصفة

*** أمرنى على قومى .**

لما استخلف الصديق قدم المثنى بن حارثة الشيبانى وقال له :

ـ يا خليفة رسول الله إن فى قومى إسلاما كثيرا فأمرنى عليهم حتى أجاهد أعداء الله من فارس وأكفيك ناحيتى .

فعقد له الخليفة الأول لواء على قومه ، وكانت منازل بنى شيبان فى حدود الصحراء مما يلى سواد العراق .

ورجع المثنى بن حارثة إلى قومه فجمعهم ودعاهم إلى الجهاد فاستجابوا له فأخذ يغير بهم على أطراف السواد وأسفل الفرات وهو فى كل غارة يروع الفرس ويقتل بعضهم ويصيب مغنما ، حتى أثار الاضطراب بين أهل السواد ونشر الرعب في نفوسهم .

ولما ولى الخليفة الأول خالد بن الوليد حرب العراق ضم إليه المثنى بن حارثة

*** مع خالد بن الوليد**

أصبح المثنى بن حارثة ذراع خالد بن الوليد اليمنى فى جميع معاركه الحربية فقد كان المثنى شجاعا بطلا حسن الرأى والإمارة .

ولما سار خالد إلى الشام استخلف المثنى بن حارثة على من هناك من الجنود بالعراق.

*** واقعة بابل**

علم المثنى بن حارثة أن الفرس سيروا إليه جيشا ضخما قائده هرمز جازويه فلقيه المثنى بن حارثة ، وكان مع الفرس فيل ألقى الرعب فى خيل المسلمين فعمد المثنى وجماعة من المسلمين فقتلوا الفيل وهزموا الفرس .

*** قرار خطير**

لما ارتدت العرب إثر وفاة خاتم النبيين ﷺ: اتخذ أبو بكر قرارا بحرمان الذين ارتدوا ثم عادوا إلى الإسلام من الجهاد فى سبيل الله وكان عدد هؤلاء عشرات الألوف فانطلق المثنى بن حارثة إلى المدينة فوجد الناس يبايعون الفاروق .

وأخذ أمير المؤمنين عمر برأى المثنى بن حارثة فى مسألة العائدين إلى الإسلام من المرتدين فأذن لهم الفاروق بالعودة إلى الجهاد فى سبيل الله .

وأبلى المثنى بن حارثة فى حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد .

* **وفاته :**

مات المثنى بن حارثة الشيبانى سنة أربع عشرة من الهجرة قبل موقعة القادسية .

* **زواج سلمى سعد بن أبى وقاص**

لما انقضت عدة سلمى بنت خصفة تزوجها الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص

* **أبو محجن الثقفى**

كان أبو محجن شاعرا فى الجاهلية وكان يشرب الخمر ، ثم أسلم

وذات ليلة قبض عليه عسس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يتمايل من السكر فساقوه إلى الفاروق ومعه بعض ندمائه

فسألهم عمر :

ـ أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

قال أبو محجن :

ـ كيف حرمها يا أمير المؤمنين وهو يقول ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة المائدة الآية : ٩٣].

فأرسل عمر إلى أبى الحسن ، فلما جاء على بن أبى طالب وعلم ما حدث قال:

ـ لو كان القصد من الآية ما فهمه الثقفى ـ يعنى أبا محجن ـ وندماؤه لساغ لهم أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير ، وأرى أن يقتلوا إن كانوا قد شربوها مستحلين ـ الحكم الشرعى يقول : من استحل حكما معلوما تحريمه من الدين بالضرورة يقتل كفرا ـ وأن يحدوا ـ يقام عليهم الحد ـ إن كانوا قد شربوها معتقدين حرمتها

فسألهم أمير المؤمنين عمر فقالوا :

ـ والله ما شككنا فى أنها حرام

فجعل الفاروق يجلدهم واحدا واحدا

ولما انتهى إلى أبى محجن قال :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ولست على الصهباء يوما بصابر

الصهباء : الخمر

فقال عمر بن الخطاب :

ـ أبديت ما فى نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك

فقال على بن أبى طالب :

ـ ليس ذلك إليك يا عمر ، وما يجوز أن تعاقب رجلا قال سأفعل ولم يفعل

ولكن أبا محجن الثقفى لم يقلع عن شرب الخمر

كما لم يقلع الفاروق عن جلده كلما شرب

ولما أعيا أمير المؤمنين عمر أمر أبى محجن وعجز عن إصلاحه قال له :

ـ لا تساكننى فى بلد أنا فيها

وأمر بنفيه

وحدث أبو محجن الثقفى نفسه فقال :

ـ لم يعد لى مقام بالحجاز ما كان فيه عمر

ثم فر إلى العراق

فلما علم عمر بذلك بعث إلى سعد بن أبى وقاص يأمر بحبس أبى محجن الثقفى حين يفد ، فحبسه سعد ووضع القيد فى قدميه

*** يوم القادسية**

وقف سعد بن أبى وقاص فوق قصره يوم أرماث ـ أول يوم من أيام القادسية ـ فقد أصيب بالدمامل وعرق النساء فمنعه ذلك أن يركب فرسا أو راحلة ولا يجلس فأشرف على جيش المسلمين من القصر وفى صدره وسادة أكب عليها وأخذ يرمى بالرقاع فيها

أمره ونهيه إلى أمراء جيشه

وقيل :

شهدت سلمى بنت خصفة القتال مع سعد بن أبى وقاص يوم القادسية ، ولما كان يوم أرماث جال المسلمون وكان سعد لا يطيق جلسة إلا مستوخزا أو على بطنه فجعل يتململ ويحول جزعا فوق قصر العذيْب ، فلما رأت سلمى ما يصنع أهل فارس قالت:

ـ وا مثيناه ولا مثنى للخيل اليوم

وهى عند رجل ـ سعد بن أبى وقاص ـ وقد أضجره ما يرى من أصحابه وفى نفسه ـ كان مصابا بالدمامل وعرق النساء ـ فلطمها سعد على وجهها وقال :

ـ أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى ـ يعنى قبيلة أسد وعاصم بن عمرو ـ فقالت سلمى :

ـ أغيرة وجبنا ؟

قال سعد بن أبى وقاص :

ـ والله لا يعذرنى أحد إذ أنت لم تعذرينى وأنت ترين ما بى والناس أحق ألا يعذرونى فتعلقها الناس

فلما ظهر المسلمون على الفرس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم

ولما اشتد القتال وكان أبو محجن فى محبسه وقيده أتى سلمى بنت خصفة وقال :

ـ يا سلمى بنت خصفة هل لك إلى خير ؟

قالت سلمى بنت خصفة:

ـ وما ذاك ؟

قال أبو محجن الثقفى :

- تخلين عنى وتعيرينى البلقاء - فرس سعد بن أبى وقاص - فلله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى

فأبت سلمى بنت خصفة وقالت :

- وما أنا وذاك

فرجع عبد الله بن حبيب بن عمير بن عوف الثقفى يرسف فى قيده ويقول :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا وأترك مشدودا عـــلى وثاقيا
إذ اقمت عنانى الحديد وأغلقت مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخـــوة فقد تركونى واحدا لا أخاليـا
ولله عهد لا أخيس بعهـــــده لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فرقت سلمى بنت خصفة واستخارت الله عز وجل .. ثم قالت له :

- إنى استخرت الله ورضيت بعهدك

وأطلقت أبا محجن الثقفى

ثم قالت :

- أما الفرس - البلقاء - فلا أعيرها

ورجعت سلمى بنت خصفة إلى بيتها

فاقتاد عبد الله بن حبيب البلقاء وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها، ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة جيش الفرس يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ثم رجع مع من خلف جيش المسلمين فكبر وحمل على ميمنة جيش الفرس

وتعجب المسلمون منه وهم لا يعرفونه فقال بعضهم :

- هو من أصحاب هاشم نفسه

وجعل سعد بن أبى وقاص يقول وهو مكب من فوق قصره :

ـ والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء

وقال بعض المسلمين :

ـ إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر

وقال بعضهم :

ـ لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا إنه ملك

فلما انتصف الليل حاجز أهل الفرس وتراجع المسلمون

وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع نفسه فى المحبس وأعاد رجليه فى قيديه وقال:

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفـــا
وأكثرهم دروعا سابغـــات ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنا وفدهم فى كل يـــوم ... فإن عميوا فسل بهم عريفـا
وليلة قادس لم يشعروا بى ... ولم أشعر بمخرجى الزحوفا
فإن أحبس فذلكم بـلائـــى ... وإن أترك أذيقهم الحتوفـــا

قالت سلمى بنت خصفة :

ـ يا أبا محجن : فى أى شىء حبسك هذا الرجل ـ تعنى سعدا ـ ؟

قال عبد الله بن حبيب :

ـ أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى يبعثه على شفتى أحيانا فيساء لذلك ثنائى ولذلك حبسنى وذلك أنى قلت :

إذا مت فادفنونى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تـدفـننى بالفــلاة فإننـــــى أخـــاف إذا مـت أن لا أذوقهـــا
وتروى بخمر الحصن لحدى فإننى أسير لها من بعد ماقد أسوقهـــا

ولم تزل سلمى بنت خصفة مغاضبة لسعد بن أبى وقاص عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن

فدعا سعد بن أبى وقاص عبد الله بن حبيب فأطلقه وقال له :

- اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله

فقال أبو محجن الثقفى :

- لا جرم والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدا

*** وفاة سلمى بنت خصفة**

توفيت سلمى بنت خصفة سنة ستين للهجرة

أم مسعر بن كدام

عابدة من عابدات الكوفة انقطعت للعبادة والتبتل

كانت ذات صلاح ودين وزهد فكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها ويتبركون بها

والدة الزاهد العابد أفضل عباد أهل العراق أبى سلمة

يقول محمد بن سعد :

كان لمسعر أم عابدة فكان يحمل لها لبدا ويمشى معها حتى يدخلها المسجد فيبسط لها اللبد فتقوم فتصلى

ويتقدم هو إلى مقدم المسجد فيصلى ثم يقعد فيجتمع إليه من يريده فيحدثهم

ثم ينصرف إلى أمه فيحمل لبدها وينصرف معها

*** الجنة والنار**

تقول أم مسعر بن كدام :

قال أبو سلمة :

إن الجنة والنار لقيا السمع من بنى آدم ، فإذا قال العبد :

ـ اللهم إنى أسألك الجنة

قالت الجنة :

ـ اللهم بلغه

وإذا قال :

ـ اللهم إنى أعوذ بك من النار

قالت النار :

ـ اللهم أعذه

فإذا لم يذكرهما قالت الملائكة :

ـ أغفلوا العظيمين

* حبك قتلنى

تقول أم أبى سلمة :

خرجت مع مسعر إلى مكة فرأى فى الطواف ولهان الجنون وهو يقول:

حبك قتلنى وشوقك أيقظنى

فعدمت قلبا يحب غيرك

وثكلت ـ الثكل : فقدان المرأة ولدها ـ خواطر أنست بسواك

ورأى أبو سلمة فى الطواف رجلا لا يزيد على قوله :

إلـهى قضيت حوائج المحتاجين وحاجتى لم تقض

* هو ديوان العرب

تقول أم مسعر

جاء شيخ من الأعراب له سن يتوكأ على عصا مسعر بن كدام فوجده يصلى، فأطال مسعر الصلاة ، فأعيا الشيخ فجلس ، فلما فرغ أبو سلمة من صلاته قال الشيخ :

ـ خذ من الصلاة كفيلا

قال مسعر بن كدام :

ـ اقصد لما يبقى عليك نفعه ، كم بلغت من السنين ؟

قال الشيخ :

ـ قد أتى على مائة سنة وتضع عشرا

قال أبو سلمة :

ـ فى بعض هذا ما كفاك واعظا فانظر لنفسك

فقال الشيخ :

أحب اللواتى فى صباهن غرة وفيهن عن أزواجهن طماح

مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح

قال مسعر بن كدام :

ـ أفيك لهذا فضل ؟

فقال الأعرابى :

ـ والله ما بأخيك ناهض منذ أربعين بريده

فتبسم أبو سلمة وقال :

ـ الشعر حسن وقبيح وهو ديوان العرب

*** صف لى ما يزيد فى صبرى**

تقول أم أبى سلمة :

رأى مسعر بن كدام رجلا على رأس جبل كأنه شن ـ الشن : القربة القديمة البالية الصغيرة ـ بال شاخصا ببصره نحو السماء ، لا يفتر عن الذكر ، فسأله المقام معه فقال :

ـ إن أطقت ما طوقت فأقم وإلا فامض عنى

فتساءل مسعر بن كدام

ـ وما هو ؟

قال :

ـ يكون الذهب والفضة عندك كالحصى والمدر ـ المدرة : القرية ـ والسباع والهوام كالطير والأنعام ، وخوفك من جنسك كخوفك من السباع ، وخوفك من صحبتهم

على دينك كخوفك من الشيطان ، فلعلك تنال ما تريد ، ومتى كان الذهب والفضة أكبر فى قلبك فإنك ستميل إلى الأكبر ، ومتى هبت السباع أوشكت أن تبعد إلى الأمن ، ومتى أنست بالمخلوقين أوشكت أن تهرب من الوحشة

وثلاثة أشياء هن تمام الأمر :

فقال أبو سلمة :

ـ وما هن ؟

قال :

ـ أن تعلم أنك مبتلى لا محالة ، وأن لك رزقا مقسوما ، وكذلك أجلاً معلومًا ، وأن تقصر الأمل .

فهناك لا تبالى أين حللت من البلاد ، ولا من شاهدت من العباد ؟

قال مسعر بن كدام :

ـ صف لى ما يزيد من صبرى

قال :

ـ تعلم ـ اعلم ـ أن الله عز وجل ناظر إليك

فقد روى فى بعض الأخبار : بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى ، وما يكابد المكابدون فى طلب مرضاتى ، فإذا علمت أن صبرك يُرضى مولاك صبرت

فقال أبو سلمة :

ـ فما معنى الرضا ؟

قال :

ـ سرور القلب بمر القضاء

ثم قال :

ـ لا تنم إلا نوع اليقظان ، وكيف يأمن من لم يأته الأمان ؟ وبادر قبل الفوت ، واستعن على تصفية الطعمة ـ جهة الارتزاق والمكسب ـ بالقلة ، والتمس الصمت بقلة الخلطاء ، واتبع قول رسول الله ﷺ وقول السلف ، ولا تميلن إلى محدثات الأمور ، فكل محدثة بدعة .

واعلم أن الله يراك فاتقه ، وقم له بالقسط على نفسك ، وتفرد بالفرد ـ الواحد الأحد ـ إذا كنت له عابدا ، وتجرد من الهموم الشاغلة ، واجعل الهم واحدا تروح ـ روحه أراحه ، وروح قلبه : أنعشه ـ في العاجلة والآجلة

*** ما ضاع عرف وإن أوليته حجرا**

قال مسعر بن كدام :

اقبل من الدهر ما أتاك به ... واصبر لريب الزمان إن عثرا

ما لامرئ فوق ما يجرى القضاء به ... فالهم فضل وخير الناس من صبرا

يا رب ساع له فى سعية أمل ... يفنى ولم يقض من تأميله وطرا

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ... ولن ترى قانعًا ما عاش مفتقرا

والعرف من يأته يحمد عواقبه ... ما ضاع عرف وإن أوليته حجرا

*** إن لنا قرابة وحقا**

تقول أم مسعر :

دعا أمير المؤمنين أبو جعفر مسعر بن كدام ، فلما دخل عليه قال :

ـ يا مسعر : ما بدا لنا من أن نستعين بك على بعض أعمالنا

فقال أبو سلمة:

ـ أصلح الله أمير المؤمنين ، إن أهلى ليريد وننى على أن أشترى الشيء بدرهمين فأقول : أعطونى أشترى لكم ، فيقولون : لا والله ما نرضى اشتراءك ، فأهلى لا يرضون أن أشترى الشيء بدرهمين ، وأمير المؤمنين يولينى ، أصلحك الله إن لنا قرابة وحقا وقد قال الشاعر :

تشاركنا قريش فى تقاهـــا وفى أحسابها شرك العنان

فما ولدت نساء بنى هلال وما ولدت نساء بنى أبـان

فقال أمير المؤمنين أبو جعفر :

- ايم الله ما لنا فى العرب قرابة أحب إلينا منها - كانت أمه أم الفضل الهلالية - فأعفاه

وقيل :

بعث أمير المؤمنين أبو جعفر إلى أبى سلمة ليوليه فقال :

- والله يا أمير المؤمنين ما أرضى أن أشترى لأهلى حوائج بدرهم حتى أستعين بغيرى ، فكيف أعينك فى عملك وأنا إلى غير ذلك أحوج منك أن تصل قرابتى ورحمى

فقد قال نابغة بن جعدة :

وشاركنا قريشا فى تقاهـــا وفى أنسابها شرك العنان

فما ولدت نساء بنى هلال وما ولدت نساء بنى أبان

فأعطى أمير المؤمنين أبو جعفر مسعر بن كدام أربعة آلاف درهم وكساه ولم يزل يصله ويتعهده

*** مسعر بن كدام ينصح ابنه كدام**

تقول أم أبى مسلمة :

قال مسعر بن كدام لابنه كدام :

إنى منحتك يا كدام نصيحتى فاسمع مقال أب عليك شفيق

أما المزاحمة والمراء فدعهمـــا خلقان لا أرضاهما لصديـــق

إنى بلوتهما فلم أحمدهمـــا لمجاور جار ولا لــــرفيـــق

والجهل يزرى بالفتى فى قومه وعروقه فى الناس أى عروق

*** من عادى لى وليا**

قال مسعر : قال الصادق المصدوق ﷺ عن ربه عز وجل :

من عادى لى وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه [رواه البخارى عن أبى هريرة] .

*** لعل عمله رد عليه**

كان أبو سلمة فى البصرة ذات يوم فرأى امرأة سوداء والناس مجتمعون عليها ، ثم قامت فدخلت دارا ، فدخلوا معها وأحدقوا بها

فدنا مسعر بن كدام منها وقال :

ـ يا هذه : أما تخافين العجب ـ الزهو والتكبر والخيلاء ـ ؟

فرفعت رأسها ونظرت إليه ثم قالت :

ـ كيف يعجب بعمله من لا يدرى لعله قد رد عليه ؟

*** من أقوال مسعر بن كدام**

قال أبو سلمة :

* التدليس دناءة

* قيل لمسعر بن كدام :

ـ تحدث فلانا ولا تحدثنا ؟

قال أبو سلمة :

ـ يخف على أن أحدث واحدا وأدع الآخر

* والله ما أدرى كيف أصنع بالرجلين ؟ يأتيانى ، يخف على حديث أحدهما ويثقل على حديث الآخر

* العلم شرف الأحساب ، يرفع الخسيس فى نسبه ، ومن قعد به حسبه نهض به أدبه

* من طلب العلم لنفسه اكتفى ، وإن طلبت الناس فأنت فى شغل شاغل

* من أراد هذا العلم لنفسه فليقل منه ، ومن طلبه للناس فليكثر فإن مؤنتهم شديدة

* من أراد الحديث للناس فليجتهد فإن بلاءهم شديد ، ومن أراده لنفسه فقد اكتفى

* وددت أن الحديث كانت قوارير على رأسى فسقط فتكسرت

* من أبغضنى - كرهنى - جعله الله - محدثا - محدثنا -

* ما أعلم حلالا لا شك فيه إلا أن يرد رجل الفرات فيشرب بكفه ، أو أخ لك صالح تهدى لك هدية

* قال محمد بن الصباح :

- قلت لمسعر : تحب أن يهدى إليك عيوبك ؟

قال أبو سلمة :

- أما من ناصح فنعم ، وأما من موبخ فلا

* لأن ينزع ضرسى أحب إلى من أن أسأل عن حديث

* قدمت مكة وبها الزهرى فميلت بين لقائه والطواف فاخترت الطواف عن لقائه

* ما جاوزت المسجد - يعنى فى طلب الحديث -

* الإيمان قول وعمل

*** الإيمان يزيد وينقص**

*** التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة**

*** من صبر على الخل والبقل لم يستعبد ـ لا يُستعبد من السلاطين ـ**

وجدت الجوع يطرده رغيف وملء الكف من ماء الفرات

وقل الطعم عونٌ للصلـــى وكثر الطعم عون للسبـــات

السبات : النوم ، وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [سورة النبأ الآية : ٩] .

*** إنى أشتهى أن أسمع صوت نائحة حزينة**

لئن يلب القرناء أن يتفرقوا ليلا يسكر عليهم ونهار

وكان مسعر بن كدام يكثر أن يتمثل بهذه الأبيات فى جنازة :

وتحدث روعات لدى كل فزعة ونسرع نسيـــــانا ولم يأتنا أمنا

فأنا ولا كفـــران لله ربـــنا كما البدن لا ندرى متى يومها البدن

ومشيـد دارا ليسكـــن داره سكن القبـور وداره لم يســـكن

ولم أر كالدنيا اغتر أهـــلها ولا كاليقين استوحـش الدهر صاحبه

ولا كالذى يخشى المليك عباده من الموت خاف البؤس أونا هاربـه

*** مسعر بن كدام وأحاديث رسول الله ﷺ**

أسند مسعر بن كدام عن غير واحد من أعلام التابعين فمن روى عنهم ممن وافق اسمه اسم المصطفى ﷺ محمد بن عبد الله أبى عون التقى سمع جابر بن سمرة ومحمد بن حاطب .

* قال محمد بن جعفر عن جعفر بن محمد الصائغ عن محمد بن سابق عن مسعر ابن كدام عن حبيب بن أبىَ ثابت عن طاوس عن ابن عمر قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **صلاة الليل مثنى مثنى ، وإذا خفت الصبح فركعة ـ**

فصل واحدة وسجدتين قبل الصبح [رواه البيهقى فى شعب الإيمان ، وأبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن عمر]

* قال محمد بن الحسن بن يزيد عن هرمز المعدل التسترى عن يعقوب بن روح عن الحسن بن يزيد الجصاص عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر بن كدام عن حميد بن سعد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، فقيل لى : يا محمد : اشفع فأخرج من أحببت من أمتك ـ من النار ـ

قال رسول ﷺ :

ـ فشفاعتى يومئذ محرمة على رجل لقى الله بشتمة رجل من أصحابى [رواه أبو نعيم فى الحلية] .

* قال أبو بكر محمد بن حميد القطان عن عبيد بن خالد عن عطاء بن مسلم عن خالد الحذاء عن عبد الله بن المغيرة عن مسعر عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال: اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك [رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية ، وقال المناوى فى الفيض ١٠٧/٢ : أبو زرعة العراقى من إملائه هذا حديث ضعيف] .

* قال القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم عن محمد بن إبراهيم بن شبيب عن إسماعيل بن عمرو عن مسعر بن كدام عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية (رواه ابن المبارك ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود)

* قال عبد الله بن الحسين بن بالويه الصوفى عن محمد بن الحسين بن نهشل البلخى عن أبى عن جعفر بن محمد عن عبد الرحيم بن سليمان عن مسعر بن كدام عن سعيد بن أبى برزة عن أبيه عن ابن عمر قال :

قال رسول الله ﷺ : **من سقى والده شربة ماء فى صغره سقاه الله سبعين شربة من ماء الكوثر يوم القيامة** (رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر)

* قال أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن موسى السهمى عن عبد الله بن محمد بن مسلم عن أبى عمر عبد الحميد بن محمد المستهام عن مخلد بن يزيد عن مسعر بن كدام عن سيار أبى الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ : **اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصًا ولا تزداد منهم إلا بعدًا** (رواه الحاكم فى المستدرك ، وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود)

* قال محمد بن عمر بن سالم الحافظ عن الحسن بن سعيد الثعلبى عن يحيى بن غيلان عن عبد الله بن بزيع عن مسعر بن كدام عن سلمة بن كهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **خياركم أحسنكم قضاء** (رواه الترمذى ، والنسائى عن ابن مسعود)

* قال محمد بن عمر بن سالم عن أحمد بن زياد بن قادم بن عجلان عن يحيى بن زكريا بن شيبان عن على بن قادم عن مسعر عن أبى إسحاق عن الأحوص عن ابن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ : **من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى** (رواه الإمام أحمد ، وأخرجه البخارى كتاب التعبير باب من رأى النبى ﷺ فى المنام ، والترمذي)

* قال سليمان بن أحمد عن المقدام بن داود عن عبد الله بن محمد بن المغيرة عن مسعر بن كدام عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يبايعه عن الهجرة وكان قد أسلم فقال :

تركت أبواى يبكيان

فقال نبى الرحمة ﷺ:

ـ ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما (رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والنسائى ، وأبو داود ، والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان فى صحيحه)

* قال أبو محمد عبد الرحمن الجرجانى عن عبد الله بن مسلم عن الفضل بن الحكم عن محمد بن سعيد عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر بن كدام عن عطية عن أبى سعيد الخضرى قال :

قال رسول الله ﷺ : من غدا وراح وهو فى تعليم دينه فهو فى الجنة (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى سعيد)

* قال أبو بكر محمد بن حميد عن أحمد بن إسحاق بن بهلول عن محمد بن يحيى عن محمد بن على عن محمد بن محمد بن بدر عن على بن جميل عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عطية عن أبى سعيد قال :

قال رسول الله ﷺ : ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى إلا بإذن جاءنى به جبريل من الله عز وجل (رواه ابن عساكر ، وابن نعيم فى الحلية ، وقال ابن عدى فى الكامل : باطل بهذا الإسناد)

* قال إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى النيسابورى فى جمعة عن محمد بن إسحاق الثقفى عن أبى معمر صالح بن حرب عن اسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله ﷺ : من ترك صلاة متعمدًا كُتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها (رواه أبو نعيم فى الحلية)

* قال أبو نصر محمد بن أحمد بن إبراهيم الجرجانى عن أبى القاسم بن عبيد القاضى عن عبد الله بن قريش عن بشر بن الرثد عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال :

قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يستحى من عبده إذا صلى فى جماعة ثم سأل حاجته أن ينصرف حتى يقضيها (رواه ابن النجار ، وأبو نعيم فى الحلية عن أبى

سعيد الخدرى)

* قال محمد بن لحس اليقطينى عن محمد بن سليمان عن محمد بن حميد عن جرير عن مسعر عن أبى سعيد قال :

قال رسول الله ﷺ : **إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال له الملك : هديت وكفيت وعفيت ، فيتنحى له الشيطان ، فيقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟** (أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب ما يقول إذا خرج من بيته ، والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، وأبو نعيم فى الحلية)

قال بيان بن حمد بن بيان البرتى عن جعفر بن مجاشع عن حمدون بن عباد عن يحيى بن هاشم عن مسعر بن كدام عن قتادة عن أنس قال :

قال رسول الله ﷺ : **عند كل ختمة ـ ختمة القرآن ـ دعوة مستجابة** (رواه ابن عساكر وأبو نعيم فى الحلية عن أنس)

وقال أنس :

كان النبى ﷺ إذا ختم ـ القرآن ـ جمع أهله ودعا (رواه أبو نعيم فى الحلية)

* قال أبو النصر شافع بن محمد بن أبى عوانة عن أبى حامد أحمد بن محمد الشرقى عن خشنام بن صديق عن خالد بن عبد الرحمن عن مسعر عن محارب عن جابر قال :

قال رسول الله ﷺ : من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقى الله يشرك به شيئا دخل النار (رواه البيهقى فى شعب الإيمان ، وابن عساكر وأبو نعيم فى الحلية عن جابر)

* قالوا عن مسعر بن كدام

* قال سفيان بن عيينة :

* كان مسعر من معدن الصدق

* ما رأيت أفضل من مسعر

* ما لقيت أحدًا أفضله على مسعر

* ما رأيت بالكوفة أفضل من مسعر

* ولما سئل سفيان بن عيينة :

ـ يا أبا محمد : من أفضل من رأيت ؟

قال سفيان بن عيينة :

ـ مسعر

ولما سئل مسعر بن كدام :

ـ من أفضل من رأيت ؟

قال أبو سلمة :

ـ عمرو بن مرة

* وسأل سفيان بن عيينة النعمان بن عبد السلام :

ـ هل لقيت مسعرا ؟

قال النعمان بن عبد السلام :

ـ بلى

قال أبو محمد :

ـ أما إنك لم تلق أبدا مثله فضلا

* لم يكن فى زمانه مثله ـ يعنى مسعر بن كدام ـ

* قال مصعب بن المقدام :

رأيت النبى ﷺ فى المنام ـ وسفيان الثورى آخذ بيده وهما يطوفان ـ حول الكعبة ـ فقال سفيان الثورى :

ـ يا رسول الله ـ مات مسعر بن كدام قال عليه الصلاة والسلام :

ـ نعم واستبشر به أهل السماء

* قال هشام بن عروة بن الزبير :

* ما قدم علينا من أهل العراق أحد أفضل من ذاك السختيانى أيوب ، وذاك الرواسى مسعر

* قال إسحاق بن الصيف :

* سألت يعلى بن عبيد :

ـ يا أبا يوسف : من أدركت من أهل زمانك فقد أدركت الناس ؟

قال أبو يوسف :

ـ سفيان

قلت :

ـ سبحان الله أدركت محمد بن سوقة ، وموسى الجهنى ، وعبد الله بن أبى سليمان وقد أخذ ـ حمل ـ عنهم سفيان ؟

فجلس يعلى بن عبيد وكان قائما فقال :

ـ يا بنى إن سفيان كان قد جمع ورعًا وعلما

قلت :

ـ ثم من ؟

فناولنى أبو يوسف يده وقام فقال :

ـ مسعر

* قال الحسن بن عمارة :

* إن لم يدخل الجنة إلا مثل مسعر بن كدام إن أهل الجنة إذن لقليل

* قال معن بن عبد الرحمن :

* ما رأيت مسعرا فى يوم إلا قلت : هو أفضل منه قبل ذلك

* قال عبد المجيد التميمى :

* لما مات مسعر بن كدام رأيت كأن المصابيح والسراج قد طفئت

فقال سفيان :

ـ وهو موت العلماء

ثم قال أبو محمد :

ـ رأيت كأن قناديل المسجد الأعظم ـ يعنى مسجد الكوفة ـ قد طفئت فمات مسعر رحمه الله

ثم قال سفيان بن عيينة :

ـ كانوا يرون أن مسعر بن كدام لو أدرك أصحاب عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ـ لعد فيهم

* قال ابن أبى سليم :

* أفضل شبابنا أربعة : عمرو بن قيس الملائى ، والمغيرة بن أيوب ، وخلف بن حوشب ، ومسعر بن كدام .

* قال محمد بن شجاع :

* سمعت أبا عبيدة الحذاء يقول :

ـ سألت شعبة عن مسعر

فقال :

ـ ذاك عند الكوفيين مثل ابن عون عند البصريين

* قالوا للأعمش :

ـ إن مسعرا يشك فى حديثه

* قال الأعمش :

ـ شك مسعر كيقين غيره

* قال شعبة :

ـ شك مسعر ـ فى حديثه ـ أحب إلى من يقين غيره

* قال ابن المدينى :

ـ سألت يحيى بن سعيد القطان :

ـ أيهما أثبت ؟ هشام الدستوائى أو مسعر بن كدام ؟

قال يحيى بن سعيد القطان :

ـ كان مسعر بن كدام أثبت الناس

* قال عبد الله بن داود :

* كنا نسمى مسعر بن كدام المصحف

* قال شعبة :

ـ كنا نسمى مسعرا المصحف ـ دليلا على صدقه ـ

* قال أحمد بن يونس :

* رأيت مسعر بن كدام وله سجادة عظيمة

* قال سفيان :

ـ كنا إذا اختلفنا فى شىء سألنا عنه مسعرا

* قال ابن داود :

ـ كل قد أوهم فى حديثه غير مسعر

وقال عبد الله بن داود :

ـ كان أصحابنا يهابون مسعرا كهيبتهم الأعمش

* قال سفيان :

ـ كان مسعر ممن يؤتم به

وقال :

ـ قلت لمسعر : إن إنسانًا كلمنى أن أكلمك أن تحدثه

فقال أبو محمد :

ـ قل له يجيء

فقال سفيان :

ـ فأجيء أنا معه ؟

قال مسعر :

ـ أما أنت فبت عندنا

* قال خالد بن عمرو :

ـ رأيت مسعر بن كدام كان وجهه كركبة عنز من السجود ، وكان إذا نظر إليك حسبت أنه ينظر إلى الحائط من شدة حؤولته

* قال أمير المؤمنين أبو جعفر :

* دخل على مسعر فقلت :

لو كان الناس كلهم مثلك لخرجت فمشيت بين أظهرهم

وقيل :

دخل مسعر بن كدام على أمير المؤمنين أبى جعفر فقال أبو محمد :

ـ نحن لك والد وأنت لنا ابن ـ وكانت أمه أم الفضل الهلالية ـ

فقال أبو جعفر :

ـ تقربت إلى بأحب أمهاتى إلى ، لو كان الناس كلهم مثلك لمشيت معهم فى الطريق

* قال محمد بن مسعر بن كدام :

ـ كان أبى لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، فإذا فرغ من ورده لف رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة ، ثم يثب كالرجل الذى ضل منه شىء فهو يطلبه ، وإنما هو السواك والطهور ـ الوضوء ـ ، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر ، وكان يجهد على إخفاء ذلك

* قال شعبة بن الحجاج :

ـ ما من أحد من الناس إلا وقد أخذ على إلا مسعر

* قال ابن سماك :

ـ رأيت مسعرا فى المنام فقلت :

ـ أليس قدمت ؟

قال :

ـ بلى

قلت :

ـ فأى العمل وجدت أنفع ؟

قال :

ـ ذكر الله عز وجل

* قال عبد الله بن محمد بن عبيد :

من كان ملتمسا جليسا صالحا فليأت حلقة مسعر بن كدام
فيها السكينة والوقار وأهلهـا أهل العفاف وعليه الأقـوام

* قال أبو وليد الضبى :

ـ أتينا مسعر بن كدام وهو يصلى فلما أحس بنا خفف الصلاة وأقبل علينا وأنشأ يقول :

ألا تلك غرة قد أعرضت ترفع دونى طرفا غضـيضا
تقول مرضت فما عدتنـا وكيف يعود مريض مريضا

* مسعر بن كدام والقرآن العظيم

كان مسعر بن كدام لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن

وسأل رجل مسعر بن كدام عن قراءة القرآن والإنسان جنب فقال :

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن قراءة القرآن شىء إلا أن يكون جنبا (رواه الدارقطنى)

وسئل مسعر عن قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾[سورة المائدة الآية:٦٣].

قال مسعر :

لولا بمعنى : أفلا

ينهاهم : يزجرهم

الربانيون : علماء النصارى

الأحبار : علماء اليهود

وقد بلغنى أن ملكًا أمر أن يخسف بقرية فقال :

يارب : فيها فلان العابد

فأوحى الله تعالى إليه :

ـ أن به فابدأ فإنه لم يتمعر ـ لم يتغير ـ وجهه فى ساعة قط

فتارك النهى عن المنكر كمرتكب المنكر

وسئل مسعر :

- كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة ؟

قال أبو سلمة :

- إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك ، وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن

ثم قرأ : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق الآية : ١٨]

وكان مسعر إذا قرأ ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [سورة مريم : ٩٠ - ٩١]

قال :

الهد الهدم والهدة : الخسوف

قال عبد الله بن مسعود :

- إن الجبل ليقول للجبل يا فلان : هل مر بك اليوم ذاكر لله ؟

فإن قال :

- نعم

سر به

ثم قرأ ابن مسعود : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ وسأل رجل مسعر بن كدام عن قوله تعالى ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [سورة طه الآية : ٨٤] .

قال مسعر :

قالت عائشة : كان عليه الصلاة والسلام إذا أمطرت السماء خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول : (**إنه حديث عهد بربى**)

فهذا من الرسول ﷺ ومن بعده من قبيل الشوق

ولذلك قال تبارك وتعالى :

ـ طال شوق الأبرار إلى لقائى وأنا إلى لقائهم أشوق

وكان مسعر بن كدام إذا قرأ سورة غافر قال :

سورة غافر وهى سورة المؤمن وتسمى سورة الطول ، كن الحواميم يسمين العرائس آل حم ديباج القرآن

*** وفاة مسعر بن كدام**

تقول أم مسعر :

لما حضرت مسعرا الوفاة دخل عليه سفيان الثورى فوجده جزعا فقال له :

ـ لم تجزع ؟ فو الله لوددن أنى مت الساعة

فقال مسعر بن كدام :

ـ أقعدونى

فأعاد عليه سفيان الثورى الكلام فقال مسعر :

ـ إنك إذًا لواثق بعملك يا سفيان ، لكنى والله لكأنى على شاهق جبل لا أدرى أين أهبط ؟

فبكى سفيان الثورى وقال :

ـ أنت أخوف لله عز وجل منى

رابعة بنت إسماعيل

هى رابعة العدوية الشامية زوج أحمد بن أبى الحوارى - كان أبو سليمان الدارانى أستاذه -

*** كانت لرابعة أحوال شتى**

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

كانت لرابعة أحوال شتى فمرة يغلب عليها الحب .

ومرة يغلب عليها الأنس .

ومرة يغلب عليها الخوف .

سمعتها تقول فى حال الحب :

حـبيب ليس يعـدلـه حـبيب ... ولا لسواه فى قلبى نصيب

حبيب غاب عن بصرى وشخصى ... ولكن عن فؤادى ما يغيب

وسمعتها فى حال الأنس تقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم مـنى للجليس مـؤانس ... وحـبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وسمعتها فى حال الخوف تقول :

وزادى قليل ما أراه مبلغى ... أللزاد أبكى أم لطول مسافتى ؟

أتحرقنى بالنار يـا غاية المنى ... فأين رجائى فيك ؟ أين محبتى ؟

محبتى : مخافتى

*** حب الإخوان**

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

تقول رابعة :

إنى لأضن - أبخل - باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسى ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن .

وربما قلت لها :

- أصائمة أنت اليوم ؟

فتقول :

- ما مثلى يفطر فى الدنيا .

وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا فى أثر العبادة .

فقالت رابعة بنت إسماعيل لزوجها أحمد بن أبى الحوارى :

- لست أحبك حب الأزواج ، إنما أحبك حب الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مالى مثلك ومثل إخوانك.

*** إذا اغتممت منها زادت**

تقول رابعة بنت إسماعيل :

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى - أبو سليمان الدارانى - أستاذ زوجى أحمد بن أبى الحوارى فشكا أحمد بن أبى الحوارى إلى أبى سليمان ذات يوم الوسواس فقال :

- إنى أرى ذلك قد غمك يا أبا الحسن ، إن أردت أن ينقطع عنك - الوسواس - فإن أحسست بها فافرح بها ، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك ، فإنه ليس شىء أبغض إليه - الشيطان - من سرور المؤمن ، وإن اغتممت منها - الوسواس - زادت .

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

سأل المعلم ذات يوم تلميذه :

ـ يا أحمد : من أى وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء إليه ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ لا أدرى .

قال أبو سليمان الدارانى :

ـ من أنه علم أن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

كانت لرابعة بنت إسماعيل سبعة آلاف درهم فأنفقتها على .

وكانت إذا طبخت قدرا قالت :

ـ كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح .

وقالت لى :

ـ لست أستحل أن أمنعك نفسى وغيرى ، اذهب فتزوج .

فتزوجت ثلاثا .

وكانت رابعة بنت إسماعيل تطعمنى اللحم وتقول :

ـ اذهب بقوتك إلى أهلك .

وكنت إذا أدرت جماعها نهارا قالت :

ـ أسألك بالله لا تفطرنى اليوم .

وإذا أردتها بالليل قالت :

ـ أسألك بالله لما وهبتنى لله الليلة .

* إذا سمعت الأذان

يقول تلميذ أبى سليمان الدارانى :

سمعت رابعة بنت إسماعيل تقول :

ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادى القيامة .

ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف .

ولا رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر .

وقال أحمد بن أبى الحوارى :

سمعت رابعة تقول :

ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون ، وربما رأيت الحور العين يستترون منى بأكمامهن. وأشارت بيدها على رأسها .

ويقول أحمد بن أبى الحوارى :

- دعوت رابعة فلم تجبنى .

فلما كان بعد ساعة أجابتنى وقالت :

- إنما منعنى من أن أجيبك أن قلبى قد كان امتلأ فرحًا بالله ، فلم أقدر أن أجيبك .

* أتحبين الموت ؟

تقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو سليمان الدارانى ذات يوم لأم أمير المؤمنين هارون الرشيد :

- أتحبين الموت ؟

قالت :

- لا .

قال أبو عبد الرحمن :

- لم ؟

قالت أم الرشيد :

ـ لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه . . فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ؟

فقال أبو سليمان الدارانى :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مخلدا

*** أين السمكة ؟**

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو سليمان الدارانى :

رأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة صغيرة له ، وكلما اصطاد سمكة وضعها فى دوخلة ـ الدوخلة : بفتح الدال والخاء وتشديد اللام ويجوز تخفيفها : وعاء من خوص كالزنبيل يوضع فيه التمر والزاد ونحوهما ـ معه ، وكانت ابنته كلما وضع سمكة فى الدوخلة ردتها إلى الماء ، فالتفت الصياد فلم ير شيئًا فى الدوخلة .

فقال الصياد لابنته :

ـ أى شيء عملت بالسمك ؟

فقالت :

ـ يا أبى أليس سمعتك تروى عن النبى ﷺ أنه قال : لا تقع سمكة فى شبكة إلا أغفلت عن ذكر الله ؟

فلم أحب أن نأكل شيئًا غفل عن ذكر الله تعالى .

يقول أبو عبد الرحمن :

فبكى الصياد ، ورمى بالصنارة .

*** الأنس بالله**

تقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أحمد بن أبى الحوارى :

انقطع إلى الله وكن عابدًا زاهدًا صادقًا متوكلا مستقيمًا عارفًا ذاكرًا مؤنسًا مستحبًا خائفًا راجيًا راضيًا .

وعلامة الرضا : أن لا يختار شيئًا إلا ما يختاره له مولاه ، فإذا كان ذلك كذلك كان له من الله عونا حتى يرده إلى طاعته ظاهرًا أو باطنًا ، ولا يكون العبد تائبًا حتى يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويرد المظالم فيما بينه وبين الناس ، ويجتهد فى العبادة ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد ، ثم يتشعب له من الزهد الصدق ، ثم يتشعب له من الصدق التوكل ، ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة ، ثم يتشعب له من المعرفة الذكر ، ثم يتشعب له من الذكر الحلاوة والتلذذ ، ثم بعد التلذذ الأنس ، ثم بعد الأنس بالله الحياء ، ثم بعد الحياء الخوف .

وعلامة الخوف : الاستعداد والتحويل من هذه الأحوال ، لا يفارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه .

* فى سفر التوارة الرابع

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو الحسن :

قرأت فى سفر التوراة الرابع أن الله تعالى يقول :

أنا الله لا إله إلا أنا عينى على كل شىء ، أرى النمل فى الصفا وأرى وقع الطير فى الهواء .

وأعلم ما فى القلب والكلى .

وأعطى العبد على ما نوى .

أى شىء يقال لمثلى ومثلك ؟

وقرأ أبو الحسن فى بعض الكتب أن الله عز وجل أوحى إلى موسى وعيسى

عليهما السلام :

يا موسى وعيسى : من أجل دنيا دنيئة وشهوة رديئة تفرطان فى طلب الآخرة ؟

يا موسى ويا عيسى : حتى متى أطيل النسيئة وأحسن الطلب ؟

النسية : أنسأ أجله : أخره ، ينسأ : يؤخر .

*** قالوا عن أحمد بن أبى الحوارى :**

تقول رابعة بنت إسماعيل :

* قال الجنيد بن محمد بن الجنيد :

ـ أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام .

* وقال يحيى بن معين لما ذكر أحمد بن أبى الحوارى :

ـ أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به .

* وقال محمود بن خالد :

ـ ما أظنه بقى على وجه الأرض مثله .

*** من أقوال أحمد بن أبى الحوارى**

تقول رابعة بنت إسماعيل :

كان أبو الحسن يقول :

* من كانت نيته العافية ملأ الله حضنه العافية .

* من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه .

* لا دليل على الله سواه ، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة .

* من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه ، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور .

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك نفسك

بتركها عند إقبالها فذاك .

* سبحان من لا يمنعه عظيم سلطانه أن ينظر فى صغير سلطانه .

* من كانت همته فى أداء الفرائض لم يكمل له فى الدنيا لذة .

* قال الله تعالى : لو أن ابن آدم لم يرج غيرى ما وكلته إلى غيرى .

* خف الله يلهمك ، واعمل له لا يلجئك إلى دليل .

* قيل لموسى عليه السلام : يا موسى : إنما مثل كتاب أحمد ﷺ فى الكتب بمنزل وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته .

* إذا دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر .

قنعت بعلم الله ذخرى وواجدى بمكتوم أسرار تضمنها قلبى

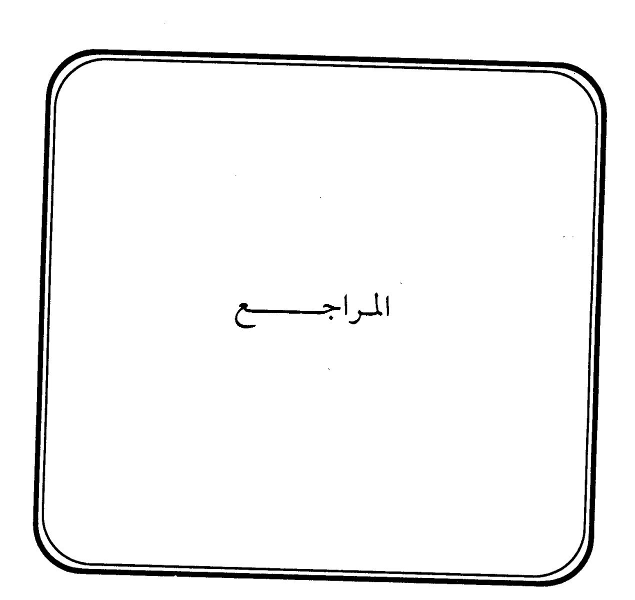
فلو جاز ستر الستر بينى وبينه إلى القلب والأحشاء لم يعامها سرى

* إن الله إذا أحب قومًا أفادهم فى اليقظة والمنام .

* الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها ـ المزبلة ـ حاجته وينصرف ، والمحب لها ـ الدنيا ـ لا يزايلها ـ لا يتركها ـ بحال .

* من أحب أن يعرف بشئ من الخير أو يذكر به فقد أشرك فى عبادته ، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه .

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

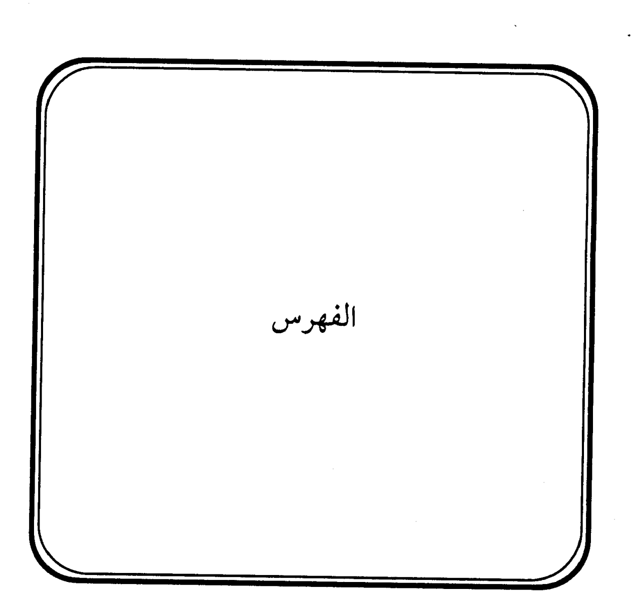


المراجـــــع

المراجع

* القرآن العظيم
* الجامع لأحكام القرآن — القرطبى
* تفسير الطبرى
* تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
* كنز العمال — الهندى
* أعلام النساء — محمد رضا كحالة
* صفة الصفوة — ابن الجوزى
* رابعة العدوية — عبد العزيز الشناوى
* تاريخ ابن خلكان
* صغار الصحابة وكبار التابعين — عبد العزيز الشناوى
* صحيح البخارى
* المعجم الكبير — الطبرانى
* شعب الإيمان — البيهقى
* سنن أبى داود

* الجامع الصحيح — الترمذى
* مروج الذهب — المسعودى
* مواقف ومواعظ من حياة التابعين — عبد العزيز الشناوى
* السنن الكبرى — البيهقى
* صحيح ابن حبان
* المسند — الإمام أحمد



الفهرس

الفهـرس